

الألف
كتاب
٢٩٦

جورج كينان

الدبلوماسي المورخ

تأليف: د. السيد أمية شلبي

321



مكتبة
الأمم المتحدة
القاهرة

اهداءات ٢٠٠٣

الدكتور/ السيد أمين شليبي

القاهرة

جورج كينان
الدبلوماسي المؤرخ

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

محسنة عطية

جورج كينان

الدبلوماسي المؤرخ

د. السيد أمين شلبي



المكتبة والارشيف الوطني لدولة فلسطين

١٩٩٧

فهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
الفصل الاول	
مداخل	١٣
الفصل الثاني	
بين الدبلوماسية والحياة الاكاديمية	٢٨
الفصل الثالث	
سحب الخطر	٩٩
الفصل الرابع	
جورج كينان وتقاده	١٤٣
قائمة بؤلفات جورج كينان ومراجع الدراسة	١٥٣

تقديم

تعرفت على جورج فروست كينان George F. Kennane (١٩٠٤ -) من خلال تاريخه الأكاديمي والدبلوماسي وأنا أعد لرسالتي للدكتوراه عن العلاقات الأمريكية السوفيتية وتطوراتها في أعقاب الحرب العالمية الثانية . فلا أعلن أن أحدا يستطيع أن يحيط بهذا الموضوع دون أن يتوقف عند كينان ويقرأ له ، فهو واحد من أربع شخصيات دبلوماسية أمريكية كان من نصيبها أن تساهم في عملية بناء العلاقات الدبلوماسية السوفيتية الأمريكية منذ أن تأسست عام ١٩٢٣ وشهدت أحداث هذه العلاقات وتقلباتها ومفارقاتها منذ قيام التحالف ضد النازية وتفاعلات علاقات هذه الحرب ومسؤولياتها ، وتجاوزها - مؤقتا - الخلافات الكامنة في الأيديولوجية والمصالح والأهداف النهائية ، ثم بروز هذه الاختلافات الى السطح بعد انقضاء الحرب وظهور مرحلة الحرب الباردة بتقسيماتها وتوتراتها والأحداث التي ارتبطت بها وتسربها الى كافة مناطق العالم ، وبرز سباق التسلح بأبعاده ذات التدمير الشامل . وكانت الشخصيات التي تولت السفارة الأمريكية في موسكو منذ تأسيس العلاقات حتى أوائل الخمسينات هي : أفريل هاريمان Avrel Harriman ، وتشارلز بوهلين Charles Bohlen ، ولويلين تومبسون Lewellyn Thompson ، ثم جورج كينان ، الذي تميز عنهم بعمله في موسكو في فترات سابقة ، فقد عمل كمترجم لأول سفير للولايات المتحدة في موسكو ، ثم عمل مستشارا وقائما بالأعمال عام ١٩٤٤ ثم سفيرا في عام ١٩٥٢ . وعلى الرغم من تميز الشخصيات الثلاث الأولى وبرز دورها في إدارة وتوجيه العلاقات الأمريكية السوفيتية في أدق مراحلها ، إلا أن مساهمات كينان على المستوى الفكري والدبلوماسي كانت أكثر تميزا بحكم القاعدة

العلمية والاكاديمية العريضة التي بناها لنفسه منذ تخرجه في جامعة برنستون عام ١٩٢٥ والتحاقه بالسلك الدبلوماسي الأمريكي عام ١٩٢٦ واختياره أن يتدرب ويتخصص في اللغة والشئون الروسية ، وهو التخصص الذي جعله على مدى ستين عاما - واحدا من أبرز المحللين للشئون الروسية ، وأشملهم رؤية واحاطة بإبعادها التاريخية والحضارية ، وأعمقهم فهما لدوافع السلوك الروسي والنظام الذي خلفته ثورة أكتوبر عام ١٩١٧ .

ومن المفارقات أن تكون هذه المعرفة العريضة والعميقة بالشئون الروسية من أسباب اختلافات كينان المستمرة مع صناع السياسة الخارجية الأمريكية سواء في الادارة أم في الكونجرس أو مع قوى اليمين المتطرف الذين كان كينان يرى في تصورهم للمواقع والدوافع والنوايا السوفيتية تصورا يتسم بالتبسيط الزائد والمبالغة وعدم تفهم لحقائق الواقع السوفيتي ومحدداته . وقد كانت هذه العلاقة بين كينان ومؤسسات صنع القرار الأمريكي وراء احساسه الدائم بالوحدة والغربة عن بيئته وكذلك بالاحباط الناجم عن عدم قدرته على التأثير في توجيهه سياسة بلاده بالشكل الذي يراه سليما ويتفق مع مصالحها القومية ومصالح الاستقرار في العالم .

ولعل من المفارقات المرتبطة بشخصية كينان كذلك أن صورته لدى قطاعات من المتعلمين بل والمثقفين أنه منظر سياسة الحرب الباردة ، وأنه من خلال مقالته الشهيرة عن «مصادر السلوك السوفيتي» «The Sources of Soviet Conduct» التي نشرها عام ١٩٤٧ ، قد صاغ مفهوم سياسة الاحتواء ، وأنه بهذه المقالة قدم الأساس النظري والفلسفي لهذه السياسة التي تبنتها ادارة ترومان وبررت بها سياسة الأحلاف والقواعد العسكرية بهدف «احتواء» الاتحاد السوفيتي . غير أن قلة قليلة هي التي تابعت التطور الفكري لجورج كينان منذ نشره لمقالته وعمله على تصحيح المفاهيم

الخاطئة التي ارتبطت بها وانتقاده. التركيز على الصيغ العسكرية لمفهوم الاحتواء الى الحد الذي ذهب معه الى اعلان انكاره لبنوته لهذه النظرية ومحاولات تطبيقها في سياق أصبح مختلفا عن السياق الذي ظهرت فيه .

واتصالا بهذا الخط كرس كينان جهده الأكاديمي من خلال كتبه ومقالاته ومحاضراته وسقايلاته من أجل بث الوعي والادراك الموضوعي حول قضيتين رئيسيتين راهما تتصلان ليس فقط بالمصالح الأمريكية وبناء سياسة خارجية أمريكية رشيدة وانما بسلام البشرية وبقائها ، ونمى بهما، قضية الفهم الأمريكي لحقائق الواقع والنظام السوفيتي في اطاره الصحيح وهو الخبرة التاريخية للشعب الروسي وسيطرة اعتبارات الأمن عليهم ، والتطور الذي لحق بنظام الحكم وشخصياته منذ وفاة ستالين ، والمشكلات الفعلية التي تواجههم وتفرض قيودا على سلوكهم أيا كانت الاعتبارات الأيديولوجية .

أما القضية الثانية التي كرس لها كينان اهتمامه فهي قضية تصاعد سباق التسلح واكتسابه أبعادا خطيرة نتيجة لتطوير أسلحة الدمار الشامل فركز على تبين فساد الرأي الذي يعتمد على هذه الأسلحة في بناء سياسة دفاعية ، وأبرز طابعها الانتحاري ، وما تولده من منافسة لا نهائية حيث كل سلاح جديد سوف يولد الرغبة في تطوير سلاح آخر ، وقد رأى كينان هذا بوضوح منذ تفجير القنبلة الذرية في نهاية الأربعينيات حتى تطوير نظام الدفاع الاستراتيجي SDI في منتصف الثمانينات، ومن هنا أيضا كانت دعوته المستمرة للقوتين الى تدمير ٥٠٪ من ترسانتهما النووية، وهو ما بدأت القوتان تتجهان اليه بشكل جاد بعد التطورات الأخيرة في علاقاتهما .

والواقع أن ما يجذب الدارس لحياة جورج كينان ليس فقط جانبه الأكاديمي والفكري وغزارة إنتاجه وعمقه

(صدر له ١٨ كتابا ، ١٦ مقدمة كتاب لمؤلفين آخرين ، ٧٧ مقالة ، ١٤ عرضا للكتب ، ١٥ بيانا أمام الكونجرس ، ٣٠ خطابا الى المحرر ، ٤٥ خطبة منشورة ، ١٨ مقابلة منشورة ، وأكثر من ٢٠٠ معاضرة لم تنشر ، يضاف الى هذا عدد لا يعد من المراسلات) وتطويره لمواقفه تجاه قضايا الحرب والسلام والاستقرار فى العالم ، وانما ثمة جانب آخر لا يقل جاذبية ونمى به تاريخه فى العمل الدبلوماسى والنموذج الذى يقدمه فى هذا الحقل بشكل يجعل منه يحق صورة للدبلوماسى المتكامل فى تكوينه العلمى لذاته ، واحترامه لضميره المهنى وتكرسه لمهنته ومتطلباتها حتى فى أصعب الظروف ، وولاءه لحكومته وبلاده حتى ولو اختلف مع مواقفها الرسمية .

وقد بدأ كينان هذا النهج منذ ان التحق بالخدمة الدبلوماسية عام ١٩٢٦ ، وقرر أن يعد نفسه ويكتسب أدواته العلمية والثقافية لمهنته الجديدة ، فعين أوفد فى منحة دراسية للدراسة وتعلم اللغة الروسية فى جمهوريات البلطيق اتجه اهتمامه للمستقبل حين ستقوم بين بلاده والاتحاد السوفيتى علاقات دبلوماسية ولذلك استغل وجوده فى هذا المكان الذى كان يمثل « ثقب الباب » على الاتحاد السوفيتى لكى يقرأ ويكتب عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للنظام السوفيتى ويبعث بها الى وزارته .

وحين عين فى منصب متواضع ، كنائب قنصل فى هامبورج ، قد يكون بعيدا عن اهتماماته الثقافية والفكرية واظب - رغم ذلك - على حضور المحاضرات الثقافية العامة والاستيقاظ مبكرا لقراءاته الخاصة قبل أن يتوجه الى مكتبه ويمارس عمله القنصلى والاهتمام بشئون البواخر والبحارة الأمريكيين ومشكلاتهم .

وتمكس جوانب من حياة كينان الدبلوماسية ما قد يمرض له الدبلوماسى من ظروف صعبة عليه أن يتحملها

ويؤديها بضمير مهني يقط، فقد داهمت كينان وهو يعمل في المفوضية الأمريكية في براج مقدمات الحرب العالمية الثانية حين غزت القوات الألمانية تشيكوسلوفاكيا ودخلت المدينة ، ثم واجه اعلان الحرب بين بلاده وألمانيا النازية وهو في برلين عام ١٩٤١ بكل ماتضمنه هذا من اعمال مترتبة على هذا الواقع تتصل باعضاء بعثته وبالرعايا الأمريكيين بل وربما الأوروبيين واجراءات ترحيلهم .

وتحتوى حياة كينان الدبلوماسية أيضا على دروس بليغة فيما يتعلق بملاقة الدبلوماسي بحكومته وما قد يتعرض له من احساس تجاهلها له ولتقاريره وتوصياته وتحوله الى « كاتب بلا جمهور » ، وهو موقف تشير فيه تجربة كينان الى وجوب ألا يفقد الدبلوماسي صبره أو يتخذ مواقف متسرفة — قد يندم عليها بعد ذلك — وأن لا يجعله شعوره هذا يكف عن أداء ما يراه واجبا وصوابا في الوقت الذي يظل فيه على ولائه لحكومته وتنفيذه تعليماتها في تمبيره ودفاعه عن سياستها الرسمية .

وتشتمل هذه الدراسة على ثلاثة فصول وخاتمة . يتضمن الفصل الأول لمحات عامة عن حياة جورج كينان وفكره ، وهى لمحات تصور خليط المشاعر والأفكار التى تولدت عن ممارساته وتجاربه الدبلوماسية والأكاديمية ، ورؤيته لأوضاع مجتمعه والحضارة الأوروبية المعاصرة ، اختلط فيها الاحباط بالشعور بالوحدة والغربة عن بيئته بل وعن العصر الذى قدر له أن يعيش فيه ، وبشكل عام فقد قصدنا بهذا الفصل تقديم الاطار الفكرى العام لشخصية كينان .

ويحتوى الفصل الثانى على عرض مفصل لحياة كينان الدبلوماسية والأكاديمية وذلك من خلال سيرته الذاتية التى أخرجها فى جزء يع تضمين الجزء الأول الفترة من ١٩٢٥ - ١٩٥٠ ، وغطى الجزء الثانى الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٦٣ . والواقع أن هذه المذكرات ليست مجرد سيرة ذاتية لصاحبها

وانما هي أكثر من هذا : تاريخ للعلاقات الدولية كما تطورت منذ بداية الثلاثينات بلحاظها ومواجهاتها ، وهي على وجه أخص دراسة في تطور وتفاعل العلاقات بين القوتين اللتين يبرزتا كأقوى قوتين على المسرح الدولي بعد الحرب الثانية وهي الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي .

ويواصل الفصل الثالث متابعة مواقف كينان ومساهماته منذ منتصف الستينات حول قضايا العلاقات الأمريكية السوفيتية وقضايا الحرب والسلام وأخطار سباق التسلح والحرب النووية .

كما يتضمن هذا الفصل إشارة الى لون آخر من المذكرات قام كينان بنشرها مؤخرا فقط - ١٩٨٩ - تضمنت يومياته الأدبية وتأملاته الفلسفية على مدى ستين عاما ، سجل فيها نظراته وانطباعاته حول الأماكن والطبيعة والبشر والمجتمعات التي عمل فيها وعاش بينها وزارها .

ثم تختتم هذه الدراسة بمرض لأراء النقد في مواقف كينان واتجاهاته حول القضايا المختلفة التي تعرض لها ومنطلقاته الفكرية . بوجه عام خاصة بعد تصدع الاتحاد السوفيتي وانتهاام الحرب الباردة - كما نورد في النهاية قائمة تتضمن مؤلفات كينان وكتابات ، وكذلك عددا من المصادر التي اعتمدنا عليها - بالإضافة الى كتابات كينان نفسه - في اعداد دراستنا .

وبعد ، فأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الشخصية الخصب التي تمثل حياتها التاريخ الدبلوماسي لأكثر من ستين عاما ، كما تتضمن جوانب تستحق أن يتوقف عندها الدبلوماسي والمثقف المعاصر ويتأملها .

د . السيد أمين شلبي

المعادي : ديسمبر ١٩٩٦

الفصل الأول

مداخل

يستوقف النظر في مذكرات جورج كينان وكتاباتهِ عن نفسه وعن أحداث العالم المفردات المتشابهة التي تعبر عن غضبه وضيقه من رؤيته للعالم المعاصر ، اذ يرى أنه يحكمه الجهل والجماعة وقصر النظر ، الأمر الذي تجده ينمكس في تعبيراته عن شعوره بالوحدة ، والمجز في مواجهة هذا العالم ، ولذلك تتكرر في مذكراته عبارات « .. بأخوذ كلية .. وجيد للغاية .. يملكني ياس أسود ، مرعوب ، مبتلي بالوحدة » ، انه يشعر بشكل عميق بالكآبة ، فهو معرض للهجوم والانتقاد .. لديه « توقع بالكارثة » ، كما يشعر بأنه « في وضع مستحيل بين عالمين » ، ويسيطر عليه احساس « بالمسئولية الضخمة ، وبعدم ملامتنا لها » .

فهل يعني هذا تشاؤم مؤرخ يبحث ويدرس الشئون البشرية ؟ أو انه يمثل مازقا شخصيا لدبلوماسي مؤرخ قدمت له دراساته دليلا ومرشدا عريضا لما يجب عمله في مواقف محددة ولكن يموقه مع ذلك وعن تحويل آرائه الى أفعال وأعمال ما يسود الوضع الإنساني من قصور ؟

ويجيب كينان نفسه على هذا التساؤل وبشكل خاص حول احساسه بالوحدة فيقول ان كلمة « الوحدة » التي استعملها في مذكراته انما يعبر بها عن شعوره أثناء عمله بالسلك الدبلوماسي ، وهي تشير فقط الى الوحدة التي شعر

بها فى البيئة الحكومية عندما وجد أن وجهات نظره وأفكاره لا يجد لها صدق فى وزارة الخارجية ، وحتى اذا ما شاركه أحد أفكاره فهو لا يريد أن يعترف بذلك . . أما على المستوى الشخصى فهو لم يشعر أبدا بالوحدة ، فلديه أسرة وأطفال وأحفاد يشعرونه بالدفء ، ولديه أصدقاؤه . على أنه على مستوى آخر ينظر الى نفسه كشخص وحيد فكريا ، فقد سار فى طريقه الخاص ولم يجذب اليه أتباعا كثيرين ، وان كان أصدقاؤه قد يعترضون على ذلك ويقولون انه قد حقق نجاحا ضخما كمحاضر وكاتب ، يقرأ كتبه مئات الألوف من الشباب فى الولايات المتحدة ويحترمونهم ، وانه قد أثر فيهم بشكل عميق : ويعقب كينان على هذا بأنه قد يكون فيه شيء من الحقيقة ومع هذا فهو لا يستطيع أن يرى أثرا لما كتب او قال فى الصحافة الأمريكية او الجيل الناشئ ، فضلا عن الإدارات الأمريكية المتتابة حيث كانت تنظر اليه كشئ غريب وعلى أنه مزيج من الرجمى والليبرالى . وبهذا المعنى الفلسفى اعتبر كينان نفسه متفردا ووحيدا يشعر بالقلق والتشاؤم . العميق أزاء ما يجرى فى الولايات المتحدة والحضارة الغربية . الذى هو جزء منها ، الأمر الذى يمثل اتجاهها فلسفيا وليس أسلوب حياة ، ففى نشاطه اليومى يجد نفسه يفعل أشياء يشعر أنها مفيدة ، وتمطيه قدرا من الرضى ، ومع هذا فانه لا يرى نتيجة لها « . . فآنا أفعل ما أفعله من باب الايمان أكثر من أى حسابات بأن ذلك قد يخدم غرضا أوسع » .

أما مصدر تشاؤم كينان فى رأى شراحه فانه يبدو فى تفكك النظام التقليدى الذى يرجع الى القرن الثامن عشر ، وهذا التفكك يبدو فى عملية التصنيع وتحول الزيف الى مدن ، وفساد الطبيعة ، وانحدار الذوق ، والضخالة ، وضعف الدين كخبرة عامة ، ويستدلون على هذا من حديث كينان عن « عدم الراحة التى يشعر بها من وضعه كمعاصر للقرن العشرين » .

ويعقب كينان على هذه الملاحظة بأنه ، كغيره من الأمريكيين الذين ولدوا وتربوا قبل الحرب الأولى ، قد نشأ

على ثقة ما فى الحضارة الأمريكية ، واعتقد بأن التجربة الأمريكية تمثل تطورا ايجابيا فى تاريخ البشرية ، لأنه من الأمور الطيبة أن ظهرت الولايات المتحدة وتطورت بالشكل الذى تطورت به ، الا أنه الآن يرى أن « كل هذه الافتراضات وقد تشتتت ، ولا أعتقد أن حضارة الولايات المتحدة الأمريكية فى الأربعين والخمسين سنة الأخيرة كانت حضارة ناجحة ، ولا أعتقد أن نظامنا السيامى يلائم حاجات العصر الذى ننتقل اليه الآن ، كما أعتقد أن هذا البلد مقضى عليه بأن يواجه الاحباط الذى لا يمكن ان يكون الا تراجيديا وضخما فى نطقه ، وبطبيعة الحال ليس من السهل ان تعيش مع هذا التوقع » - ويواصل كينان شعوره هذا حول الشؤون الأمريكية بقوله : « - ان الاحباط الذى أشعر به تجاه هذا البلد - الولايات المتحدة - لا يأتى مما تفعله شعوب أخرى ، وانما ما تفعله هى بنفسها ، الأمر الذى يبعث فى احساسنا ضخما بالخزى » *

ويواصل كينان التعبير عن شعوره هذا بقوله : « كلما تقدمت فى السن وشغلت نفسى بتاريخ القرن الماضى فى أوروبا والولايات المتحدة ، ازدادت اقتناعا بأن الثورة الصناعية ذاتها كانت مصدر معظم الفشل والارتباك الذى أصاب العصر الحديث ، وهذا لا يعنى طبعاً انكار التقدم التكنولوجى ، وانما كان لا يجب أن يسمح للثورة التكنولوجية بأن تتطور بشكل غير محكوم كما حدث ، وأن التقدم التكنولوجى كان يجب أن يفحص بعناية شديدة من وجهه نظر اثره على المجتمع ككل ، ولا أقصد بذلك ان اعيب على أجدادنا الذين أطلقوا الثورة العلمية والصناعية ، فقد كانوا جزءا من زمانهم وشاركوا فى تفاؤله العلمى ، ولم يتنبأوا بنتائج ما كانوا يفعلونه ، ولكن فقط أقول بأنى لا أعتقد أن أجد اجابة على مشكلات المدنية الماصرة فى اطار مجتمعا الصناهى المدنى القائم فى المدن » - فى هذا الاطار يظهر كينان الى نفسه كأحد أبناء القرن الثامن عشر،

ويعتقد أن الأمريكيين القدامى الذين ترجع جذورهم الى هذا القرن لديهم قيم أكثر اقناعا ، وأذواق أفضل من هؤلاء الذين ترجع جذورهم الى مجتمع الثورة الصناعية .

ويبدو المنصر الجمالى كأحد العناصر المسيطرة والموجهة فى مزاج كينان الثقافى والفكرى . فهو تأثر بشكل عميق على كل مظهر من مظاهر القبح والذوق السقيم وعدم احترام التقاليد ، وهو يدعو مرارا وتكرارا فى كتاباته الى « الاعتراف بأنه اذا ما أردنا أن نرفع أعدادا ضخمة من الناس من الانحطاط والسوقية فانه من المهم أن نصنع من بينهم نماذج للذوق السليم والسماحة » ، بل ان بعض ناقديه يربطون بين الرقة التى وصف بها الطرق البسيطة لحياة الشعب الروسى وثناؤه عليها وبين قوله ان « روسيا فى دمه » وان ثمة « رابطة سرية لا أستطيع أن أفسرها حتى لنفسي » تربط بينه وبين هذا الشعب .

ويتساءل شراح كينان عما اذا كانت هذه الرابطة ذات علاقة بتطلع كينان الدائم وشغفه بالقرن الثامن عشر . ويؤمن (بتشديد وكسر الميم) كينان على هذا الاستنتاج بقوله انه لا يثق بأن البشر يمكنهم أن يعيشوا بنجاح بعيدا عن الطبيعة « فنحن فى جزء منا حيوانات ، ومما يفيدنا أن نتذكر ما يربطنا بالأشياء النامية وبمملكة الحيوانات ، وأشعر بالأسف للأطفال الذين ينشأون بدون احساس بالألفة مع الكلاب والخيول والخنازير لأن الحياة على مقربة من الحيوانات تعلمنا أشياء حول أنفسنا ، فالرابطة الوثيقة مع الطبيعة تبدو لى من المصادر العظيمة للصحة البدنية ، وقد ينكر بعض الناس هذا ولكن حين أتحدث عن نفسى لا أستطيع الا أن أتطلع لهذا النوع من الحياة ، فانا لست رجلا من رجال المدن ، ولا أثق فى حياة المدن الكبيرة وخاصة من النوع المعاصر ، فهى بيئة ملوثة بشكل مخيف » . ويعبر كينان عن اعتقاده بأن المجتمع الزراعى مع كل أخطائه أكثر صحة واستقرارا فى المبدى

الطويل من مجتمع المدن وأن البكارة العاطفية تفقد في بيئة المدن ولهذا فإن أفضل الأدب الحديث هو عن أناس جاءوا من بيئات ريفية .

ويلمس نقاد جورج كينان وشراحه تعاقبا بين ما يميز الحضارة والثقافة الأمريكية - من عدم تقدير لعنصر التراجيديا أو المأساة التي تشكل بشكل كبير جزءا أساسيا في المآزق الانساني - وعدم تفهم ما يترتب على هذا من الامكانيات المحدودة للإنجازات الاجتماعية والسياسية ، وتتناقض هذه الخلفية الثقافية لكينان كأمريكي مع ما يبدو في كتاباته من تأكيد على عنصر المأساة الكامنة في الحياة الانسانية وعدم امكان التنبؤ بها .

ويفسر كينان هذا التعارض بأنه يمثل تجربة شخصية وكذلك أحد المعتقدات الدينية ، وفي رأيه أن معظم الضعف في الفكر الماركسي - والذي تسرب الى وعي عدد كبير من المجتمعات الغربية دون أن تدرى - يكمن في تصوّره أن أمراض المجتمع يمكن أن تشفى بإصلاح العلاقات الاجتماعية . والخطأ هنا كما يرى كينان أن الماركسية لا تمنح أي أهمية ولا تعترف بعنصر المأساة الكامنة في صميم الخبرة الانسانية الفردية نفسها ، فليست هناك حياة انسانية تخلو من مأساة كمرض مفاجيء أو موت شخص نحب ، أو عدم تحقق ما نحب . ويذكر كينان في هذا حديثا جرى بينه وبين زميله وصديقه تشارلز بوهلين حين كانا يعملان معا في موسكو عام ١٩٣٧ حيث ذكر بوهلين « ان النظام الماركسي لن يدوم لأنه ليست لديه اجابة على ظاهرة الموت » .

ويفسر كينان شعوره بالاحباط حول شئون بلاده فيقول انه يعود في كثير منه الى الافتراضات والاساليب التي تحاول بها بلاده معالجة مشكلاتها ، وان كان هذا لا يعني عنده أن الفرد في الولايات المتحدة أصبح في حالة عقم وجمود فكري وأنه لم يعد لديه شيء أو قيمة يتعلق بها، فمنذ الحرب العالمية الأولى أنجبت الولايات المتحدة وسرف

تظل تنجب قلة مرموقة من الفنانين والمفكرين والكتاب ، وهو يرى فى هذه الخصوبة الفكرية التى بزغت ضد الفشل الاجتماعى ، يرى فيها تشابها مع التطور فى روسيا ، فالروس فى القرنين التاسع عشر والعشرين لم ينجحوا بشكل بارز فى حل مشكلاتهم كمجتمع مدنى ومع هذا أنتجوا خلال المائة والخمسين عاما ثقافة أدبية وموسيقية وفلسفية مرموقة ، وغالبا ما كان رواد هذه الثقافة غير سعداء فى بلادهم ، فقد كانوا فى غير المواقع التى تؤهلهم لها مواهبهم ، وغير مقدرين ومن ثم ثائرين . وعلى هذا فان المجتمع الذى لم ينجح فى كل شئ شرع فى تحقيقه استطاع مع هذا ان يقدم اقلية غاية فى التأثير وثقافة تحتوى على بذور التطور فى المستقبل ، ومن هنا يجد كينان تشابها بين التجربة الروسية والأمريكية .

ويعقب كينان على ما قد يفهم من هذا - ان ثمة تلاقيا بين الثقافتين الروسية والأمريكية - بأن مزاج الحياة الثقافية الأمريكية يختلف بطبيعة الحال عن مثيله فى روسيا ، الا أنه من ناحية أخرى ثمة قرابة غريبة بين الشخصية الثقافية الأمريكية والروسية ، ففى رأيه أنه من السهولة بمكان على بعض الأمريكيين أن يفهموا الاتحاد السوفيتى أكثر من أبناء القارة الأوروبية والانجليز ، والواقع أن هذا يشير تناقضا فى اتجاه كينان نحو روسيا ، فهو لا يخفى حبه للشعب الروسى ولفته وأدبه وحساسيته وطاقته على تحمل نوع متسام من المعاناة ، الا أن كينان فى نفس الوقت يدرك تماما أن التقاليد الروسية فى ادارة الشؤون العامة وممارسة السياسة الخارجية وأهدافها تختلف تماما وربما لا تتصالح مع التقاليد الأمريكية .

ويقر كينان بهذا التناقض ويفسره بأن الواقع الروسى كله متناقض ، وأيضا بعض اتجاهاته نحو روسيا « حين تحدثت عن نوع من القرابة والألفة بين الشعبين لم أتصور هذا على أنه نوع من التفاهم الثقافى ، فهو أعمق من هذا ،

انه مسألة لفتات ، وطرق وأسلوب تعامل وتناول للمشكلات ، كذلك ثمة شيء لا أستطيع تحديده وهي القرابة التي تأتي من كونك مواطنا لبلد قارى واسع ، فثمة وحدة فى الخبرة والتجربة وخاصة بين أهل سيبيريا وبين الأمريكيين من أصل سيبيرى . فالأوروبيون الغربيون الذين يعيشون فى نطاق ظروف جغرافية وحضارية أكثر تحديدا قد تشكل سلوكهم فى حدود أكثر ضيقا فهم مجتمع أكثر تنظيما من الأمريكيين والروس ، وهذا لا يخص النظام السياسى وانما السلوك الفردى على نطاق عريض ، فهنا ثمة لقاء تلقائى للمفول والأمزجة بين الأمريكيين والروس يجعل من السهل عليهم الالتقاء مع بعضهم البعض » .

ويحدد كينان وجه التشابه بين المجتمعين الأمريكى والروسى فى هذه الرابطة الواضحة بين الحماس الذى يصل الى حد السذاجة Naive Earnestness والاخلاص المتطرف فى أمريكا - وخاصة فى الغرب الأوسط ، وان كانت تخف أكثر فى كل من الساحل الغربى والشرقى - وبين الجدية الأخلاقية التى تميز روايات رجال مثل تولوستوى ودستوفيسكى ، وهى رابطة لا تخطئها العين ، حقيقة ان مثقفى المدن الكبرى الأمريكية هم أقرب الى عقلية غرب أوروبا ، ولكن قلب أمريكا متجه الى البحث عن الذات والبحث عن رسالته الأساسية بشكل يذكر بجوهر الرواية الروسية فى القرن التاسع عشر .

من الأمور التى سينصرف اليها اهتمام كينان : تحليله ونقده لجوانب القصور فى الحياة الاجتماعية والسياسية الأمريكية وإدراكه لعناصر الضعف الكامن فيها ثم شعوره بالعجز إزاءها وعدم إمكانه تصحيحها أو اجتذابه للرأى العام كي يساعده فى ذلك ، وربما كان هذا هو مصدر الاحساس الذى لازمه بالاحباط والضيق والتشاؤم .

فهو يرجع ما يعتبره التراجع والتخلف المعنوي والأخلاقي للمدنية الأمريكية الى سيطرة صناعة الاعلان على عملية الاتصالات ، الأمر الذي اعتبره شرا كبيرا ومأساويا لأنه يلوث المضمون الكلي للمعلومات التي تتدفق على المجتمع وتفسد وتسمى استخدام ذكاء المستمع والمشاهد وتحول انتباه الشعب عن الحقائق ، وحتى المناسبات الرياضية يراها تتحقق من أجل الكسب المادى وتبدو بشكل أقرب الى المباريات بين المبيد التي كانت تجرى لامتاع الناس قرب نهاية الامبراطورية الرومانية .

كذلك نال النظام السياسى الداخلى فى الولايات المتحدة اهتمام كينان من زاوية أثاره على ممارسة السياسة الخارجية الأمريكية والقيود التي يفرضها عليها وعلى أهدافها القومية على المدى البعيد ، وهو يستخدم وقائع من خبرته السياسية وتجربته الدبلوماسية لكي يدلل على الأضرار التي تلحقها طبيعة النظام الداخلى على أهداف السياسة الخارجية ، بحيث تبدو هذه السياسة غير متماسكة ، ومصدر هذا هو أن الساسة المشرعين يخضعون عملية السياسة الخارجية لأهدافهم السياسية الداخلية ، وان كان يعترف أن هذا من مرادفات الحكم الديمقراطي ، هو حكم يراه ضروريا لحكم أمريكا باتساعها الجغرافى وتنوعها . ومادام الأمر كذلك ، ومع القيود التي يفرضها هذا الواقع على ما يجب أن تفعله فى حقل السياسة الخارجية ، فإن السياسة الأمريكية يجب أن تفعل ما فى وسعها لكي تتصرف على أساس من ضبط النفس .

غير أن كينان لا يريد أن يوحى هذا بأنه يدعو الى سياسة العزلة والتي لها معان غاية فى الخطورة ، ولكن ما يعنيه هو أن أمريكا يجب أن تتبع سياسة الاهتمام بشئونها الخاصة بالقدر الذى تستطيعه ، وان كان لا يقصد بهذا أن تهجر أمريكا فجأة التزاماتها وحلفاءها الأوربيين ، ولكنه يشعر أن أمريكا يجب ألا تتحمل التزامات جديدة وأن

تخفّض بشكل تدريجى التزاماتها القائمة وان تبتعد عن التورطات البعيدة • ويفسر كينان دعوته تلك بأن أمريكا ليس لديها شيء تعلمه للعالم ، وان عليها أن تعترف أنها لا تملك الاجابة على مشكلات المجتمع الانسانى فى العصر الحديث ، بالاضافة الى أن لكل مجتمع صفاته الخاصة به والتي لا تستطيع أمريكا أن تفهمها جيدا • وما يود كينان أن يراه هو أن تحاول بلاده التأثير فى العالم اذا استطاعت بقوة النموذج والى المدى الذى ترغب فيه شعوب أخرى أن تأخذ به وأن تتبعه اذا وجدت أنها يمكن أن تطبقه على نفسها • ولكن كينان يرفض بشكل أكيد مفهوم عالمية التجربة الأمريكية ، فالخبرة القومية الأمريكية لم يشارك ولن يشارك فيها أى بلد فى المستقبل ، فهي خبرة فريدة لن تتكرر ، وهى لهذا غير قابلة للتطبيق على أى مجتمع آخر •

ولا يقتصر نقد كينان على جوانب الحياة الأمريكية وحدها ، وانما يشمل أيضا الحضارة الغربية عموما فى بلاد أوروبا الغربية حيث يرى أنها قد أصبحت فى حالة ادمان لراحتها المادية ، وأصبحت تقدر بشكل كبير قيم الرفاهية والرخاء بدرجة تجعل من الصعب عليها بذل التضحيات اللازمة ، ويضرب كينان مثلا على ذلك بمعجز بريطانيا عن تحسين انتاجها الصناعى أو بناء نظم التقانات العمالية على أسس حديثة ، ومعجز بلدان مثل الدانمارك أو هولندا عن وضع حد لغزو المواد الجنسية التى سادت مجتمعاتهم ، ويجد فى هذا المعجز افتقارا الى الثقة بالنفس واختلاطا فى القيم — وهذا يعنى فى رأى كينان أن التحدى الذى يواجه أوروبا ضخم وشامل وأن الاستجابة له ضعيفة — بشكل يثير الشفقة — وربما غير قائمة •



حين يقارن كينان دوره كدبلوماسى بل كمستشار للرؤساء بدوره كمؤرخ يشعر بشكل كبير بالراحة بدوره

كمؤرخ يعيد بناء فترات وبيئات حضارية وسياسية أكثر ألفة له من الحاضر ، ولهذا فإنه كان سيكون سعيدا لو كان قد تفرع تماما كمؤرخ . وفى كل فترات الاحباط التى مرت به خلال عمله السياسى والدبلوماسى كان كينان يلجأ الى التاريخ « باعتباراه الملائم المشترك لهؤلاء الذين يجسدون أنفسهم عاجزين أمام الحاضر » وهكذا كانت دوائر كينان ذات أبعاد أربعة : فهو يهجر العمل الحكومى الى التاريخ لعله يؤثر فى الحاضر ، ولكنه كان يعود الى الماضى لأنه يرى زمنه قد أصبح مؤلما وغريبا بدرجة كبيرة .

الى جانب هذا الارتباط بالتاريخ كان كينان يتحدث بشغف عن اهتماماته الادبية ، يبدو هذا فيما كتبه عن زيارته لبیت تولوستوى عام ١٩٥٢ والذى مزج فيه بين الأسف لما كان يتمناه وبين الاحساس بالواجب تجاه ما اختاره من عمل كدبلوماسى « لقد شعرت بالارتباط بمالم كنت أشعر باستمرار أننى حقيقة أنتمى اليه بجماع قلبى وطبيعتى أكثر مما أنتمى الى عالم السياسة والدبلوماسية الذى دفعنى اليه القدر » .

ويمثل القدر بالنسبة لتجربة كينان احساسا عميقا بالرغم من الأخطار التى تنطوى عليها السياسة الدولية من خلال ما اختبره ومر به وعاشه من تجارب . فبعد عامين من تخرجه فى جامعة برنستون كان يشاهد فى هامبورج صراع جمهورية فيمار فى ألمانيا فى مواجهة ما خلفته الحرب العالمية الأولى . وبعد حقبتين عاد كينان الى نفس المسرح لى يشهد « الخراب الشامل ، والتدمير الضخم اللامبالى للحياة المدنية وما بنته الأيدي البشرية بجهدا عبر القرون ، وهو ما جعل واضحا بالنسبة لى وبالنسبة لكل شخص أو فكر أن عالمى وعالم أطفالى فى خطر حقيقى » .

وقد كانت الدروس التى استمدتها من هذه التجربة عديدة ، وكان من بينها ما كان يمكنه تسميته بنظرية النتائج

المتداعية للتاريخ Snowball Theory والتي تركز على أن القضايا الكبيرة مثل السلام والحرب والازدهار والانحدار نادرا ما تقدم نفسها بهذه الصورة ، ولكنها تأتي متخفية في الاختيارات اليومية للشعوب والحكومات ، وأنها نتيجة لهذا لا يخطط لها بشكل جيد بحيث « ان حدثا ما يؤدي الى الآخر. وكل خطأ هو بمعنى ما نتاج كل الأخطاء ، التي وقعت من قبل ، وبحيث يصبح كل خطأ يقرر كل أخطار المستقبل ، وهكذا فان عملنا في حقل السياسة الخارجية هو عمل تراكمي » .

بهذه النظرة للأحداث الانسانية لم يكن من الممكن على كينان أن يظل متباعدا ، فقد كان يطنى عليه الاحساس بأزمة الأمم ، كما كان بالغ الحساسية لعمل وتأثير التيارات العريضة والقوى الواسعة ، وأكثر من هذا كان متأكدا من أن تحليلاته هي من الدقة بحيث لا يمكن أن يحتفظ بها لنفسه . وهذا النمط الجاد من الناس الذي يسميه الفرنسيون *Sérieux* يسر بشكل حقيقى بمعب ما يحمله من أفكار ونظرات - وهو ما ميز كل مراحل حياة كينان العملية - وكان يقع في قلب هذا الشعور اعتقاده بأن السياسة الخارجية الأمريكية وكذا المجتمع الأمريكى بوجه عام يمانيان من ثغرات مأساوية .

ورغم أن كينان قد استدرج الى الحياة العامة بدافع من ضميره الا أنه لم يشعر كما سبق أن آشرنا بالراحة في مجتمعه وزمنه ، وهو دائما يشبه هنرى آدمز « حيث يشمر بالازدراء لكل شكل من أشكال القبح ، والدوق السقيم أو عدم احترام التقاليد » وهو شغوف بأن يشبه دائما ببيرك وجيبون . وزيادة على هذا فهو يشعر بالالتزام لأن يقدم نموذجا شخصيا للاعتدال والتهذيب ويقول : « اننى أشعر بشكل عميق بأن الرحمة والكرم فى سلوكنا الشخصى وعدم

تصرف الانسان بشكل حيوانى تجاه الآخرين حتى ولو عن طريق رد الفعل ، هى صفات أخلاقية وعملية الى أعلى مستوى » • ومثل هذا الاعتقاد ينشأ من كونه رجلا على خلق رفيع ، وهو منذ تقييمه للبشر والمستوياتهم يشعر بشعور راسخ بالانتماء للصفوة ، فى هذا يقول : « ان المرء يجب أن يميز بين الاستعدادات الفردية للبشر ، فهناك دائما أقلية صغيرة (ربما بين ١٥ - ١٠٪) تمتلك قيما ثقافية وحساسية أكثر من الجماهير المريضة فى مجتمعهم ، وأنه من المهم جدا معرفة كيف تتصرف هذه الأقلية ، وبخلاف ذلك هناك جمهرة الناس (ربما ٧٠٪) الذين يشكلون السلوك العادى للبشرية بضعفها وقوتها ، وعلى الطرف البعيد ثمة أقلية من الأشرار » •

وكما سبق وأشرنا فانه يبدو أن كينان كان مقدرًا عليه أن يعيش حياة الوحدة الثقافية والفكرية فى معظم حياته الدبلوماسية ، وسوف نلاحظ هذا الاحساس بالوحدة فى جزمى مذكراته وفى ذكرياته منذ أن تخرج والتحق بالعمل الدبلوماسى حتى رحيله الحزين من الخدمة الدبلوماسية عام ١٩٥٣ • وبعد تجربته الفاشلة وخروجه من موسكو شخصا غير مرغوب فيه ، قال عن نفسه وهو يفادر وزارة الخارجية الأمريكية للمرة الأخيرة : « بدا لى أنه من الطبيعى بعد أن أكمل المرم ٢٧ عاما من الخدمة فى هذه المؤسسة أن أقول وداعا لشخص ما قبل أن أغادرها • • ونظرت حولى فلم أجد ابتداء أنى قادر على أن افكر فى أحد » •

ويحق لنا أن نتساءل عما أدى بكينان الى هذا الطريق الموحش وهذا الشعور المميق بالوحدة والغربة عن بيئته ، وما هى الفجوة بين الأمل والواقع التى تركته على هذا النحو من القتامة ؟ • من أجل التوصل الى اجابة علينا أن نرجع الى فلسفة كينان • كتب والتر ليبمان مرة « ان فلسفة الانسان هى تاريخ حياته ، قد تقرأها فى قصة صراعه مع الحياة »

أما مع كينان فان الأمر يختلف ، فهو يقول : « لم أقم بأى محاولة لتلخيص النظرة التي أدت الى هذه الخبرات المختلفة ، ولكى أفعل هذا فانه يعنى الاعتماد كلية عن طابع ذكرياتى وان أقوم ببحث أو دراسة عن فلسفتى .. واعتقد أن جانباً من هذه الفلسفة سوف يتألق من خلال ما رويته عن الفترات الماضية » .

وبعبارة أخرى فان تاريخ حياة كينان — كما رواه فى مذكراته — هو فلسفته حيث رفض بثبات أن يعرض وجهات نظره بشكل منتظم ، رغم أنه فى أوقات قليلة قد ابتعد عن هذا الخط فى اتجاه ما سماه « التعبير عما يمكن وصفه بفلسفة شخصية » .

على أية حال فاذا كنا قد أوردنا فى هذا الفصل ما انتاب كينان وعبر عنه فى فترات من حياته من احساس بالوحدة الفكرية وعدم الانجاز المهني واقتقاده لما كان يتطلع اليه من أن يرى أفكاره ذات تأثير فى بيئته وفى سياسات بلاده ، فريما كان هذا الشعور له ما يبرره فيما قابل كينان من نهايات غير سميده فى منصبين رئيسيين تولاها فى حياته الدبلوماسية : حين طلب منه أن يفادر موسكو كشخص غير مرغوب فيه فى أوائل الخمسينات حيث كان يشغل منصب السفير ، وحين اضطر هو أن يطلب انهاء مهمته كسفير فى بلاده فى يوغوسلافيا فى أوائل الستينات حين شعر أنه لا يستطيع أن يكون مفيداً فى منصبه ازام تدخل الكونجرس الأمريكى بتشريعاته التى أضرت بملاقات بلاده مع يوغوسلافيا - وعلى المستوى الفكرى فان وجهات نظره التى حاول بها أن يعلم ساسة بلاده ومؤسساتها كيف يفهمون على أساس عاقل الواقع والثقافة السياسية والتاريخية لروسيا وللنظام السوفيتي ومحدداته ودوافع تجاربه وكيف يتعاملون معها وخاصة فى ضوء أخطار العصر النووي ، لم تكن يصفى لها ، وفى فترات كثيرة كان يرى علاقات بلاده مع هذه

القوة تصل الى حد المواجهة وسباق التسلح معها ، الأمر الذى يؤدى الى مستويات خطيرة ومهددة لبقاء البشرية رغم تحذيراته واقتراحاته لاحتواء هذا الخطر .

على ان هذه الجوانب وان كانت تفسر مصدر شعوره بالاحباط والوحدة وعدم التقدير العملى لأرائه وافكاره ، لابد أن يقابلها جوانب أخرى تمثل ملاقاه كينان من المؤسسات الفكرية والعلمية والأدبية والصحفية من تقدير واحترام ، فقد منحته جامعات اكسفورد وهارفارد وبرنستون وييل درجة الدكتوراه الفخرية ، كما نالت معظم كتبه جوائز محترمة مثل جائزة بوليتزر وجائزة الكتاب القومى ، وأنشأ معهد ودرو ويلسون مركزا باسمه للدراسات الروسية العليا : The Kennan Institute for Advanced Russian Studies . كنتيجة لجهوده فى هذا المجال .

ومن المفارقات أن يصدر آخر تقدير يناله جورج كينان من المؤسسة التى ظل ينتقدها وينتقد تدخلها فى السياسة الخارجية الأمريكية وينتقد معها شخصياتها وأساسهم الثقافى والفكرى ، ونمنى بذلك الكونجرس الأمريكى . فقد كان كينان فى مقدمة من دعتهم لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ للتحديث عن العلاقات السوفيتية الأمريكية ومستقبلها بعد التحولات التى أتى بها جورباتشوف ، فى جلسة الاستماع الأولى التى عقدت لهذا الغرض فى ٤ أبريل عام ١٩٨٩ قدم أحد أعضاء اللجنة (السيناتور جوزيف سايمون) كينان بقوله : «أود أن أعرب لك عن التقدير والاعجاب للجهود التى بذلتها طوال حياتك لبث العقل والقوة التى تأتى من العقل فى السياسة الخارجية الأمريكية » . ان آراكم ووجهات نظرك لم يصغ لها دائما خلال الستين عاما السابقة ولكنك قد عبرت عنها بوضوح وبلاغة وبمنظرة شاملة للتاريخ

وبالوضوح الذى كان القليلون قادرين على التعبير به . وقد فعلت هذا بغض النظر عما هو شائع وما كان يسود من أفكار سياسية ، واعتقد أنك بذلك قد قدمت مساهمة ضخمة لأمتك ، وأحييك على هذا وعلى أنك كرسيت نفسك للمخدمة العامة ومازلت تواصلها » .

ومثلما تلقى كينان مثل هذا التقدير فى آخريات إيامه فى بلاده ومن داخل مؤسسة هامة فى صنع سياستها ظل مختلفا معها ومنتقدا لدورها فى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية ، فقد صادف مثل هذا التقدير أيضا وفى مثل هذا الوقت المتأخر من عمره من الجانب الآخر الذى نظرت إليه يوما نظرة عدام بل وخرج منه شخصا غير مرغوب فيه ونمى به الاتحاد السوفيتى وقادته . ففى زيارة قام بها الزعيم السوفيتى جورباتشوف لواشنطن فى يونيو عام ١٩٨٧ التقى بكينان فى مناسبة اجتماعية ووجد جورباتشوف يفاجئه بقوله : « اننا فى بلادنا نعتقد أن الانسان يمكن أن يكون صديقا لبلد آخر ولكنه يظل فى نفس الوقت مواطنا مخلصا وعلى ولاء لبلده ، وهذه هى النظرة التى ننظر بها اليك » .

الفصل الثاني

بين الدبلوماسية والحياة الأكاديمية

التحق جورج كينان بجامعة برنستون عام ١٩٢١ وهي الجامعة التي ستكون ملجأه الأكاديمي حين تخذله حياته العملية فيما بعد . وكان التحاقه بها تحولا غير عادى فى حياته حيث كان قد بدأ حياته الدراسية فى كلية سان جون العسكرية ، ويمزى كينان هذا التحول الى ما أحدثته فيه قراءته لرواية سكوت فيتزجيرالد « هذا الجانب من الجنة » فى بداية حياته الدراسية .

وكان وهو الفتى القادم من الغرب ، غير واثق من قدراته على التعامل والاقتراب من أبناء الشرق ، وهو الذى يتراوح سلوكه بين التباعد والتحفظ وبين الحساس المتدفق، كما تميز منذ البداية بصفة ظلت تلازمه طوال حياته حيث كان أبطأ وآخر من يدرك القواعد والشروط التى تحكم العمل فى أى مؤسسة .

ولا يذكر كينان أنه قد تكونت بينه وبين استاذ له فى برنستون علاقة وثيقة خارج نطاق الفصل ، أو أن أحدا منهم قد ترك أثرا أيديولوجيا خاصا عليه ، ولكن كان هناك بالطبع من حمل وظل يحمل لهم احتراماً عظيماً لقدراتهم الثقافية وتكامل شخصياتهم ودخلوا بهذا المعنى فى نسيج وتكوين شخصيته . من هؤلاء كان Royman Soutage أستاذ التاريخ والدبلوماسية الأوروبية والذى كان أسلوب الشك والتساؤل والاعتماد عن الوهم هو مدخله الى موضوعه ولكن دون أن يفقد المثابرة للبحث عن الحقيقة . وكان منهم

أيضا J. Green الذي كان يهدف بمقدمته التاريخية أن يقدم لتلاميذه فكرة عن أثر المناخ والجغرافيا والمواد الأولية على طبائع المدن والحضارات البشرية .

وقد غادر كينان برنستون مغمورا وبلا ضجة كما دخلها ، بل انه لم يشارك في الاحتفالات النهائية التي تصاحب التخرج فيما عدا الاحتفال بتسلم شهادة التخرج النهائية وسارع بعدها الى الاختفاء . ويصف كينان شخصيته وتكوينه الثقافي في هذه المرحلة بأنه كان شابا عاديا تهاجمه لحظات الضعف والمشاعر العادية في حياة أى شاب وأنه كان حالمًا ضعيف الإرادة وعلى شيء من الجبن في العلاقات الشخصية . وحين غادر برنستون كان قد تلقى تعليما جيدا الا أن يقطعه العلمية لم تكن قد اكتملت وان كانت برنستون قد أعدت عقله لمزيد من النمو .

وحين أنهى كينان دراسته قرر الالتحاق بالسلك الدبلوماسي الذي كان قد تأسس لتوه بشكل متكامل عام ١٩٢٤ بعد أن كان قائما في صورة خدمة دبلوماسية وخدمة قنصلية . ويذكر كينان أن قرار الالتحاق بالسلك الدبلوماسي قد أملاه شعوره بأنه ليس هناك شيء آخر يفعله وأنه خلال سنواته النهائية في الجامعة قد استمتع بدراسة السياسة الدولية وتقدم فيها ، فضلا عن أنه لم يكن يشعر بأن شيئا يجذبه في موطنه الأصلي ميلواكي وخاف أن يستدرج الى وظيفه روتينية . وقد اعتبر كينان أن قراره هذا كان موقفا خاصة بالنسبة لشخص قليل الخبرة يفتقر الى المعرفة عن نفسه وعن العالم ، فلم يكن هناك مكان أفضل من الخدمة الدبلوماسية يقدم له نوعا من الحماية والرعاية والتدريب ، وكان ما أتاحته له الخدمة الدبلوماسية بالفعل من تعدد المشاهد والدوافع الثقافية الكثيرة والتأمل في حياة شعوب أخرى وطريقة عمل حكوماتها ونظمها ، كل هذا ساعد في توسيع آفاقه وهو الذي كان يطبعه خجولا بدرجة لا تسمح له بأن يلجأ أو يواجه أسئلة كثيرة .

أمضى كينان شهره السبعة الأول في السلك الدبلوماسي - خريف عام ١٩٢٧ - وقد جنى بعض الخبرة في العمل القنصلي ، وتمتع بالحياة في جنيف مع أسرة عريقة ومارس التدريب اليومي على اللغة الفرنسية ، ومع نهاية الصيف غادر كينان الى أول منصب دائم له في هامبورج ، وهنا أيضا لم يمتكث كثيرا ، فقد كانت هامبورج وقتها أعظم ميناء في القارة الأوروبية وكانت في الواقع مدينة الديمقراطيين الاشتراكيين وصاحبة أعظم خبرة في الواقع في تحقيق الاشتراكية الانسانية . وفي هامبورج وبخلاف أى مكان آخر ربما باستثناء برلين كانت المحنة المعنوية والفكرية لجمهورية فيمار تجرى يوميا كالدراما أمام البصر ، وكانت بالنسبة لكينان حقا شيئا مبهرا . وللمرة الأولى في حياته أصبح مشغولا بالتفكير في الأحداث خارج نطاق ذاته ، وبدأ يحضر المحاضرات المختارة التي كانت تعقدها بلدية المدينة ويستيقظ مبكرا في الصباح لقراءاته الخارجية قبل أن يتوجه الى مكتبه ليمارس عمله ككاتب قنصل معني بالبواخر والبحارة الأمريكيين ورعاية شئونهم ، ولم يضيع فرصة للتواجد في الميناء بل وان يمضى يوما كاملا من الصباح حتى المساء فوق إحدى البواخر . وبالنسبة له ظلت ذكريات الشهور الستة التي قضاها في هامبورج حية لا تمحى ، وكانت ذات أثر عميق على الصورة التي شكلها عن أوروبا لما بعد الحرب العالمية الأولى . غير أن هذه الشهور اقنمته أنه قبل أى شيء آخر فان عليه أن يستمر في مواصلة تعليمه الرسمي والالتحاق ببعض الدراسات العليا ، ولهذا أعلن عن رغبته في الاستقالة وأبحر عائدا الى واشنطن لاستكمال اجراءاتها، وعند وصوله الى الخارجية الأمريكية ، قابل أحد شخصياتها وكانت هذه المقابلة تحولا لصالحه ، فقد التقى بأحد أساتذته في المعهد الدبلوماسي الذي التحق به عند دخوله الخارجية والذي كان له بمثابة « الملك الحارس » فقد أقنعه بأنه لا حاجة له للاستقالة لكي يواصل تعليمه وأنه اذا كان راغبا في أن يتلقى تدريباً للتخصص في إحدى اللغات الصعبة مثل

الصينية أو اليابانية أو العربية أو الروسية فإن بإمكانه الحصول على فترة دراسية لمدة ثلاث سنوات فى إحدى الجامعات الأوروبية دون أن يترك الخدمة الدبلوماسية على الإطلاق .

وكان هذا تحولاً حاسماً فى حياة كينان حيث قرر أن يدرس اللغة الروسية ، وكان اختياره لها يرجع من ناحية إلى أنه لم تكن هناك وقتها علاقات بين بلاده وروسيا وأنه كان من المنطق أن يفترض أن معرفته اللغة الروسية ستقدم له فرصة العمل فى روسيا حين تنشأ معها مثل هذه العلاقات ، ومن ناحية أخرى كانت فى ذهنه تقاليد أسرته حيث عاش أحد أجداده فى روسيا وكان معنياً بشؤونها ، وبالفعل قبل طلبه لكي يتلقى تدريباً متخصصاً فى الحقل الروسى وسافر بالفعل فى صيف عام ١٩٢٨ لى يبدأ هذه الدراسة .

مرت خمس سنوات ونصف منذ أن اختير كينان للتدريب والتخصص فى اللغة والشئون الروسية . وقد انقضت هذه السنوات أما فى برلين أو فى عواصم البلطيق تالين وريجا ، وكانت ذكرياته عن هذه الفترة من الصعب الكتابة عنها حين جلس يدون مذكراته ولم يذكر إلا أنه خلالها قرأ كثيراً جداً كما كتب الكثير ، ولكنها كتابات كان معظمها عن رحلاته وانطباعاته عن هذا المكان أو ذاك ولكن جميعها كان لها أثر تعليمى عميق لا ينسى .

وكان برنامجها لتعلم اللغة الروسية يقضى بأن يستمر لفترة من ١٢ - ١٨ شهراً تتبعها ثلاث سنوات دراسة جامعية عليها فى إحدى الجامعات الأوروبية . ولما لم تكن هناك علاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فإن الحقل الذى كان سيتعلم فيه اللغة الروسية كان هو مدن البلطيق الثلاث : تالين ، ريجا ، كونسو والتي كانت عواصم استونيا ،

ولاتفيا ، وليتوانيا ، والتي كان للولايات المتحدة مع حكوماتها تمثيل قنصلي ودبلوماسي ، وكانت هذه البلدان الثلاث حتى وقت قريب جزءا من الامبراطورية الروسية ، وعلى هذا فقد كانت الروسية لغة يتحدث بها في العواصم الثلاث كما كان قدر من الحياة الثقافية الروسية مازال سائدا .

وقد بدأ كينان تدريبيه في تالين التي تقع على خليج فنلندا وعلى بعد ٦٠ ميلا من هلسنكي ، وعلى بعد مائتي وخمسين ميلا كانت تقع ليننجراد . وكان المكتب القنصلي الأمريكي في تالين لا يضم الا القنصل - الذي يحمل لقب سكرتير المفوضية وعلى هذا كان معتمدا لدى الحكومة الاستونية - ثم كينان الذي التحق للتدريب . اما الوزير المفوض فقد كان معتمدا كرئيس للبعثة لدى الدول البلطيقية الثلاث ولكن مقر اقامته كان في ريجا ، وكان يحضر من وقت لآخر كزائر لاستونيا وليتوانيا .

وفي بداية عام ١٩٢٩ نقل كينان للعمل في المفوضية في ريجا والتي كانت مدينة اكبر من تالين رغم أنها لم تعد كلية المركز المزدهر الذي كانت عليه قبل الثورة الروسية وان ظلت تحتفظ بما تميزت به من حياة ثقافية عالمية بما تحويه من صحف ومسارح ولغات ألمانية وروسية ويهودية قديمة ، وتجمعات وطوائف مختلفة كالروم والكاثوليك والروس الأرثوذكس واليهود ، وكانت الديانة هي العلامة المميزة للقومية بحيث اذا سألت أحدا عن هويته فسوف يجيبك عن ديانته أكثر من أن يحدد انتماءه لدولة أو بلد معين ، كل هذا أعطى ريجا لقب « باريس البلطيق » . وبالإضافة الى المتع الثقافية كانت لريجا حياتها الليلية القومية المستمدة في كثير منها من تقاليد بترسبرج من حيث نواديها الليلية ومشروباتها بحيث كانت ريجا في نواح كثيرة نسخة مصغرة من بترسبرج ، فإذا كانت بترسبرج القديمة قد ماتت بعد الثورة البولشفية فإن ريجا ظلت حية . وأصبحت

تمثل إحدى الحالات التي عاشت فيها النخبة ، وهكذا أصبحت الحياة في ريجا كأنك تعيش في روسيا القيصرية أو هي المكان الوحيد الذي يذكر بذلك *

وقد شارك كينان في حياته في ريجا في المفوضية زملاء غير متزوجين أيضا كانوا أذكيا وذوى نظرة نقدية. ومحبين للجدل ، في هذا الوقت كانت روسيا السوفيتية المجاورة تمر بأحداثها مثل طرد تروتسكي ونضال ستالين ضد المعارضة اليمينية وبداية سياسة المزارع الجماعية والخطة الخمسية الأولى . كل هذا ظلل عالم البلطيق ومن يعيشون فيه وسيطر على مناقشاتهم وأفكارهم . وفي عطلات نهاية الأسبوع كانت هذه المناقشات تتسع لتشمل قضايا روسيا الكبيرة : الماركسية والرأسمالية ومشكلات الفلاحين فيها .

وفي نهاية صيف عام ١٩٢٩ عاد كينان إلى برلين لكي يبدأ مرحلة الدراسة الأكاديمية المكثفة في الحقل الروسي ، والتحق بجامعة برلين للحصول على الدبلوم فيما كان يسمى Oriental وهو ما كان يسمارك قد أنشأ لتدريب الدبلوماسيين الألمان المبتدئين الذين سيخدمون في الشرق ، وكانت الامتحانات في هذا الدبلوم لا تقتصر فقط على اللغة الروسية وإنما كانت تشتمل أيضا على التاريخ وخاصة الدستور القانوني والجغرافيا الاقتصادية لروسيا . وكان المشرفون على كينان في هذه الدراسة مجموعة من الروس المهاجرين وليسوا أساتذة منتظمين ، وكان كينان يجري معهم مناقشات واسعة ويقرأ عليهم لساعات طويلة ويمسحون عال من الأدب الروسي الكلاسيكي كوسيلة لاحتكام السيطرة على مقاطع نطق اللغة *

ويقول كينان عن فترة حياته في برلين انه ليس هناك الكثير الذي يمكن أن يقوله عنها الا انه كان في مرحلة من حياته لا يفكر في شيء الا اتباع خيالاته وخيالات الشباب المشوشة . وفي صيف عام ١٩٣١ وحين كانت فترته في برلين تقترب من نهايتها تعرف كينان على فتاة نرويجية

كانت تعيش وتدرس في برلين مع أعمام انجليز لها ، وقد خطبها كينان وسافرت الى النرويج لدى تحبير اهلها ولكي يتزوجا هناك . .

وبعد اتمامه لدراسته عين كينان في القسم الروسى في المفوضية الأمريكية في ريجا وامضى فيها الفترة من خريف عام ١٩٣١ حتى خريف عام ١٩٣٣ وكان هذا القسم وحدة بحوث صغيرة ، وحيث لم يكن للولايات المتحدة تمثيل في روسيا فقد كان هذا القسم يتسلم الدوريات السوفيتية الرئيسية ومطبوعات اخرى لدراستها وكتابة تقارير من خلالها الى الحكومة الأمريكية حول اوضاع الاقتصادية ، وهكذا كانت مهمة كينان الأساسية في هذا الوقت هي التقرير الاقتصادي وهو ما وجده شيئا مثيرا للاهتمام فاداه بحماس اصبح يشك بمدى انه كان يثير اهتمام زملائه اللامبالين في الخارجية الأمريكية ، الا أن هذا مكّنه من ان يطور معارفه عن الاقتصاد السوفيتى . وبوجه عام كانت فترة عمله في ريجا مواصلة لفترة دراسته فلم تكن تتضمن واجبات محددة أو مسئوليات نشطة ، ومع هذا فقد كان بشكل ما يساهم في صياغة سياسة أمريكية حين ستنظر الولايات المتحدة في اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى ، ولادراكه لاقترب ذلك عكف كينان على دراسة الاتفاقيات التجارية التى عقدها روسيا السوفيتية مع الحكومات الأخرى في فترة عشر السنوات الماضية مركزا على ما قدمته هذه المعاهدات من حماية المصالح الأخرى ، ووضع نماذج هذه الدراسة في تقرير بعث به الى واشنطنون في أبريل عام ١٩٣٣ ، وكان مما أسعده أن يكتشف فيما بعد أنها كانت ذات نفع في المفاوضات التى جرت في نوفمبر عام ١٩٣٣ مع وزير الخارجية السوفيتى ليتفينوف Maxim Litvinov عند مناقشة اجراءات وشروط الاعتراف الأمريكى بالحكومة السوفيتية .

وقد امضى جورج كينان السنوات التى أعقبت مباشرة اقامة علاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى في

موسكو ، وكانت هذه السنوات مثل سابقتها في ريجا وفي برلين استمرارا لتجربته التعليمية ، فقد توافق وجوده في اجازة في واشنطن حين كانت تجرى المفاوضات مع لیتمينوف واعلان الاعتراف بالاتحاد السوفيتي وبعد يومين من اتمام المفاوضات قدمه صديق له الى المسر William Bullitt وقد غمره السفير الجديد بالأسئلة وتبين له انه يتحدث الروسية كما وجد لديه بعض الاجابات حول اسئلة كانت تدور في ذهنه حول الاقتصاد السوفيتي ، وكانت النتيجة انه حين سافر الى موسكو لتقديم اوراق اعتماده اصطحب كينان معه كمساعد ومترجم له .

وعند اكتمال بقية أعضاء السفارة الأمريكية في موسكو عمل كينان سكرتيرا في البعثة الجديدة واستمر فيها حتى صيف عام ١٩٣٧ ، ويقول كينان ان الكلمات سوف لا تسمعه في وصف مشاعر الاثارة والاستمتاع والانبهار والاحباط أيضا التي صاحبت هذه الخدمة ، كذلك يذكر مجموعة الأصدقاء الذين عرفهم وقتها سواء من أعضاء السفارة الأمريكية أو صحفيين امريكيين أو أعضاء في سفارات غربية وخاصة الألمانية والفرنسية والاطالنية ، وهم الأصدقاء الذين ظلوا أصدقاء طوال العمر ومهمهم واصل خلال سنوات اقامته بموسكو ، بشكل مكثف ، المناقشات التي كانت قد بدأت في ريجا حول الحياة والسياسة الروسية وأحداثها . وفيما يتعلق به فلم تكن هناك من تجربة أشملت ذهنه وزادت من دقة أحكامه حول مشكلة الشيوعية الروسية أكثر من هذه المناقشات الگيومية واستكشافاتها ، غير أنه مع تعدد هؤلاء الأصدقاء فان كينان يذكر منهم اثنين : لوى هندرسون Loy Henderson زميله السابق في مفوضية ريجا والذي رغم أنه لم يحصل على أى تدريب في الحقل الروسى إلا أنه بذكائه واخلاصه وشموهه بالمسئولية وضميره اليقظ نجح ليس فقط في أدائه لواجباته وانما أيضا في كبل ما بذله

للتعامل مع المشكلات التي تنشأ بين بلاده وبين روسيا السوفيتية ويشكل ترك أثرا في كل من ارتبط به ، وخلال فترات غياب السفير كان هندرسون يتولى القيام بأعمال السفارة وخلال ذلك كان يقدم النموذج بتكرسه لعمله وشجاعته الأدبية . وقد عمل هندرسون بعد انقضاء سنوات موسكو ١٩٣٤ - ١٩٣٨ رئيسا لقسم شرق أوروبا في الخارجية الأمريكية ورئيسا لقسم الشرق الأدنى ثم سفيرا في العراق والهند . أما الشخصية الثانية التي يذكرها كينان فهو تشارلز بوهلين وكان زميله في التدريب في الشؤون الروسية وكانا يعتبران الأوائل في هذا المجال ، ويستعبر كينان في وصف صداقته مع بوهلين مقالته بوخارين في محاكمته « ان الصداقة الثقافية هي أقوى الروابط بين الرجال » . وكانت علاقة كينان ببوهلين في سفارة موسكو في الثلاثينات بداية صداقة فكرية ستستمر طوال العمر وتمثل بالنسبة لكينان على الأقل صداقة فريدة في نطاقها ووقتها ، وقد ظلت السياسة الروسية والمسرح الروسي يمثلان الاهتمام الأساسي في حياة بوهلين الدبلوماسية والعملية ، وبهذه الصفة عرف كمستشار ومترجم للرئيس روزفلت خلال الحرب العالمية الثانية ثم بعد هذا سفيرا في الاتحاد السوفيتي وفرنسا . ويصف كينان صداقته مع بوهلين بأن الحياة قد جعلت منه ومن بوهلين أشقاء في الفكر والثقافة وليست هناك صداقة تعني بالنسبة له أكثر من هذا .

وكينان بعد مرور قرابة عام من بدء عمله وبدء العلاقات الرسمية بين واشنطن وموسكو ، يسجل ما سيعتبر تطورا أساسيا في المسرح السيامي الداخلي في الاتحاد السوفيتي والتاريخ الروسي الحديث والذي سيظل الحياة الدبلوماسية في موسكو وأداءها ، ففي ديسمبر عام ١٩٣٤ اغتيل سيرجي كيروف Sergei Kirov رئيس منظمة الحزب الشيوعي في ليننجراد والذي كان واحدا من أقوى الشخصيات في القيادة السوفيتية وكان ينظر إليه كخليفة محتمل لستالين ،

وقيل ان كيروف رغم تكتمه وتحفظه فى أن يأخذ أى موقف علنى من أسلوب ستالين فى الحكم وخاصة تجاه معارضيه ، إلا أنه كان معروفا داخل القيادة أنه يعارض أسلوب ستالين فى الحكم ، ولهذا فقد بدأ يبدو وكأنه أمل هؤلاء الذين كانوا يتخوفون من أسلوب الرعب فى معالجة الخلافات داخل الحزب . ويصور حادث اغتيال كيروف على أنه بداية عمليات التطهير الشاملة التى تمت فى الثلاثينات التى ظلمت سماء روسيا ونشرت الخوف والشكوك والرعب والادانات غير المحققة التى استمرت ربما حتى وفاة ستالين عام ١٩٥٣ . غير أنه مع هذه الظروف السياسية التى عاقت الأداء غير المريح بل والأليم للعمل الدبلوماسى فقد كان فيما يتذكر كينان ثمة مجالات أخرى للتعرف والارتباط بالحياة الروسية ، كان هناك المسرح والأحداث الرياضية والمناسبات العامة من كل نوع التى كان يمكن فيها الاختلاط بالانسان الروسى المادى خاصة إذا كان المرء يتحدث الروسية حيث كان من الممكن أن يستوعب قدرا أكبر مما كان يدور ، ثم كان هناك السفر والتنقل الى ليننجراد والجنوب والقوقاز ورحلات عبر نهر موسكو ، وبالنسبة لمن يعيشون تشيكوف فقد كان من الممكن زيارة الأماكن التى عاش فيها ، كذلك هناك الرحلات الى الريف لاكتشاف ما آلت اليه بعض كنائس المصور الوسطى الجميلة .

وحين ينظر كينان الى هذه الأيام فى موسكو فى منتصف الثلاثينات فإنه يعتبر أن ما اكتسبه فيها هو الشعور بروسيا الجديدة كما بزغت من معن المزارع الجماعية وخطة السنوات الخمس الأولى وعمليات التطهير . غير أن كينان اعتبر أن أوجه النقص الكبيرة بالنسبة له هى فى قلة معرفته بتاريخ الحركة الدستورية الروسية ، الأمر الذى لم يكن من الممكن عدم الالمام به ، فالأعمال العظيمة لـ أ . هـ . كار E. H. Carr وليونارد شاپيرو Leonard Shapiro وايزاك دويتشر Isaac Deutscher وفرانكو فينتورى Franco Venturi لم تكن متاحة بعد ولم يكن لدى أحد الفراغ لاجراء البحوث التى

اجراها هؤلاء الدارسون العظام فيما بعد ، ولكن حتى بدون هذه المعرفة فقد ادرك كينان ان احدا لم يكن ليمش في روسيا في هذه الفترة ويعمل بالسياسة دون ان يكون لديه اساس سليم حول طبيعة الستالينية .

ومن الملاحظات التي يسجلها كينان عن نفسه وعن اتجاهاته في هذه الفترة عن عمله في موسكو من ١٩٣٣ - ١٩٣٧ انه لم يكن لديه أساسا تعاطف نحو التجربة السوفيتية كما حدث لبعض الذين راقبوا تجربة الحكم والسلطة السوفيتية في سنواتها الاولى ، لذلك لم يكن مقتنه لنظام حكم ستالين نتيجة لتبدد وهم قائم ، فهو لم يمر « بالفترة الماركسية » التي مر بها البعض ، وفي بعض الاحيان كان كينان يظن أنه ربما كان من الأفضل لاتجاهاته لو كان قد مر بمثل هذه الفترة .

في هذه المرحلة من عمله يذكر كينان من اهتماماته وكتاباتاته الشخصية والدراسية عمليين : الأول هو ما أسماه «مشكلة الحرب بالنسبة للاتحاد السوفيتي» . في هذه الورقة حاول كينان ان يصور رؤية الحكم السوفيتي للحكومات الأجنبية ونظرة الشك والترقب بل وربما العداء لها . ثم يرسد جهود الحكم السوفيتي نحو التسليح ، الأمر الذي كان يطنى على سياسات رئيسية في الزراعة الجماعية وخطية السنوات الخمس الأولى ، ثم تناول كينان روح التمصب القومي والعداء نحو ما هو أجنبي والشك فيه ، غير أنه قد صاحب هذه السياسة عدم الاستعداد لأي شكل من أشكال العداء المسلح ، الأمر الذي جعل ستالين يعقد اتفاقيات عدم الاعتماد مع دول مختلفة ، ووطد عضويته بمصبة الأمم . وقد فسر كينان هذه الاتجاهات على أنها لا تعكس الرغبة في تفادي الحرب ونشوب حرب عالمية أخرى أكثر منها الرغبة في أن يحارب الآخرون بعضهم البعض . أما الدراسة الثانية فقد كانت تدور حول المستقبل البعيد المدى للعلاقات الأمريكية السوفيتية ، وحاول فيها أن ينظر الى ما أبعد من عهد ستالين وما يمكن توقعه من تطور العلاقات الثنائية بين

البلدين • فى هذه الدراسة أخذ كينان فى الاعتبار بمصر
أوجه التشابه بين البلدين : التشابه فى موقع البلدين نحو
شواطئ الباسفيك فى القرن التاسع عشر ، وخبرتهم المشتركة
لتوسيع جندورهم الى مناطق غير نامية ، والقاء العبودية فيهما
فى وقت واحد ، والتشابه فى تقدمهم الصناعى الحديث •
وحقيقه أنه فى كلتا الحالتين فان التقاليد الأدبية هى فى
الاساس تقاليد القرن التاسع عشر والتي تأثرت بأوروبا وان
كانت لم تستسلم لها • الى جانب أوجه التشابه هذه رصد
كينان عناصر الخصومة بين البلدين وخاصة فى المجال
الاقتصادى والميل العام للحكم الروسى الى تفضيل ابقاء
شعبهم فى الظلام أكثر من المخاطرة بتعريضهم للثقافة
والافكار الأجنبية - وسياسيا عاد كينان الى التاريخ الروسى
لكى يتعمق أصول المشكلة التقليدية وعدم الثقة لدى
الحكام الروس ، كما كان عليه أن يزن اثر المناخ على
الشخصية الروسية ونتاج الاتصال لمدة قرن مع القبائل
الآسيوية والطابع الجغرافى للبلد وهو الطابع غير الملائم
للسيطرة الادارية والوحدة الوطنية والثقة بالنفس • وقد
دفعته نتائج هذه الدراسة الى الشك فى أن مستقبلا مبشرا
يمنتظر العلاقات الأمريكية الروسية وان كان لم ييأس من
امكانية ايجاد قدر محدود من التعاون بين البلدين الا أنه
اقترح أنه حتى لتحقيق هذا القدر من التعاون وبشكل فعال
فان هذا يتطلب أن يتولى هذه العلاقة على الجانب الأمريكى
رجال لديهم الفهم والمؤهلات اللازمة لهذه المهمة ، موهبة انكار
النفس والخلفية الثقافية الجيدة والتواضع الثقافى تباه
تعتقد العالم الروسى وفوق كل هذا طاقة غير عادية من الصبر ،
وانتهى كينان الى أنه ان لم يوجد مثل هذا النمط من
رجال لديهم الفهم والمؤهلات اللازمة لهذه المهمة ، موهبة انكار
من سلسلة طويلة من سوء الفهم وخيبة الأمل وتبادل الاتهامات
بين الجانبين •

وتحدث كينان عن أول سفير أمريكي في موسكو وهو W. Bullitt فيقول انه رغم حقيقة ان اى سفير في الخارج لا يتعرض للنظرات الفاحصة والناقدة بأكثر مما يتعرض من زملائه المتحفظين - وان اظهروا الاحترام من الخارج - الا أنه وزملاءه في السفارة لم يحدث أن شعروا مرة بالخجل منه ، غير ان أعظم نقاط ضعفه كدبلوماسى هو عدم الصبر ، فقد أتى الى روسيا بأمال عالية وأراد أن يراها تتحقق مرة واحدة ، ولم تكن هذه الآمال نتيجة تعاطف أيديولوجى مع النظام السوفيتى وانما كانت تمكس أكثر من هذا درجة من التفاؤل حول القادة السوفييت . وقد كانت للسفير تجربته مع لينين حين أتى الى روسيا فى فبراير عام ١٩١٩ خلال مؤتمر باريس للسلام وبالموافقة الضمنية للرئيس ولسون ورئيس الوزراء لويد جورج ، وقد اجتمع مع لينين وقادة سوفييت آخرين وقتئذ وعاد باقتراحات سوفييتية لم تكن مثالية ولكنها كانت تقدم أفضل فرصة ملائمة للقوى الغربية لكي تنسحب من التدخل العسكرى فى روسيا بشكل مشرف ولخلق علاقة مقبولة مع النظام السوفيتى ، الا أنه بمسد عودته عومل بشكل غير منصف من جانب ولسون ولويد جورج ، فقد تجاهلا مقترحاته وأنكرا أى مسئولية صريحة أو ضمنية عن رحلته ، الأمر الذى دفعه لأن يستقيل من الوفد الأمريكى لدى المؤتمر - وحين عاد الى موسكو كسفير عام ١٩٣٣ كان يأمل أن أسلوب روزفلت المتحرر من ميراث الجمهوريين خلال السنوات الاثنتى عشرة الماضية سوف يصبح الى حد ما أخطاء هذه الأيام الأولى ، وأن هذا سوف يحدث استجابة طيبة من الجانب السوفيتى ، غير أن كل هذه الآمال قد أحبطت ، فقد واجه بوليت فى موسكو أيام ستالين وليس لينين ، الأمر الذى ملأه بالمرارة بل جعله يتحول الى المناداة بخطط متشددة تجاه موسكو ، ولكن روزفلت الذى كان يبدى اهتماما قليلا بالقضايا المحددة لم يكن لديه استعداد لمثل هذا الخط ، ولم يتجاهل روزفلت هذا الخط فحسب ، بل اعتبر أن مجرد التوصية به يعكس نظرة من جانب بوليت

حول العلاقات الأمريكية السوفيتية لا تتفق مع الاتجاه العام سياسته ولهذا سرعان ما نجاه كمستشار له للشئون الروسية بل ووضع اللوم في تدهور العلاقات بين البلدين على عدم صبره الشخصي وغضبه السريع .

وعقب استقالة يوليت في صيف عام ١٩٣٦ تولى السفارة بعده بشكل متمكن وكفؤ زميل كينان وصديقه من أيام ريجا لوى هندرسون القائم بالأعمال بالنيابة ، وبمرور عام ١٩٣٦ أصبحت السفارة في موسكو واحدة من أفضل السفارات الأجنبية احتراما ، ففي هذه الفترة - فيما يسجل كينان - دعمت هذه السفارة بمجموعة من الرواد ونوع جديد من البيعة الدبلوماسية ، وأصبحت الأولى التي تتناول عملها بأسلوب مثقف ودارس مشابه للأسلوب الذي كان يتبع من قبل في مفوضية ريجا ، وكان أعضاؤها مشربين بأحاساس بالأهمية الحالية والمستقبلية للعلاقات الأمريكية السوفيتية واعتقدوا أن من الأهمية القصوى تحليل النظام السوفيتي بشكل صحيح وصياغة الأساليب السليمة للتعامل معه . .

غير أن هذا الوضع مرعان ما تناقض تماما مع ما أحدثه تعيين سفير جديد جاء من خارج السلك الدبلوماسي وجاء تعيينه ارضاء للحزب الديمقراطي . ويقول كينان أن السفير الجديد والحاشية التي اصطحبها معه قد اكتسبوا عدم ثقة أعضاء السفارة وعدم محبتهم ، ليس بسبب دوافع شخصية وإنما بسبب الشعور بعدم مواءمة قدراتهم للمنصب، واتجاه السفير الجديد لأن يوظف البيعة لخدمة أهداف الدعاية الشخصية في الداخل . وما عذب كينان وزملاءه بشكل أكثر هو الانطباع الذي تلقوه أن الرئيس الأمريكي لم يكن يعلم شيئا أو يهتم به شيء حول ما حققوه في تطوير السفارة في موسكو وأن المنصب بكل ما يمثله لم يكن أكثر من مكافأة سيامية تقدم مقابل مساهمات انتخابية ، وقد استتبع هذا أن يكون اهتمام السفير الجديد الأساسي هو صورته التي تمكسها الصحافة الأمريكية في الداخل وبأن تبدو العلاقات الأمريكية السوفيتية وردية بغض النظر عما يعتمل تحت

السطح ، وقد تطلب هذا اسلوبا معينا فى التعامل مع السلطة السوفيتية بل وقبول بعض المضايقات ، كما تطلب اكثر من هذا نوعا معينا من التقدير السياسى وتحليلا مختلفا للدوافع والنوايا السوفيتية ، الامر الذى عارضه كينان وزملاؤه فتقرر نقلهم *

وعند عودة كينان الى واشنطن عمل فى مكتب روسيا بقسم شرق اوربا لمدة عام ادرك بعده انه من الصعب ان يعمل اسرته براتبه الذى يتقاضاه فى موطنه ، ولذلك التمس كينان نقله للخارج ، ورغم انه كان ممتنا للاستجابة لطلبه الا انه شعر ان سبب سرعة استجابة طلبه هو الشعور فى القسم الأوروبى بأن وجهات نظر كينان حول روسيا تختلف بشكل كبير عن وجهات نظر السفير فى موسكو بل ومع وجهات نظر الادارة نفسها ، غير أن رحيله هذه المرة لم يكن الى موسكو وانما الى براج وسوف تمر ست سنوات قبل ان يعمل كينان مرة أخرى فى الحقل الروسى *

ولم تكن رحلة براج خالية من الأحداث ، فمع اقتراب وصوله الى براج كانت ازمة ميونيخ تبلغ قمتها وعادت أوروبا مرة أخرى الى حافة الحرب * . وحين وصل الى براج كان يسودها الظلام وحالة الطوارئ ، وصباح اليوم التالى لوصوله اعلنت نتائج مؤتمر ميونيخ ، وفى ميدان فاسلافسكى اعلنت هذه النتائج عبر مكبرات الصوت حيث شهد كينان أبناء براج ييكون على وفاة استقلال بلدهم الذى استمتعوا به لمدة عشرين عاما فقط ، وفى خلال ساعات كانت القوات الألمانية تحتل حدود المناطق مغلقة قلب بوهميا ومورافيا ، وهكذا كان جو الحرب مخيما بل انه اعتبر أن الحرب قد بدأت فعلا فى هذه اللحظة والتي قدر لها أن تستمر لمدة ثمانية أعوام *

فى وسط هذه الظروف تفرض على الدبلوماسى المهموم متطلبات غريبة ، فقد حدث أن اختار السفير الأمريكى فى

لندن هذه الاوقات لى يرسل احد اينائه فى مهمة حول اوربا لتفضى الحقائق ، وكان على السفارة الامريكية فى براج ان تجد الوسائل لعبوره عبر الحدود من خلال الخطوط الالمانية حتى يتمكن من ان يضمن برنامج زياره براج وحات صورة هذا الابن فى عيون اعضاء السفارة الامريكية هى صورة الشاب الجاهل ، ومع هذا فلم يكن هناك يد من عمل الترتيبات له وتمكينه من المرور عبر الخطوط الالمانية ومراتقته الى براج وجمله يشاهد ما يجب مشاهدته ثم الاسراع بمعبوره مرة اخرى . غير ان اى شخص عاقل لم يكن ينصور فى هذا الوقت ان هذا الشاب سوف يصبح يوما رئيسا للولايات المتحدة ، وأن كينان كرئيس لبعثة دبلوماسية فى عهده سيكون تابعه المتواضع والمعجب به . تذكر كينان كل هذا وهو فى مكتبه فى بلجراد كسفير للولايات المتحدة فى عهد جون كنيدي ، الشاب الذى استقبله يوما وهو متضرر فى براج وسط جو الحرب وجيوش الألمان .

واستمر كينان فى براج لمدة عام حتى اشتعال الحرب العالمية الثانية ، وفى منتصف هذا العام كان الألمان قد أجهزوا على الدولة التشيكية بالتقدم الى براج ومد احتلالهم الى كل بوهيميا ومورافيا . فى هذا الوقت كانت المفوضية الأمريكية قد أزيلت رسميا ولكن كينان ظل بناء على تعليمات من الخارجية الأمريكية يشرف على المبنى ويواصل عمله كمراقب سياسى ، وحين اشتعلت الحرب عام ١٩٣٩ نقل الى السفارة فى برلين .

★★★

يصور كينان وضعه فى براج بأنه كان فريدا خاصة خلال الشهور التى أعقبت دخول القوات الألمانية الى المدينة وقهر الدولة التشيكية ، فقد غادر المدينة الى مراكز أكثر حيوية فريق الصحافيين الأجانب ، وفى نهاية الأمر أصبح

كينان عمليا المراقب السيامى الغربى الوحيد الذى يقيم فيما تبقى من تشيكوسلوفاكيا ، وكان واضحا ان مصر أمة صغيرة احتلها وقهرها الألمان لم تكن تعنى الصحف اليومية لبلدان أوروبا . غير ان هذا الوضع لم يكن خاليا من اثاره اهتمام كينان الذى ظل يكتب فيضا من الرسائل والتقارير لحكومته والتي لم يقرأها أكثر من خمسة أشخاص فى واشنطن ، وكانت مكافأته على ذلك نقله للمعمل لمدة ثلاث سنوات فى السفارة فى برلين لأداء عمل ادارى ، غير أن هذا أيضا لم يثبط من عزمه فقد ظل يكتب بسرور وحماس مدركا انه يستوعب العناصر الأساسية للتطورات الجارية وأنه يكتب بشكل أفضل مما كتب من قبل - فى هذا الوقت كان قد مر عليه عقد من الزمان وهو يكتب تقاريره الى وزارة الخارجية الأمريكية ، وبدأ هذا يملمه الكتابة بلا جمهور أو على الأقل بدون أن يلمس أن أحدا يستجيب اليه ، وبدأ يتعلم كيف يستمتع بهذا الوضع .

كان دخول القوات الألمانية الى براج فى ١٥ مارس ١٩٣٩ تجربة مروعة ، وقد وصف كينان فى صفحة بليغة المسرح فى براج عقب الاحتلال الألمانى فقال :

« صيف آخر يقترب من نهايته ، أصعب صيف شهدته المنطقة منذ الحرب العالمية الأولى . كان صيفا غريبا تميز بعواصف متتالية مدمرة دمرت المحاصيل وبدت رمزا قائما للأمال السريعة المتغيرة والمخاوف المتزايدة فى عقول الشعب . غير أن العمل قد استمر كالمعتاد ، وحتى الآن فان الفلاحين يكافحون بتشجيع من الألمان رغم المطر المستمر لجنى المحصول قبل أن تصل الأزمة الجديدة الى ذروتها ، كما أن الصناعات تعمل بشكل مستمر كى تلبى شهية الرايخ التى لا تشبع لمنتجاتها . غير أن جميع المظاهر الأخرى للنشاط الانسانى تبدو وقد أصيبت ببلادة غريبة وغالبا بالشلل . كل شيء كان فى حالة توقف ولا أحد يأخذ زمام المبادرة ولا أحد يخطط للمستقبل ، واستمرت الحياة الثقافية والترفيهية

بأن حماس أو روح وبشكل آلى ، فلم تجذب المسارح والملاهي العامة الا جمهوراً ضئيلاً غير مبال ، وفضل الناس الجلوس في امسيات الصيف في الحدائق والمتنزهات الصغيرة وعلى شواطئ الانهار لتبادل الشائعات التي لا تعد ولا يمتدنون هم انفسهم بصحتها ، وينتظرون بصبر حدوث شيء لا يستطيع احد منهم أن يصفه تماماً ولكنهم جميعاً مقتنعون بضرورة مجيئه وأنه سيؤثر في حياتهم بشكل عميق . ولابد أن يظهر المستقبل القريب اذا كان اتجاه الترقب هذا هو نتيجة لفرصة سليمة أو حتى مجرد تعبير عن التردد الطبيعي لشعب استيقظ الآن فقط من حلم الاستقلال الذي دام عشرين عاماً لكي يقبل من جديد أن يكون شعباً من الخدم » .

كانت هذه الصفحة هي التقرير الأخير الذي بعث به كينان الى الخارجية الأمريكية من براج والذي نقل بعده الى برلين والتي كان يتصور ان يستأنف فيها كتابة تقاريره السياسية كما كان يفعل في براج ، غير أن السفارة في برلين سرعان ما واجهت موقفاً تراكبت فيه المشكلات والأعباء الادارية نتيجة لظروف الحرب . كانت السفارة الأمريكية وقتئذ ترعى مصالح بلدان غربية مثل بريطانيا وفرنسا وحماية رعاياهم وممتلكاتهم الدبلوماسية وأسره في الحرب فضلاً عن مواجهة المشكلات الجديدة التي كانت تؤثر على المصالح الأمريكية نفسها ، في هذا الموقف وبالتعاطف مع القائم بالأعمال الأمريكي وقتئذ والذي أحبه كينان وقدره ، قدم كينان خدماته في الشؤون الادارية واستمر يفعل هذا طوال مدة خدمته في برلين .

ورغم هذه الظروف غير العادية ، كان كينان يشعر أنه في بيئته . فالبيئة مألوفة له واللغة يمرقها ، وفيما عدا بعض الزيارات القليلة للخارجية الألمانية لم تكن له علاقة بالنظام . غير أنه مما يلفت النظر ملاحظات كينان عن تباعد الألمان الذين شاهدتهم عن النظام . فهو يقرر أن أهل برلين أنفسهم ،

الناس البسطاء ، أقل الناس استجابة للحكم النازى وتأثرا به فى نظرهم وسلوكهم ، فلم يتقبلوا أن يؤدوا التحية النازية واستمروا فى تبادل التحية الألمانية التقليدية بدلا من تحية هتلر ، كما لم يبديوا أى حماس خاص للحرب ، ويشهد كينان من خلال ملاحظته ووقوفه بين الجمهور أنهم « شاهدوا بتحفظ وبصمت متجمد استعراض القوات المنتصرة العائدة من الحملة البولندية الناجحة ، كما لم يستطع أكثر النازيين تمصبا أن يدفمهم للاشتراك فى مظاهرات التأييد والتهليل ، كما استقبلت أخبار سقوط باريس بنفس الصمت الغامض والمتحفظ » .

ويروى كينان أنه ركب لمدى أميال فى أحد الأتوبيسات العامة المكتظة بالألمان حيث صوت الجميع مسموعا فلم يسمع أحدا يتحدث عن سقوط باريس ، ودارت كل الأحاديث حول الطعام وشتون الحياة اليومية . وتحتوى يوميات كينان عن هذه الأيام الكثير مما يصور الاختلاف بين ما يقوم به النظام وبين ما يشغل الناس واهتماماتهم .

وقد حلت اللحظة الفاصلة فى العلاقات الأمريكية الألمانية حين بدأت ترد انباء حادث بيرل هاربور وعلان الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ، الأمر الذى كان يعنى أن تتطور الأمور فى أى لحظة الى اعلان الحرب بين ألمانيا والولايات المتحدة . وغل الموقف متوترا غير واضح لمدة أربعة أيام بعد حادث بيرل هاربور ، غير أنه فى خلال هذه الأيام الأربعة انقطعت تقريبا صلة السفارة الأمريكية بواشنطن وفجأة جاءت مكالمة تليفونية الى السفارة من وزارة الخارجية الألمانية بأن سيارة سوف تجيء لكى تحمل القائم بالأعمال لمقابلة وزير الخارجية ، ووصلت السيارة وبها الموظف الألمانى ، وتحمل كينان مهمة استقباله والترحيب به لحين وصول القائم بالأعمال الذى توجه الى الخارجية لكى يواجه

روبينتروب وهو يقرأ اعلان الحرب ويقول وهو يصرخ :
« لقد أراد رئيسكم الحرب ، والآن لقد جاءته » ثم
استدار موليا .

★★★

وتلا هذا استدعاء كينان الى الخارجية الألمانية حيث
ايلغ ان على جميع أعضاء السفارة الأمريكية أن يصفوا جميع
متعلقاتهم وان يتجمعوا فى مبنى السفارة فى صباح اليوم
التالى والا يحمل احد منهم أكثر من حقيبتى يد . وتى
الثامنة من صباح الأحد ١٤ ديسمبر ١٩٤١ كانوا مجتمعين
فى السفارة لكن يجدوا المبنى من الداخل والخارج يحرسه
أعضاء من الجستابو واصبح أعضاء السفارة سجناءهم ،
وقبل أن ينتهى صباح يوم الأحد أخذوا فى سيارة اتوبيس
ووضعوا فى قطارين خاصين وأرسلوا لمدة شهرين من
الاحتجاز وبلا أى اتصال تحت حراسة مسلحة من الجستابو
فى مبنى على أطراف مدينة قرب فرانكفورت ، وأضيف الى
أعضاء السفارة عدد آخر من الأمريكيين والصحفيين جمعا
من أجزاء أخرى من أوروبا المحتلة ووصل بهم العدد الى ١٣٠
شخصا . ولم تهتم حكومة الولايات المتحدة بأن تتصل بهم
حتى نهاية أبريل عام ١٩٤٢ ، الأمر الذى كان يمكن أن تفعله
بسهولة من خلال السويسريين الذين زاروهم من وقت لآخر .
خلال هذه الشهور الخمسة والنصف تحمل كينان المسؤولية
المباشرة للإشراف على النظام بين هذه المجموعة من السجناء
الجوعى والقلقين والذين ملأت مشاغلهم ومشاجراتهم
وشكاواهم وغيرتهم كل لحظة من لحظات يومه ، وكان من
الممكن أن تملأ تفاصيل هذه المحنة كتابا . غير أن هذه
التجربة قد علمته شيئا عن سلوك البشر فى الأوقات المصيبة
بما تبديه قلة من ثقة وشجاعة وتماسك وهم الذين شعر
كينان ازاءهم بالاعجاب ، أما الأغلبية فكانت استجابتهم
سلبية وكان شعوره نحوهم مزيجا من التعاطف والقلق ، أما
القلة الأولى فلم يشمر ازاءهم الا بالعرب والاشتراكيين .

ومضت الباخرة التي تقل مجموعة الأمريكيين من ألمانيا الى نيويورك مع بداية يونيو عام ١٩٤٢ • وكان كينان محظوظا ان منح عطلة طويلة قضاها في البحث عن اول بيت يملكه وكان عبارة عن منزل واسع وان كان مهجورا في مزرعة جنوب بنسلفانيا • وفي اغسطس عاد الى الخارجية وأسند اليه قسم في ادارة شئون الافراد ، وكان قبل قيامه باجازته قد سلم لمساعد الوزير للشئون الادارية تقريرين أحدهما حول مشروع الاكاديمية للخدمة الخارجية ، والآخر حول الحاجة لتوسع جذرى في أعضاء وزارة الخارجية لمواجهة المتطلبات المتزايدة لحالة الحرب والحاجات التي ستعرضها فترة ما بعد الحرب ، غير أنه لدهشته وجد الورقتين بين اكوام الأوراق التي أحيلت اليه للتخلص منها ، وتيقن من غياب أى تأشيرات عليهما •

ولم يمر شهران الا وتلقى كينان تعليمات عاجلة بالسفر الى البرتغال للعمل كقنصل بالقنصلية الامريكية هناك • كان هذا هو مركزه الرسمي بكل واجباته المترتبة عليه ، غير أنه بالإضافة الى هذا طلب منه بشكل شخصى وغير رسمى أن يتحمل مسئولية محاولة اصلاح التشويش الشنيع الذى خلقه رجال المخابرات الامريكية بينهم وبين البريطانيين في جهودهم للزج بأنفسهم فى عمليات التجسس ومقاومة التجسس التى شهدتها لشبونة خلال الحرب •

أما المهمة الثانية التى أسندت الى كينان بعد البرتغال فكانت فى السفارة الامريكية فى لندن كمستشار سياسى للسفير الامريكى باعتباره الممثل الامريكى فى اللجنة الاستشارية الأوروبية التى أنشئت حديثا واتخذ قرار انشائها فى اجتماع وزراء الخارجية الثلاثة : الامريكى والبريطانى والرومى الذى انمقد فى موسكو فى أكتوبر ١٩٤٣ ، وكانت الفكرة مبادرة بريطانية قصد بها أن تكون كجهاز استشارى

يعمل على معالجة أى مشكلات أوربية ذات طابع مشترك يتصل بالحرب بخلاف ما يتعلق بالعمليات الحربية » .

بعد هاتين المهمتين العارضتين ، سوف يستأنف كينان صلته بالمسرح السياسى السوفيتى ، فبعد انتهاء عمله فى لندن عاد الى واشنطن فى ربيع عام ١٩٤٤ بدون فكرة واضحة عما يراود منه عمله ، وكان صديقه Uhip Pohlen الذى كان يعمل وقتها كضابط اتصال بين الخارجية والبيت الابيض قد ابلغه أن الوزير المفوض بالسفارة الأمريكـية فى موسكو على وشك ان ينـزل ، وان السفير هناك افريل هاريمان يبحث عن وزير جديد ، وكان ان قدم بوهلين كينان الى هاريمان ، وعلى عشاء فى شقة هاريمان فى فندق سانت فلاور اتفق على ان يتولى كينان هذا المنصب ، وتم هذا يدراك كامل لنخيفة التى يذل كينان جهودا كبيرا نى تأكيدها ومعنى أن وجهات نظره حول السياسة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتى ليست تماما هى وجهات نظر الادارة .

كانت عودة كينان الى موسكو كوزير مفوض تجربة غريبة وغير مستقرة بالنسبة له من نواح كثيرة أشبه بعودة أحد الموتى الى عالم الأحياء : له ميزة أن يشهد كيف تقدمت الحياة بعد موته ولكنه دائما يذكر حياته السابقة وذكرياتها . لم يكن هناك فى السفارة ولا بين أعضاء السلك الدبلوماسى من كان هناك خلال فترة خدمته الأولى فى موسكو . وكان - وقد بلغ الأربعين من عمره - أكثر أعضاء السلك الدبلوماسى من حيث فترة عمله فى روسيا ، وكان زملاؤه يمثلون جيلا جديدا له اهتماماته الجديدة خاصة بين أعضاء سفارته ، وكانت ذكريات وأفكار السنوات الأولى الموجودة فى السفارة قد طمسها الحرب والتغيرات التى حدثت فى أعضائها . وخارج نطاق المستعمرة الدبلوماسية التى كان يعيش فيها ، كانت تمتد ما كانت بالنسبة له أرض روسيا العظيمة التى تدعوه وتبهـره ، وما كانت

بالنسبة له أكثر جاذبية من أى مكان آخر فى العالم » ، غير أن المفارقة كانت تسدو فى اذه لم يكن بإمكانه ان يخمس او يشارك الناس العاديين فى الحياة عيها ، فلم يكن تحالف الحرب بين الولايات المتحدة وروسيا قد غير شيئا من عزه الدبلوماسيين الامريكيين عن المجتمع الروسى ، غير ان هذا لم يحل بينه وبين السير فى طرقات المدينة واحياتها او زيارة الحدائق والمسارح • ولشغفه وتطلعه والفتة الجديدة مع بيئة البلد فقد ألقى بنفسه فى هذا الاختبار مثلما يلقى رجل عطشان نفسه على تيار نقى من الماء ، فكان يجوب الشوارع والحدائق فى الامسيات ويقضى أيام الاسبوع وبشغل عشوائى فى مناطق الريف بحثا عن متعة الاندماج ، مجهول الهوية ، بالشعب العادى ليشرم وبشكل متواضع كأنه جزء منهم ومن حياتهم •

وسياسيا ، كان كينان فى الفترة التى سبقت مباذرة عودته الى موسكو قد بدا يتساءل حول اساسيات رويسه للسياسة الامريكية تجاه الاتحاد السوفيتى والتى كان يعتقد أنها تقوم على سوء فهم خطير ، الا أنه بعد عودته بدا غير واثق تماما من افكاره وهل تمثل حقا الواقع وخاصة بمذ تجربة الحرب التى مر بها النظام السوفيتى ، وراح يتساءل ان كانت الحرب الكبرى ، والألفة التى تحققت بين النظام وشعبه خلالها ، والارتباط مع الحلفاء فى عمل عسكري مشترك ، ان كان هذا قد نجح فى اقناع الاتحاد السوفيسى بمدى الأزمة المشتركة التى تربط الناس فى كل مكان وبأنه يمكن أن يكون هناك ثقة وتعاون حتى بين البلدان ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، وبأن هذه الخلافات يجب ألا تكون العامل الحاسم النهائى بين الدول ، وأن ثمة عوامل أخرى تحمل الأمل يمكن أن تلعب دورها • ولكي يتأكد من هذه التساؤلات ، فقد كان مستعدا لأن يحتفظ بالنسبة لحكمه النهائى حتى يرى بنفسه • غير أن انقضاء أسابيع من الحياة والعمل فى موسكو خلال صيف عام ١٩٤٤ كانت

الفترة كان كافيا لكي يقنعه بأنه ليس فقط السياسة الأمريكية تجاه روسيا وإنما أيضا خططها والتزاماتها كافية لكي تنتهي حالة عدم التأكد هذه فما رآه خلال هذه لصيانة عالم ما بعد الحرب كانت قائمة على قراءة خاطئة للشخصيات والنوايا والموقف السياسى للقيادة السوفيتية . وكان كينان يدرك أنه ليس لديه التزام بإزالة سوء الفهم هذا ، فقد كان مفهوما حين تولى هذا المنصب أنه ليست لديه مسئولية سياسية ، كما كان يدرك فى ضوء خبرته فى المناصب التى تولاها خلال الحرب أن وجهات نظره لن يرحب بها المسئولون فى واشنطن - غير أنه وجد من الصعب عليه أن يبقى صامتا ، وأرشده ضميره أن يحاول كتابة وجهة نظره حول طبيعة القيادة السوفيتية والموقف الذى وجدوا أنفسهم فيه وهم يدخلون المرحلة الأخيرة من الحرب وأن ينقل هذا للمسئولين عن صناعة السياسة الأمريكية وسيترك لهم أن يستخلصوا النتيجة المنطقية اذا كانوا حقا مهتمين بذلك .

كانت نتيجة ذلك مقالة فى ٣٥ صفحة تحت عنوان « روسيا بعد ٧ سنوات » . فى هذه المقالة صب كينان خبرته وما تعلمه عن روسيا ستالين بوجه خاص باعتبارها ظاهرة ستظل تحلق فى أفق السياسة الأمريكية .

بدأت هذه الورقة ، « روسيا بعد سبع سنوات » بتقييم لأثر الحرب على العلاقة بين النظام السوفيتى والشعب ، ومدى التغيرات الديموجرافية التى أحدثتها الحرب ، وكذلك مدى التوسع السوفيتى فى شرق أوروبا ، وتوازن القوى بين روسيا والغرب . ولم تكن هذه التغيرات فيما اعتقد كافية لتأييد الرأى القائل بأن « أوروبا القديمة » قد انتهت أو أن أحدا يجب أن يتوقع « . تأسيسا مبكرا للسيطرة الروسية عبر القارة » ، الا أنه اعتبر أن هذه التغيرات قد سجلت بالفعل تغيرا كبيرا فى ميزان القوى

لصالح الروس . واختتم كينان ورقته بقوله : « ان شعبا من مائتى مليون متوجه تحت قيادة قوية هادفة فى موسكو ، ويسكن واحدة من أكبر البلدان الصناعية فى العالم ويشكل قوة واحدة لهو أعظم بكثير من أى قوة ستقوم فى أوربا حين تنتهى هذه الحرب ، مثل هذا الشعب سيكون من الحمافة سوء تقدير امكاناته سواء أتجهت للخير أم الشر » . واختتم كينان مقالته ببعض التآملات حول الصمويات الفلسفية امام الأمريكيين فى محاولتهم فهم وقائع الحياة الروسية والفكر الروسى ، واختتمها بهذه السطور المتشائمة وان كان فيها شيء من النبوءة :

« ان حسن الادراك قد يمكننا من مواصلة هذا التعايش الخطر المضطرب والسلمى الذى استطعنا ان نعيشه مع أنروس حتى هذا الوقت » ولكن ان كان الامر كذلك ، فدن يدون راجما لآى فهم من جانبنا للعناصر التى يتضمنها هذا التعايش . ان سوى ابعد من رؤيتنا سوف توجه خطواتنا وتشكل علاقاتنا مع روسيا ، وسيكون هناك حديث متكرر حول ضرورة « فهم روسيا » ، ولكن لن يكون هناك مكان للأمريكي الذى يرغب حقيقة فى أن يقوم بهذا العمل المفلق . ان ادراك ما هو صالح فى العالم الروسى هو أمر مقلق للممثل الأمريكى ، ولن يحقق من يقوم بهذا العمل أى شيء عملى بالنسبة لشعبه ، أو بالنسبة للرسميين أو تقدير الجمهور لجهوده . ان أفضل ما يمكن أن يتطلع اليه هو السرور الموحش لمن يقف مدة طويلة على قمة جبل بارد لم تطاها الا القلة ولن يتبعه فيها الا القلة كذلك » .

ولا يدع كينان فترة عمله الثانية فى موسكو تمر دون أن يتحدث عن السفير الذى عمل معه وهو افريل هاريمان والذى كان شخصية بارزة فى السياسة الأمريكية حيث عمل مستشارا للعديد من الرؤساء الأمريكيين وسيساهم فى صياغة السياسة الأمريكية لفترة ما بعد الحرب . ويقرن كينان

احترامه للرجل وتكرسه وإخلاصه لعمله الذي لا يجد خارج نطاقه متعة له ، يقرن ذلك بملاحظاته عن أسلوبه في العمل ونظراته لنفسه ولدوره كسفير - فهو حريص جدا على معرفة أدق التفاصيل ، وهو يتوقع من الرجل الثاني للسفارة أن يعمل ويتأخذ من أن كل ما أصدره السفير من تعليمات قد نفذ في الحال وبغض النظر عن الظروف .

وهو ينظر الى نفسه لا كصانع للسياسة أو منظر وإنما كمنفذ لها ، ويعتبر أن دور ومهمة الدبلوماسي والسفير هو ان يكون قناة حساسة ودقيقة وذكية للاتصال بين حكومته والحكومة المعتمد لديها . لذلك كان هاريمان ينظر بتعجب الى كينان والى أحاديثه العميقة حول مسائل وقضايا هي في اعتقاده من اختصاص رئيس الجمهورية أن يفكر فيها . ولأنه عرف معنى السلطة وعمل معها ، ولأنه يدرك أنه يعمل في بلد تلعب فيه شخصية الزعيم دورا حاسما في السياسات فقد كان يمتدح أن مقابلة واحدة مع ستالين يمكن أن تنبئه بخبايا وأهداف وحقائق السياسة السوفيتية أكثر مما تنبئه به شهور يقضيها كينان وزملاؤه في قراة ودراسة الوثائق السوفيتية .

على أن كينان يشهد أنه في ضوء فهم هاريمان لدوره كسفير فإن أحدا لم يقم بهذا الدور مثلما قام به هاريمان من دقة في تنفيذ تعليمات حكومته . كما أن أحدا لم يحتفظ بمثل ما احتفظ به من مذكرات دقيقة حول عمله ، أو بعث بتقارير كاملة وأمينية يملئها الضمير حول نتائج مقابلاته واتصالاته بمثل ما فعل هاريمان ، كذلك لم يكن هناك أبعد من هاريمان عن تشويه سجله لمجرد أن يحقق ميزة شخصية له ، وكان اتقانه في أدائه لواجباته بارزا لا شك فيه . ويعتبر كينان أنه بسبب مزايا هاريمان الجوهرية ، فقد حظى باحترام وتقدير كل شخص وى كينان أنه يسأل صديقا روسيا عن كيفما يرى الروس هاريمان فأجابه : « ويقولون لأنفسهم : هناك رجل » .

ومن أبرز ما ميز عمل كينان في هذه الفترة في موسكو، وما كان له تأثير أساسي على مستقبله ومكانته ، ما عرف — The long telegram ، فقد تصادف أنه كان قائما بالاعمال حين تلقى من الخارجية الامريكية تلفرافا يتساءل فيه عن معنى ما تبين من ان الاتحاد السوفيتى غير مستعد للاشتراك فى البنك الدولى وصندوق النقد الدولى . وقد توافق هذا التطور وتساؤل الخارجية الأمريكية عن معناه مع ما كان يعتمل فى تفكير كينان فيما هو اعم وابعد من هذا وما يقف وراءه ووراء السلوك السوفيتى بصفة عامة من دوافع واسباب تتصل بطبيعة النظام وخصائصه . لذلك قرر كينان ان يكون رده على تساؤل الخارجية الامريكية أكثر شمولاً من الجزئية التى يستفسر عنها ، وجاء رده فى برقية طويلة بلغت ٨ آلاف كلمة تناول فيها الملامح الأساسية للنظرة السوفيتية لما بعد الحرب وخلفيات هذه النظرة وانعكاسها على السياسة الرسمية وغير الرسمية .

وقد جاء تأثير هذه البرقية فى واشنطنون مثيرا بأكثر مما أحدثته أى مساهمة أخرى ، فقد قرأها الرئيس الامريكى وأمر وزير البحرية بإعادة طبعها وتوزيعها ، وطلب من مئات ان لم يكن آلاف المسئولين قراءتها . أما وزارة الخارجية الأمريكية التى لا شك أزعجها سوء استخدام البرقيات الشفوية فى مثل هذه المراسلات الطويلة فقد بعثت لكينان ببرقية شكر . وبمثل هذه البرقية انتهت عزلة كينان الرسمية على الأقل لمدة عامين أو ثلاثة وذاعت سمعته ووصل صوته . وهكذا غير النجاح الذى لاقته هذه البرقية مجرى حياته فقد أصبح اسمه معروفا ومسموعا فى واشنطنون وأصبح فى نظرها مؤهلا لمنصب مختلف عما سبق أن تقلده . فعين نقل الى واشنطنون فى أبريل عام ١٩٣٦ عين نائبا

أول للشئون الخارجية فى مؤسسة أنشئت حديثا هى كلية الحرب الوطنية National Warcollege وقصد بها ان نخون فى فمه المؤسسات التى تعنى بتعليم وتدريب رجال القوات المسلحة وهم فى منتصف خدمتهم Midcareer كذلك أسندت اليه وزارة الخارجية مهمة القيام بجولة فى عدد من الولايات الأمريكية فى الغرب لكى يتحدث فى مؤسساتها المختلفة وبين قطاعات من الراى العام بها ، وفى هذه الجولة رصد كينان عددا مختلما من الاتجاهات والاستجابات ، كان أفضلها لمجموعة رجال الاعمال ، فهم رغم شكهم ونظرتهم النقدية قد تربوا فى مدرسة جدليه سمحت لهم بان يعارضوا مناهسيهم دون حاجة أو رغبة فى تدميرهم ، وبهذه الصمة وجدهم قادرين على ان يتفهموا ان العداء الأمريكى السوفيتى قد يكون خطرا ولكنه لا يتطلب اللجوء الى الحرب * ولدهشته وجد ان أكثر المجموعات التى التقى بها وخاطبها صموية كانوا الأكاديميين ، لا بمعنى أنهم أظهروا اتجاهها معاديا وانما لأنهم كانوا غير مهئين لما سيقوله كينان ، فقد كانوا متفطرسين وأدعياء ، وضاعف من هذا تحيزهم ضد وزارة الخارجية وكذلك عقدة نقص جغرافية ترى الشرق وخاصة وزارة الخارجية خلوا من الحكمة وعمق النظرة التى ازدهرت فى مراكز التعليم فى الساحل الغربى .

وفى أوائل عام ١٩٤٧ وهو ما يزال فى كلية الحرب ، دعاه دين اتشيسون وكان ما يزال وكيلا لوزارة الخارجية الى مكتبه وابلغه ان الجنرال جورج ماريشال الذى شغل منصبه مؤخرا كوزير للخارجية ، يفكر فى انشاء ادارة للتخطيط السياسى Policy Planning فى وزارة الخارجية وأنه من المحتمل ان يطلب من كينان ان يرأس هذه الادارة الجديدة .

★★★

وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٧ دعاه اتشيسون مرة ثانية الى مكتبه وأخبره عن الأزمة التى تتجمع نتيجة لقرار الحكومة

البريطانية التغلى عن تأييدها الخاص لليونان ، وطلب منه أن يشترك في مناقشات لجنة خاصة انشئت لدراسة موضوع تقديم مساعدة لكل من اليونان وتركيا . وقد اجتمعت اللجنة في نفس اليوم مساء برئاسة صديقه القديم لوى اندرسون وزميله فى مفوضية ريجا ، والذي كان يرأس حينئذ ادارة الشرق الادنى . وكان أمام اللجنة دراسة ما اذا كانت الولايات المتحدة تستجيب بشكل حازم تجاه الوضع الذى فرضه قرار بريطانيا بالانسحاب وترك اليونان والاتراك ينصرفون فى امورهم . وقد أوضح اندرسون ان الموضوع قد حسم من حيث المبدأ بينه وبين دين اتشيسون وان الامر المتروك للجنة هو أن توصى كيف تقدم وزارة الخارجية هذا الموقف للوزارات الأخرى والكونجرس والرأى العام . غير أن كينان رغم موافقته على مبدأ تقديم المساعدة للبلدين قد اختلف وعبر عن عدم سمادته للأسلوب والصياغة التى صدر بها تقديم هذه المساعدة وما عرف بمبدأ ترومان ومنل ما يوضح ما كتبه كينان حول هذا الموضوع أن الورقة التى تضمنت هذا المبدأ لم تكن الورقة التى أعدت فى وزارة الخارجية وإنما التى أعدت فى البيتاجون . وكان ما استوقف نظر كينان واعترض عليه هو وضع القرار فى عبارات ضخمة وبشكل جارف أكثر مما تصوره وخاصة فيما يتعلق بالالتزامات التى تضمنتها وتركزت على وجه خاص فى العبارة التالية « انى أعتقد أن الولايات المتحدة يجب أن تقوم بتأييد الشعوب الحرة التى تقاوم الخضوع للأقليات المسلحة أو الضغط الخارجى » . انى أعتقد أننا يجب أن نساعد الشعوب الحرة لكى تصنع مصيرها الخاص بطريقتها الخاصة » .

وكان موضع اعتراض كينان على هذه الفقرات وغيرها مع رسالة ترومان الى الكونجرس وتضمنت مبداه هو أنها وضعت المساعدة الأمريكية لليونان فى اطار سياسة عالمية

أكثر منها في إطار قرار محدد موجه ويمالج مجموعة ظروف محددة ، وكان هذا يعني في نظر كينان أن ما قررت الولايات المتحدة ان تفعله في حالة اليونان هو شيء سيكون عليها ان تفعله في حالة بلد آخر بشرط أن يواجه خطر الخضوع لاعتليات مسلحة أو ضغط خارجي ، وهو شرط رآه كينان غير مؤكد بدرجة كبيرة ، كما أنه خارج امكانات السولايات المتحدة في مساعدة الأقطار التي تجد نفسها في هذه الظروف الطارئة . في هذا الوقت ، مساعدة اليونان وتركيا وفي مواقف أخرى ، يبر كينان عن دهشته من النفور الفطري الأمريكي من اتخاذ مواقف محددة لمشكلات محددة وسعيهم المتواصل للوصول الى صيغ عالمية او نظريات يغلفون بها ويبررون تصرفات خارجية . كما يكشف كراهية أمريكية للتمييز بين المواقف ، ولما للتوصل الى معيار عام يحكم مختلف المواقف والأوضاع حيث تتخذ القرارات الهامة لا وفقا لظروفها الخاصة وانما بشكل تلقائي، وينفس المعنى ثم ولع أمريكي لانهاق أهمية عالمية لقرارات كانت ضرورية لأسباب محدودة ، ويعطى كينان أمثلة على هذا الاتجاه الأمريكي من تفسير الحرب العالمية الأولى ، فلم يكن كافيا حين أرغمت الظروف الولايات المتحدة على دخول الحرب تفسير ذلك بالأسباب المحددة لذلك ، وانما كان تقديم المجهود الأمريكي في الحرب على أنه لجعل العالم - وليس أقل من ذلك - « مكانا آمنا للديمقراطية » . كما لم يكن كافيا تفسير دخول الحرب الثانية مهاجمة اليابانيين لبيرل هاربر ، وأن كلا من الألمان واليابانيين أعلنوا الحرب على الولايات المتحدة ، الا أن الولايات المتحدة لم تشعر بالراحة الا بتغليب مجهودها العربي في إطار عالمي وأضفاء تمهيمات على ميثاق الأطلنطي . كذلك يربط كينان بين هذا وبين ما ظهر بعد الحرب الثانية من ميل أمريكي لتقسيم العالم بشكل حاسم الى قسمين : العالم الحر والشيوعيين ، وبهذا الشكل تجاهلت الولايات المتحدة أن هناك خلافات محددة داخل كلا الجانبين .

ويحاول كينان أن يجد تفسيراً لهذا الميل الأمريكي في
اضفاء العمومية والعالمية على القرارات والمواقف وتجاهل
التمايز والاختلافات المحددة ، فيرجع هذا الى أن الولايات
المتحدة أمة يحكمها القانون أكثر مما تحكمها حرية التصرف
أو القرار للسلطة التنفيذية ، وإلى حرص الكونجرس
الأمريكي على أن يقيد حرية تصرف السلطة التنفيذية وعدم
قدرته في نفس الوقت على متابعة قراراتها اليومية ، ولهذا
كان رجال الكونجرس يشعرون بالحاجة الى قرارات عامة
تحدد النطاق الذي تتخذ فيه هذه القرارات . وأياً كانت
منابع هذا الميل الأمريكي فإن كينان يراه شيئاً يحالفه
التوفيق ، فهو يشوش فهم الرأي العام للمسائل الدولية أكثر
مما يوضحها له ، وهو يعوق عملية اتخاذ القرارات ويجعل
اتخاذها وفقاً لمعايير تتصل جزئياً فقط بالموضوع وربما
لا تتصل به على الإطلاق .

ويسجل كينان دوره في صياغة فصل هام من السياسة
الخارجية الأمريكية لأوروبا بعد الحرب ، وهو المشروع الذي
وضع أساس النهوض الاقتصادي للدول الأوروبية
واقتصادياتها التي دمرتها الحرب وانعكس بشكل مدمر على
الكيان الاجتماعي لهذه الأمم ، وهو الوضع الذي وصفه
تشرشل وهو يجيب عن تساؤل : ما هي أوروبا الآن ؟ وأجاب
« انها كوم من الحطام ومقبرة للموتى وأرض خصبة للطاعون
والكراهية » .

ويفصل كينان مراحل التفكير ووضع مشروع مارشال
ودوره فيه فيقول انه في ٢٨ أبريل عام ١٩٤٧ عاد وزير
الخارجية مارشال من موسكو بعد اجتماعات مجلس وزراء
الخارجية وهو مضطرب لما تحقق منه من خطورة وضغط
المحنة التي تمر بها دول غرب أوروبا حيث فشل الإصلاح
الاقتصادي في أن يستمر كما كان متوقفاً ، وبدا أن تفككا
اقتصاديا شاملاً وشيك الوقوع . وفي اليوم التالي لمودته

دعا جورج كينان الى مكتبه وأبلغه أنه قد لا يكمل عامه في كلية الحرب حيث عليه أن يعود للخارجية وينشئ ادارة للتخطيط بها بدون تأخير ، فأوربا في حالة من الفوضى وثمة شيء يجب عمله وانه أن لم تأخذ الخارجية الامريكية زمام المبادرة فان آخرين وخاصة في الكونجرس سوف يتقدمون ، ولهذا فان على كينان أن يسرع في انشاء ادارة التخطيط وانه ليس أمامه سوى أيام او على الاكثر أسابيع لكي يتقدم فيها بتوصياته مما يجب عمله لمواجهة هذا الوضع الأوربي ، تم اضافة ماريشال وبشكل يتفق مع شخصيته أن لديه فقط نصيحة واحدة يقدمها لكينان وهي « أن يتفادى التفاهات » .

وهكذا وجد كينان أن عليه أن يستعرض كل المشكلات الضخمة للنهوض الاقتصادي لأوربا في كل تعقيداتها ، وأن يبحث عن النصيحة في خارج وزارة الخارجية ، وأن يقدم التوصيات التي طلبها وزير الخارجية وان يكون مستعدا للدفاع عن هذه التوصيات ضد نقد الأجهزة الحكومية الأخرى .

وفي ٥ مايو ١٩٤٧ انتهى كينان من تشكيل هيئة التخطيط وصدر قرار الوزارة بانشائها محددا الوظائف الرئيسية التي يتعين عليها تحقيقها :

١ - أن تصوغ وتطور برامج طويلة الأمد لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية .

٢ - توقع المشكلات التي قد تواجهها وزارة الخارجية في أدائها لرسالتها .

٣ - القيام بدراسات واعداد تقارير حول المشكلات السياسية العسكرية المريضة .

٤ - فحص المشكلات والتطورات التي تؤثر على السياسة الخارجية الأمريكية من أجل تقييم سلامة السياسة الراهنة ووضع توصيات ونصائح حولها .

٥ - تنسيق أوجه التخطيط داخل وزارة الخارجية *

كذلك أتم كينان تشكيل أعضاء الإدارة الجديدة مستعينا بشخصيات متنوعة من خارج الخارجية سواء من المجال السيامي أو العسكري أو الأكاديمي *

وفي ٢٦ مايو ١٩٤٧ اكملت هيئة التخطيط توصياتها بشأن مشروع النهوض الاقتصادي لأوروبا وسلمته لوزير الخارجية ماريشال ، وكان من الطبيعي أن تكون الأفكار التي بنيت عليها هذه التوصيات من مصادر متعددة ، إلا أن المصياغة النهائية كانت لكينان - ولم يتح لهذه التوصيات أن تنشر إلا أن أجزاء منها وردت في أهم الكتب التي صدرت عن مشروع ماريشال والذي وضعه T. Tames : بعنوان « مشروع ماريشال ومناه » *

وبالنظر الى أن وقتاً طويلاً سوف يمضي قبل أن يتم وضع برنامج شامل للنهوض الاقتصادي لأوروبا وأن يكون له أي تأثير فعال ، فقد بدأت الورقة التي تضمنت التوصيات بتقسيم المشكلة الى جوانبها الطويلة والقصيرة الأمد - وأوصت ببرنامج سريع لانتاج الفحم الاوربي يهدف الى تصفية ما بدا لواضعي الورقة أخطر وجوه الاختناق في اقتصاديات غرب أوروبا بوجه عام وهي امدادات الوقود الصناعي . أما المشكلة الطويلة الأجل فقد وصفتها الورقة بأنها ناتجة في جزء كبير منها « عن الأثر الممزق للحرب على الهيكل الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لأوروبا » . ثم ركزت الورقة على ضرورة أن يكون هناك خط فاصل وواضح في تقسيم المسؤوليات واجراءات العمل بين دول الولايات المتحدة في معالجة هذا الوضع وبين دول ومسؤوليات الدول الأوروبية التي سيشملها البرنامج . في هذا الشأن أوضحت الورقة « أنه سيكون من غير الملائم ولا الفعال للولايات المتحدة أن تتولى بشكل منفرد وبمبادرة منها وضع

برنامج يهدف الى ان تقف اوربا على قدميها اقتصاديا ، فهذه مسرليه اذوريين ، المبادرة الرسمية يجب ان تجيء من اوربا وان يحصل اذوريون المسئوليه الرئيسيه منها ، أما دور الولايات المتحدة فهو المساعدة الصادفه فى صياغة مشروع البرنامج الاوربى ثم تأييد هذا البرنامج بعد ذلك بالسويل ريوسايل اخرى بناء على طلب أوربى » • وعلى هذا شان تصور الورقه الرئيسى هو ان يجمع اذوريون ولا معا وان يتنفوا على برنامج منسق للنهوض الاقتصادى على نطاق أوربى ، وسى هذا هالت للورقه : « ان هذا البرنامج المطنوب من الولايات المتحدة تأييده يجب ان يكون برنامجا مشتركا متفقا عليه من عدة دول أوربية ، وفى الوقت الذى يمكن أن يكون فيه هذا البرنامج مرتبطا ببرامج وطنيه فرديه مثل ختله مدنيه فى مرسا ، غابه ، ولاسباب سيدولوجيه وسياسيه واقتصاديه ايضا يجب أن يكون برنامجا متفقا عليه دوليا • والطلب الذى يقدم اليها يجب ان يكون طلبا مشتركا من مجموعه من الدول الصديقه وليس كسلسله من الطلبات الفرديه » •

وفى كينان السبب وراء هذا المطلب الاخير للورقه يابه ان لم نصر عليه الولايات المتحدة فانها كانت ستواجه سلسله كامله من المطالب الفرديه لكل دولة وجميعها مبالغ فيها لأغراض تنافسيه وتعكس جميعها محاولات حل المشكلات الاقتصاديه فى اطاراوطنيه أكثر منها على أساس أوربى شامل •

كذلك كان من المفاهيم الأساسية التى يجب أن يقوم عليها البرنامج فى تصور الورقه هو وضع اوربا عند النقطة التى تصبح فيها قادرة على الاحتفاظ بمستوى معقول من الحياه على أساس من التمويل الذاتى ، وأن تقدم اوربا وعدا بأنها ستقوم بالمهمه كلها ، كذلك يجب أن يتضمن البرنامج تأكيدات معقوله بأنه اذا ما أيدته الولايات المتحدة فانه

سيكون البرنامج الأخير الذى سيكون عليها تأييده فى المستقبل
القريب .

وقد تمم كينان ان يضمن التوصيات حول أهداف
وتوجيهات المساعدة الأمريكية لدول أخرى تصحيحا
للانطباعات التى اعتقد أن نظرية ترومان قد تركتها فى هذا
الشان كنتيجة للمصياغات العامة التى صيغت بها النظرية ،
فقد اعتقد كينان أن نظرية ترومان قد تركت الانطباع بأن:

(أ) جهود الولايات المتحدة فى تقديم مساعدة اقتصادية
لدول أخرى مدفوعة فقط برغبتها فى مقاومة الشيوعية ،
وانه ما لم يكن هناك خطر شيوعى فلا شئ سيهم الولايات
المتحدة .

(ب) تقدم نظرية ترومان (شيكا على بياض) لتقديم
مساعدته اقتصاديه وعسدرية لأى منطق فى العام يظهر فيها
الشيوعيون علامات على النجاح . ولذلك فانه من الواجب
توضيح ، ازام هذا النصور الذى تركته نظرية ترومان ، ان
تقديم المساعدة الأمريكية هى مسألة اقتصاد سياسى بالمعنى
الحرفى لهذه الكلمة ، وان هذه المساعدة سوف ينصر فيها
فقط فى الحالات التى تبررها النتائج المتوقعة وما ينمق سبها
من موارد وجهود .

بعد تقديم هذه التوصيات ، عقد وزير الخارجية
ماريшал اجنماعا ضم عددا من شخصيات وزارة الخارجية
لمناقشتها . وكان من أهم النقاط التى أثرت هى احتمال
اشتراك الاتحاد السوفيتى فى المشروع وعما سيكون عليه
رد فعل الولايات المتحدة اذا ما قبل الروس الاشتراك فيه .
وقد كان من رأى كينان وجوب معالجة الأمر بشكل مستقيم ،
فاذا رد السوفيت بشكل ايجابى حول اشتراكهم فان الولايات
المتحدة يجب أن تختبر حسن نواياهم بالاصرار على ضرورة

مساهمتهم بشكل بناء فى البرنامج والانفعا من مزاياه ، فان لم يحسنوا مستعدين لذلك فانهم هم الذين يجب أن يستبعدوا انفسهم من البرنامج والا تبدو الولايات المتحدة بأنها هى التى قسمت اوربا .

وبعد هذه المناقشات تسلم ماريشال التوصيات . أما مدى ما ساهمت به ومدى ما اخذ منها فى الاعلان النهائى عن المشروع الأمريكى ، فقد تبينه كينان بعد ان استمع الى الخطاب الذى لقيه وزير الخارجية ماريشال فى جامعة هارفارد وضمنه المشروع الذى عرف باسمه للنهوض باقتصاديات أوربا ، فقد ظهرت هذه التوصيات بالاضافة الى افكار واقتراحات من أجهزة وأشخاص آخرين فى البرنامج النهائى .

واذا كان « التلغراف الطويل » قد أبرز كينان واسمه ومكانته فى أوساط واشتطون الرسمية وقربه لأن يصبح من المخططين الأساسيين للسياسة الخارجية الأمريكية ، فان مقارنته التى سوف تعرف فى التاريخ الدبلوماسى الأمريكى بل والدولى بـ Article قد قدمت كينان بشئنا أوسع للأوساط السياسية وأثارت من حوله ضجة امتد أثرها وارتبطت بالسياسات الأمريكية التى حددت معالم مرحلة الحرب الباردة والتصورات التى حكمتها .

فمنذ أن بعث كينان تلغرافه الطويل - بدأ وزير البحرية جيمس فورستال يهتم شخصيا بأعمال كينان ، ونتيجة لذلك وينفذ فورستال الحق كينان بعد عودته من موسكو بكلية الحرب ، وبسبب فورستال أيضا اختير كينان بعد ذلك لكى يرأس هيئة التخطيط الجديدة فى الخارجية الأمريكية . وخلال عمله بكلية الحرب بعث له فورستال يورقة حول الماركسية والقوة السوفيتية أعدها أحد مساعديه المباشرين وطلب منه التعليق عليها ، الأمر الذى وجده كينان

صعباً ، فقد كانت الورقة جيدة اتفق كينان مع أجزاء منها وأجزاء أخرى لم تكن بالشكل الذى يمحى ان يمحى به كينان - وكان الموضوع كله مستنحذاً على اهتمام كينان ومتابعته ، بحيث وجد انه لا يمكنه ان يعالجه بكلمات احد آخر - لذلك اعاد كينان الورقة الى فورستال مقترحاً بدلاً من التعليق عليها ان يعالج الموضوع بلغته هو ، وهو ما رحب به فورستال .

وكانت نتيجة ذلك أن بعث كينان فى ٢١ يناير ١٩٤٧ ورقة للقراءة الخاصة لفورستال نافش فيها طبيعه السلطة السوفيتية باعتبارها تمثل مشكله رئيسية للسياسة الأمريكية ، وجاءت الورقة استقراء ادبياً للأفكار التى كانت قد نصبت فى ذهنه وكان قد عبر عنها فى مراسلانه وخطبه خلال العامين الأخيرين - وقرأ فورستال الورقة وعقب عليها بالمبارة الإنشائية : « انها ورقة كتبت بشكل جيد جداً وسوف اشرح على وزير الخارجية أن يقرأها » .

وكان كينان قد تحدث فى بداية يناير أمام مجلس العلاقات الخارجية فى نيويورك حول نفس الموضوع ، وسأله همنون أرمسترونج محرر مجلة « الشئون الخارجية » Foreign Affairs ان كان لديه شئ مكتوب لنشره فى مجلته وفقاً للخطوط التى تحدث بها ، وتذكر كينان الورقة التى قدمها لفورستال ، وحصل منه على موافقته على نشرها ، ثم قدمها كينان للجنة التى تشرف وتمتد نشر منزل هذه المقالات فى وزارة الخارجية ، واقترح كينان أن تنشر باسم مستعار ، ورغم أن اللجنة لم تر فى المقالة سبباً يدعو لذلك فإن المقالة نشرت باسم The Sources of Soviet Conduct وكان ذلك فى عدد المجلة يونيو ١٩٤٧ .

وما لبثت المقالة أن جذبت انتباه الصحافة والجمهور وبدأ كتاب يتساءلون ويشيرون الى كاتبها والى علاقته

مروارة الخارجية ، كما بدأت مجالات وأجهزة أخرى في إعادة طبعها ، وكان ما جذب انتباههم والتعليق بوجه خاص خبره « الاحتواء » containment الذي ورد في الإعلان ، وبدأت هذه التلميحات تضحوا في معاني « النظريات » نما ربطت بينها وبين السياسة الخارجية للإدارة ويشكل فاس هيسدا ، تورمان ومفرد ماريشال . وبهذا الشكل نشأت ، فيما يتناول كينان ، أساليب غير قابلة للتغيير ، أساليب تمثل لبنة للمزج » .

وقد أثار ما أحدثته المضاللة فزع وزير الخارجية ماريشال واستدعى كينان لمناقشة لمسائله ، وكان ماريشال من الرجال الذين يعتقدون « ان المختطفين » ينكلمون » أن كان يؤمن بالنظام وتحديد المسؤولية . وقد أوضح له كينان ان المضاللة لم تنقز الا بعد أن قدمها للجنة المسنونة عن ذلك في وزارة الخارجية ونها وأسقت عليها وأجازت نشرها . وقد ارتاح ماريشال لهذا الايضاح ، وحمى عرفة كينان بوزارة الخارجية بعد ذلك .

رحبنا يتأسس كينان بسند انضمام سنواب سني مخانه ما تقدمه هذا المثال رماسي والتفكير فيه ينتج من الخطر اوجه التفكير هو عدم توفيقه ان ما كان يقصده بالحوازم السياسية هو الاحتواء السياسي وبالمقابل السياسية . فذلك أكتشف كينان أن بعض الإجراءات وصياغتها مثل « الامتواء الطويل الاجل الصبور ودكن التحازم والتسلسل للارتباطات أنتوسمية السوفيه » او « التعيين الحذر والتحفيز للقوة المضادة في «مملكة» من المتبادات دون التحول الجذري والسياسي المستمر » وجد كينان أن أقل ما يقال عنها أنها غامضة وبعمل أمثالية سره تفسيرها .

أما نقطة الضعف الثانية التي تبينها كينان في مقالته . فقد كانت في فشلها في التمييز بين مناطق جغرافية متعددة ،

وعدم توضيحها أن الاحتواء الذى يتحدث عنه ليس هو بالضرورة الاحتواء المطلوب القيام به وتطبيقه فى كل مدن وبشكل ناضج - والواقع أن هذا كان يتفق مع الملاحظات التى أبدتها كينان على مبدأ ترومان ، كما يتفق أيضا مع انتقاده للصياغات العامة فى تصور امكانات ذلك الارتباط الأمريكى ومداه ، وكان اعتراض كينان الرئيس على مبدأ ترومان ينصب على فشله فى ذلك التمييز أيضا .

ويوضح كينان ما كان يقصده من المقالة بأنه كان فى الحقيقة نداء موجها الى كل من الليبراليين واليمينيين بأن يتقبلوا حقيقة أنه أيا ما كانت صموية مشكلة الثورة السوفيتية ، فإن الحرب ليست شيئا لا يمكن تجنبه ، كما أن الحرب لا تمثل اجابة مناسبة على هذه المشكلة ، وأن غياب الحرب لا يعنى أن الولايات المتحدة سوف تخسر الصراع ، وأن ثمة أرضا وسطا للمقاومة السياسية والتى يمكن أن تمارسها الولايات المتحدة وباحتمال معقول بالنجاح .

غير أن نتيجة ورد فصل المقالة الفعلى لدى الأطراف المختلفة هو أن اليسار قد اعتبرها عبارة تخفى مخططات عدوانية ضد الاتحاد السوفيتى ، أما اليمين فقد هاجمها لأنه لم يرها عدوانية بما فيه الكفاية ولسليبيتها ولأنها لم تعد بالنصر ضد الشيوعية .

غير أن كينان لم يكن من السهل عليه مواجهة كل هذا النقد مجتمعا ، وكل ما كان يؤكد أنه ما قاله فى مقالته لم يكن مقصودا به أن يكون نظرية ، وأنه ضد التفكير فى الشؤون الخارجية وفقا لنظريات أكثر منه وفقا لمبادئ ، وأنه كان يريد أن يناقض التفكير الذى نشأ فى الولايات المتحدة والقائم على استنتاج أنه ما دامت التنازلات التى قدمتها الولايات المتحدة أثناء الحرب وبعدها للاتحاد السوفيتى قد فشلت فى تحقيق تقارب وتعاون بين البلدين فإن الحرب تصبح هى البديل - هذا الاستنتاج هو ما كان

كينان يحاول في مقالت أن يناقشه وأن يختلف معه ، وهو يعتبر نفسه أكثر الناس إدراكا لما تمثله القوة السوفيتية بالنسبة للولايات المتحدة ، الا أنه في نفس الوقت لم يدن يرى ضرورة للحرب بين البلدين أو انها سوف تحقق كسبا سواء الآن أو في أي وقت آخر . ولهذا فإن تمة طريقة أخرى لمعالجة هذه المشكلة تستهدف تفضي كارتة حرب عالمية أخرى تترك مجموعة الدول الأوروبية أسوأ مما هي عليه . كما عبر عن اعتقاده بأن القادة السوفيت ليسوا فوق البشر أو الضعف ، فشأنهم شأن حكام الدول الكبرى لديهم تناقضاتهم الداخلية ومآزقهم التي عليهم أن يعالجوها . ولهذا كان كينان يحث على التعامل معهم بشكل حازم ولكن غير عدواني مع اتاحة الفرصة للوقت وجعل الزمن يأتي بأثره .

ويفانر كينان بين الظروف التي ختب فيها مقالته فيما يتعلق بانفوة السوفيسية وبين ما تطورت اليه بعد ذلك ، فيقول انه حين ختب مقالته كان النظام السوفيسى سواء فى حكمه الداخلى من حيث سيطرة ستالين المطلقة او فى سيطرته على اقطار اوربا الشرقية واغتراب الشيوعية فى الخارج وخضوعها المطلق لأراء ستالين وللمصالح السوفيتية ، كل هذا كان يجعل النظام كما متماسكا ومتراصا ، غير ان هذه الصورة المتماسكة ما لبثت بعد هذا أن احتراها الضعف . بدأ هذا بخلاف تيتو مع ستالين وخروجه عن المعسكر والسيطرة السوفيتية . ورغم أن هذا قد ظل هو الحادث المنفرد وسط الكيان السياسى السوفيتى ولم يؤثر كثيرا على بقية أجزاء الكتلة والعالم الشيوعى ، الا أنه حين بدأ النزاع السوفيتى الصينى فى التطور ما بين أعوام ١٩٥٠ - ١٩٦٢ ظهرت الخلافات على السطح فى شكل صريح بين النظامين ، وأصبح الموقف داخل الحركة الشيوعية الدولية مختلفا بشكل أساسى . هذا التطور غير أيضا بشكل جذرى الافتراضات التي كانت وراء مقالته ومفهوم الاحتواء كما عبرت عنه .

وبناء على هذا التطور ينتهى كينان بأنه إذا كان مسو
صاحب ومؤلف نظرية « الحنوام » عام ١٩٤٧ فإن هذه
النظرية قد فقدت مبررها بموت ساليين ويظهر رتطور
النزاع انسوييتى الصينى ، وقد جعله هذا يذهب الى حد
القول : « اننى انكر بشدة أيوى لآى جهود لآارة هذه النظرية
اليوم ونى مواقف مختلفة تماما عن تلك التى ظهرت فيها » .

وتمه حدنان مهمان نى نآاورات ما بعد العرب مباشرة
كان لهما تأنيهما نى توجيه خلافات الشرق والحرب ، ويسجل
كينان نى مذكراته رايه فيها وأن لم يكن قد لعب دورا
هاما رمباشرا نى تلوراتهما مديما لعب فى الاعداد وسياسة
مشروع ماريشال للنهوض الاقتصادى بأوربا الغربية ،
وننى يبين العديدين الاتجاه الأوربى الذى يادرت به
بريطانيا ومجموعة دول البينوليس لتكوين تحالف عسكري
فيما بينها ، وشر ما شجسته الولايات المتحدة وانتهى الى
أساسة ما عرف بمنطقة حلف شمال الأطلنطى North Atlantic
Treaty Organization

وتكان راي كينان منذ أن احربت بريطانيا عن مبادرتها
- وقبل ان تكتمل معاهدات بروكسل والننى انتهت بعد ذلك
فى ١٦ مارس ١٩٤٨ بتوقيع ما يعرف باتحاد بروكسل - ان
القلق الذى تملك الأوربيين ليس فى موضعه ، وبدأ له ان
هذا هو الوقت الذى تبدأ فيه المناقشات حول أمور الدئاع
والاستعدادات العسكرية . وقد واثق كينان على ان
الأوربيين قد يكونون محتاجين الى شىء من التأييد حول
أوضاعهم الدفاعية ، ولكنه كان يرى خفرا فى ان تتسبل
هذه التأييدات ما يمكن أن يشجعهم على تنليب الاعنبرات
العسكرية ، نند نآن اعتقاده أن ما يجب أن يكون مرضع
اهتمام الأوربيين هو النهوض الاقتصادى والاستقرار
السياسى الداخلى ، ون التركيز على الجوانب العسكرية
سيكون حتما على حساب النهوض الاقتصادى ، بل ان انترنين
على الجوانب العسكرية سوف يشبع الانطباع بأن الحرب

هى هى حصى ومن ثم يتحول الانتباه عن الاهداف الأكثر أهمية .

من ناحية اخرى كان من رأى كينان ان الطورين اللذين سببا اهتمام عصبيا شديدا لدى الغرب واسرعا بخطوات واشطون فى نايد تكوين هذا التحالف اذلطنى، ثم اجراءاتهم لاجراج الوجود النربى فى برلين ، كان السلوك السوفيتى فى كليهما عملا دفاعيا ، وردا على النجاح المبدئى الذى حمفه مشروع مارشال وعلى الاستعدادات الجارية على الجانب النربى لانشاء حكومة المانية منفصلة فى المانيا النربية .

اما الحدث الثانى فى تطورات ما بعد الحرب مباشرة والذى يسجله ويتناقشه كينان باعتبار أهميته فى توجيه العلاقات الأمريكية السوفيتية فهو هجوم كوريا الشمالية على كوريا الجنوبية ، وما أحدثه هذا من تأثير على التصورات الأمريكية على النوايا والاهداف السوفيتية ، ويصور كينان هذا التأثير بأن الهجوم الكورى الشمالى قد اعتبر فى واشنطون على أنه « منطعل كبير » Grand design من جانب القادة السوفيت لمد نفوذهم الى اجزاء اخرى من العالم واستخدام القوة . وكان عدم توقع هذا الهجوم وعدم وجود انذار مسبق لدى الولايات المتحدة عنه قد ساعد على تصميد الاتجاه نحو صيغ تفكير الحرب الباردة بالصيغة العسكرية ، ودفع الولايات المتحدة نحو اتجاهات يصبح معها أى تقدير أو تفسير مختلف للنوايا السوفيتية أمرا غير مقبول وغير مرحب به ، كما شجع المخططين العسكريين نحو اتجاه حاربه كينان بمرارة ولمدة طويلة ولكن بلا جدوى، وهو الاتجاه نحو رؤية النوايا السوفيتية كشيء مستقل تماما عن السلوك الأمريكى ، وفى هذا وجد كينان أنه من الصعب اقناع هؤلاء الرجال بأن ما تقرر موسكو أن تفعله قد يكون رد فعل لأمور فعلتها الولايات المتحدة .

ويذكر كينان بأنه أيد منذ البداية القرار الأمريكي بمقاومة غزو كوريا الشمالية لكوريا الجنوبية الذي بدا في يونيو ١٩٥٠ ولكنه فعل هذا على افتراض أن الاجراء الأمريكى موجه فقط لفرض محدود وهو : إعادة الوضع الراهن لشبه القارة الكورية ، وإن القوات الأمريكية حتى فى حالة النجاح المسكرى لن تتقدم أبعد من خط التقسيم السابق على خط عرض ٣٨ ، وهكذا فإذا كان الوضع الكورى يبرر استخدام القوة الأمريكية لفرض محدد ، إلا أنه ليس مبررا للزج بالولايات المتحدة فى حرب عالمية جديدة *

أما المعانى التى يستخلصها كينان بالنسبة للسياسة الأمريكية من الحرب الكورية فكانت خطورة ترك السياسة القومية تقررها الامتبارات العسكرية وحدها ، فإذا كان الأمر قد ترك كلية للمسكرين ولما كان يدور فى تفكير ماك آرثر وهيئة أركان الحرب فى واشنطن ، ولم يفرض عليهم ضبط النفس من جانب القيادة السياسية فإن كارثة كانت حتما سوف تحل *

وقد بلور كينان ما فعلته الحرب الكورية فى السياسة الأمريكية وأسلوب معالجتها فسجل فى أغسطس عام ١٩٥٠ « انه لم يحدث من قبل مثل هذا التشويش الكامل فى تفكير الرأى العام فيما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية : ان الرئيس لا يفهمها والكونجوس لا يفهمها ، ولا الجمهور ولا الصحافة ، انهم جميعا يدورون فى متاهة من الجهل والخطأ التى اختلطت فيها الحقيقة بالخيال حول العديد من النقاط ، ونشأت افتراضات لا مبرر لها حول صلاحية المقدمات ، وحيث لا توجد نظرية معترف بها ولا سلطة تتمسك بها » فى هذه الحالة فإن المؤرخ الدبلوماسى الذى يعمل من بعد غير مرتبط بالبيئة الحالية ، وهو وحده الذى سيكون قادرا على فض هذه العقدة ، ويكشف الجوانب

الحقيقية والعناصر التي كانت تحكم هذا الوضع . وهكذا وكما يبدو لى ، فان أحدا فى مركزى (يعنى وضعه كمدير للتخطيط السياسى فى الخارجية) لا يستطيع ان يفعل الكثير ما لم يتحول أولا الى مؤرخ وأن يكسب ثقة الرأى العام من خلال دراسة الماضى وأن يقدم للرأى العام نظرة واضحة وأكثر شمولاً للأحداث الجارية » .

وكان كينان مع نهاية عام ١٩٤٩ قد عبر للمسئولين فى الخارجية عام ١٩٤٩ عن رغبته فى الحصول على اجازة دراسية ابتداء من يونيو ١٩٥٠ تسمح له بالمودة الى نشاطاته الأكاديمية ، وتتيح له الوقت والحرية لتناول المشكلات ، التي أصبح من الواضح أن خلافاً واسعة تقوم حولها بينه وبين المسئولين الكبار فى الحكومة . وهكذا كانت الأفكار التي سجلها كينان والتي حركتها فيه أحداث الحرب الكورية ، هى الأفكار والروح التي غادر بها واشنطن نهائياً فى نهاية أغسطس ١٩٥٠ متجهاً الى برنستون حيث استضافه روبرت أوبنهايمر الذي كان يرأس معهد الدراسات المتقدمة فيها: *Institute for Advanced Studies* .

وحيث كانت تنتظره حياة جديدة تقدم امكانات للتعبير الخلاق بأكثر مما عرف من قبل . بهذه الروح أقبل كينان على حياته الأكاديمية الجديدة ، وفى يومه الأول غمرته النشوة وهو يتجول فى أنحائها مستشعرا ما سيتاح له من وقت وحرية ، وشعر أنه الآن يستطيع فكره أن يتجه الى حيث تقوده قدماءه . غير أن الأمور لم تسر على هذا النحو ، فلم تلبث قيود الواقع أن بددت هذا الوهم . وكان أول هذه القيود ما نشأ من أفراد وجماعات تطلب طلبات خاصة ، فبعضهم يطلب وظائف ، والبعض الآخر يطلب أن يقرأ مسودات ما كتبوه ، أو من يريدون أن يتعرفوا عليه أو أن يشرؤوا معه حول كل شيء خلاف ما جاء من أجله الى

برنستون • وقد كان من السهل على كينان أن يرضى انساب هذه العذابات ، غير أنه لم يستطع ذلك مع نسبته ضئيلة ومتفرقة منها جاءت غالبا عن طريق أصدقاء أو أقارب أو عن طريق اطفاله ، أو من طرف شخصيات هامة جدا فى الحكومة أو من لجان الكونجرس أو حكومات أجنبية ، أو من عروض درجات شرفية يتلوها بالطبع القاء خطب •

وكان أصعب هذه الطلبات تلك التى جاءت من أناس يشعر انهم محتاجون فعلا للمساعدة ، أو تلك التى تنير قضايا يشعر بها المرم بشئ عميق ، وتلك التى حين يزيدها المرم يشعر أنه يدعم صوته ويدعم امكاناته فى أن يكون مفيدا •

كان أول ما فكر فيه كينان فى برنستون هو ان يجمع حوله مجموعة من الدارسين انشيان لاعداد دراسة حول الخلفية الداخلية للسياسة الخارجية الأمريكية وحول ما يحدث للموارد المادية للقارة الأمريكية وحول ما يتطور اليه المجتمع الأمريكى وما هى المطالب التى ستفرضها البيئة الدولية على السياسة الخارجية الأمريكية فى العقب المقبلة •

كذلك بدا بتحذير وبصيحة قدمها له أوبنهايمر « لا تنس أنه ليس هناك أصعب فى الحياة من ألا تجد أمامك الا صفحة بيضاء ، ولا شيء أمامك تفعله الا ألضسل ما لديك » أما النصيحة فكانت أنه بدلا من أن يحاول كتابة أى شيء نانه عليه اولا أن يستقر فى الشهور الأولى ، وأن يقرأ بشكل واسع وقتا لبرنامج علمى يقدم له اساسا ثقافيا عريضا •

ويعترف كينان أنه لم يكن هناك احكم من هذه النصيحة ويأسف أنه لم يستطع أن يتبعها • فقد خضع للضغوط الخارجية التى أملتھا الأحداث المعاصرة وطلبات المشاركة فيها ، الأمر الذى جعل ما نصح به أوبنهايمر مستحيلا • ولكن لماذا استجاب كينان لهذه الضغوط ؟ تتلخص اجابته فى أنه لم يستطع أن يتقبل بأن لا يكون له دور يلعبه فى الأحداث الجارية ، ويذكر فى هذا تأثير استعادة انجليزية

للتاريخ فى برنستون حذرته من ان يقع فى خطأ انشغاله
بالتاريخ عن الاندماج فى شئون العصر . وكذلك كان كينان
خلال هذه الفترة فى صراع بين الماضى والحاضر حيث انه لم
يمط نفسه كلية لأحدثها وبحيث أصبح شبه مؤرخ رنسيه
معلق على الأحداث الخارجيه .

وهذان الشاغلان وان كانا متصارعين الا انهما
متداخلان يعتمد أحدهما على الآخر ، فجزء من قوته كمؤرخ
ديپلماتى يأتى من حقينه انه اندمج بشكل مسئول فى
مشكلات الدبلوماسية المعاصرة ، أما قيمته كمعلق على
الشئون المعاصرة فكانت فى جانب منها من اعتقاد البصهور
بأنه يعلم شيئا عن التاريخ .

ولأن مركز الدراسات المتقدمة فى برنستون كان هو
المالذ الأكاديمى له فى فترات انقطاعه عن العمل الحكومى ،
فقد تحدث عنه بنماطف وحيد ، شديدين ، وكذلك عن
الشخصيات التى عمل نيه معها واثرت فيه - فهو ينسب
المركز كشيء فريد بين المراكز الأكاديمية العليا لامتياز
الدارسين من زواره وتكرسهم وتكرس عقولهم لأعلى مستويات
الحياة الدراسية ، فهو فقط مكان مكرس للبحث الفردى ،
هادئ ومتقشف ومنسج للذات ويعيد عن المؤثرات التى
تششت الانتباه . وكانت الفروع الأساسية التى بدأ المركز
عمله فيها هى : الرياضيات العليا والعلم الطبيعى وخاصة
الفيزياء النظرية والتاريخ ثم أضيف اليهم فرع جديد هو
العلوم الاجتماعية ، وكان المركز يؤكد نوعية العمل فيه من
خلال التدقيق فى اختيار من يحصلون على منح دراسية فيه .

وطالما تلقى الباحث هذه المنحة ، فانه تصبح لديه الحرية
الكاملة لمتابمة اهتماماته وعمله ، فاذا ما أضع وقته ،
وهو نادرا ما يحدث ، فان اللوم يقع على صحة اختياره وليس
عليه . ولم يكن المركز يمانع فى أن يجتمع أعضاء الكليات

والباحثون الزائرون معا للمناقشات والندوات ، فكان المركز يقدم التسهيلات اللازمة ولكنه لا يأخذ المبادرة فى تنظيم هذه النشاطات . وكما عبر أوبنهايمر فان المركز حريص على أن « يجرّد هؤلاء الناس من أى عذر لعدم قيامهم بما جاءوا من أجله » .

وشأن الوضع فى أى أسرة فان الحياة الدراسية تعتمد على النموذج وعلى القدوة فى المقام الأول ، وبالنسبة لكينان لم يكن هناك مثل رائع خلال اجازته الدراسية فى برنستون مثل أروين يانكوفسكى الذى كان واحدا من أعظم المؤرخين فى كل زمان ، كان يجمع بين العلم الفزير وروح المرح الترية الدافئة وحب الاستطلاع الذى لا نهاية له والموضوعية والكرم الذى يميز العلم المفطور على الاستعداد للنقاش . ومن هنا كان الأثر الذى تركه يانكوفسكى على كينان لا يمحي . ويذكر كينان أنه حين انتهى من دراسته « روسيا تترك الحرب » قدم له مسودته ورجاه أن يقرأها . وبعد فترة دعاه يانكوفسكى على عشاء أعده بنفسه وراح يناقشه فيه من زاوية ذوق الكتابة التاريخية الأمر الذى كان بالنسبة لكينان نقدا بناء ومفيدا لم ينسه .

كذلك كان فى المركز خلال اقامة كينان فيه ألبرت أينشتين ، الذى كان يدرك شخصية كينان ويعلم بوجوده . وكانا فى بعض الأحيان يتبادلان الملاحظات ولكنهما لم يتزاورا قط . ويجد كينان صعوبة فى تفسير ذلك - فهو لا يفهم شيئا فى اهتمامات أينشتين العلمية وعلى هذا فلم يكن لديه شئ يراه من أجله . كما كان كينان مدركا مدى الضغوط التى تقع على أينشتين باستمرار من الزوار سواء من ذوى النوايا الطيبة ، أو من الفضوليين من كل نوع ، ولم يرد كينان أن يضيف عبثا جديدا عليه بزيارته له . وانتهى الى أن أفضل طريقة لكى يعبر له عن احترامه هو أن يتركه وشأنه ، فضلا عن تقديم أينشتين فى السن وارهاقه ، فلم يكن

من المحتمل ان تضيف لقاؤهما له علما عن روسيا ، كما كان كينان واثقا أنه لن يتعلم من آينشتين شيئا عن الفيزياء او الرياضيات خلال زيارة مجاملة .

★★★

غير أن الشخصية التى يتوقف عندها كينان كثيرا من بين الشخصيات التى التقى بها فى برنستون هى شخصية روبرت أوبنهايمر ، والتى رأها شخصية خفية متعددة الجوانب ، فهو بشئ ما شاب جدا وبشئ اخر رجل متقدم فى السن ، وهو فى جانب منه شاعر ، وفى جانب اخر عالم . وفى وقت ما فخور وفى وقت آخر متواضع ، وهكذا كان يمثل بالنسبة لكينان مجموعة من المتناقضات المجدبة ، أما الشيء الذى لا ينازع فيه فهو عظمته ، فمقله كان ذا قدرة غير عادية وفى كياسته وفى سرعته على رد الفعل ، وكان من القلائل الذين تجتمع فى شخصياتهم الثقافة والأخلاق والمعرفة العلمية الواسعة مع علم غزير فى الانسانيات واهتمام نشط وعميق بالشئون السياسية والدولية المعاصرة . وكان دائما يوصف وينقد بأنه متعجرف ، وربما كان كذلك ، ولكن كان هذا فى تفسير كينان يمس فى المقام الأول أثر الناس من حوله اكثر مما يمس الدوافع الشخصية لشخصيته . فما لا شك فيه أن سرعة وحدة ذهنه جعلته لا يصبر على ما يبدو من سطحية ما يصدر من الآخرين ، غير أنه تحت سطح عدم الصبر هذا تكمن واحدة من أرق الطبائع مع تطلع كبير للمصداقة والمأطفة واعتقاد عميق ينذر أن تلمسه فى شخص آخر عما يتصوره فى الأخوة والزمالة التى يجب أن تجمع المشتغلين بالدراسات العليا ، ولهذا فقد كان دائما يعتقد مع بوخارين أن الصداقة العقلية والفكرية هى أعمق وأروع أشكال الصداقة بين الرجال ، ولهذا أيضا فان أعمق مأساة فى حياته - فى ظن كينان - لم تكن المحنة التى تعرض لها فيما يتعلق بولائه رغم ما كان يمثلها هذا بالنسبة له ، وإنما

لأنه وجد أن أعضاء المركز لم يكونوا دائما قادرين على ان يحققوا لبعضهم البعض شيئا موازيا لما كانوا يحملونه من احترام لانجازاتهم العلمية - وكانت أغلى أحلامه هي ان يتحقق بين أعضاء الوسط الأكاديمي A Certain Rich and Anonymous Fellowship of Mind وهو ما حاول بجماس أن يبحث عنه ويحققه في برنستون وكان افتقاده مصدر انزعاجه وقلقه .

. وفيما يتعلق بالاتهامات التي وجهت له حول ولاته . فان التصرفات التي سدرت من جانيه اتخذها متهموه دريعة لهم كانت تصرفات حمقاء حقا ، ومخالفات تافهة وهو ما ادركه اوپنهايمر نفسه ، ولكنها لم تكن تصرفات تتضمن تسليما لاي معلومات لاي حكومة أجنبية ولم تكن دليلا لاي شك في ولاته - وكانت هذه التصرفات معلومة بالولايات المتحدة قبل ان تمهد إليه برئاسة اللجنة الاستشارية العلمية، ولم يكن وراء احياء هذه الاتهامات ضده في الخمسينات الا الحقد الشخصي والعداوات الشخصية التي لا تخجل والتي لا قلب لها . وينذكر كينان حديثه مع اوپنهايمر في يوم من أيام الأحاد في منزله حينما سأله كينان - خلال محنة لجان الاستماع العامة حول صلاحيته للاستمرار في رئاسة اللجنة الاستشارية العلمية - لماذا يستمر في العيش في هذا البلد في وجه كل هذه المضايقات وفي وقت يستطيع ان يكون فيه مكرما في أماكن أخرى من العالم ، فقد حصل على الدكتوراه من هولندا وله أصدقاء عديدون في العالم الأكاديمي الأوروبي ، ولم تكن هناك جامعة في أي مكان في العالم الا وترحب به وتفتح له ذراعيها . وازام سؤال كينان وقف لحظة والدموع تنهمر من عينيه وهو يقول : وعليه اللعنة . اني أحب هذا البلد . وقد كان هذا صحيحا . فمع كل ما يشبط الهمة ، ومع كل سوء الفهم الذي لاقاه من جانب حكومته ومن قطاعات من الرأي العام الأمريكي ، فان اوپنهايمر كان وظل دائما شخصية أمريكية حتى الأعماق .

فى خريف عام ١٩٥١ حدث فى حياة جورج كينان تحول جديد أعاده الى الحياة العملية والدبلوماسية والى المنصب الذى أعده له تدريبه العلمى والاعادى من سنوات الخمسة والعشرين عاما الماضية .

فى خريف هذا العام تلقى كينان رسالة تليفونية من وزير الخارجية دين اتشيسون تنيد بان السفير الأمريكى فى موسكو الذى شريك - سوف يمتل - وان الرئيس الأمريكى ترومان يريد أن يحل محله فى هذا المنصب . وكان العرض فى بعض وجوهه مقبولا لكينان وغير مقبول من وجوه أخرى فانه كان قد بدأ فى مشروعه لدراسة الموترات الداخلية على السياسة الخارجية الأمريكية ، وجمع حوله بذلك مجموعة من الباحثين الشبان ، وكذلك شعر أن لديه التزاما تجاههم بعد أن جاء بهم الى برنستون لمدة عام ، الى جانب هذا فقد كان خلافه مع شخصيات الحكومة الأمريكية قبل تعيينه الى برنستون فى ذهنه ، بالإضافة الى مناوئه من قبل مناصب هام ومؤسسات نسبية فى موسكو وان يمثل سياسة لا يفهمها تماما ولا يمتدق فيها . على انه من ناحية أخرى شعر انه مازال موظفا حكوميا ولم يئن من الخلق أن يرفض تكليفه نه خاصة اذا كان الرئيس شرفا فيه بشكل مباشر . كذلك لم يكن من السهل عليه أن يرفض مهمة سمير فى الاتحاد السوفيتى ، وهى مهمة أعدته لها حياته العلمية كلها . ولهذا اقترح كينان على اتشيسون أنه فى الوقت الذى يضع نفسه فيه تحت تصرف الادارة وينهب الى أى مكان يريدونه فيه ، فانه يود أن يحدث الرئيس مدراك من شخص آخر أكثر قربا منه وأكثر اطلاعا على أفكاره وسياساته لتولى هذا المنصب . غير أن الرد جاءه بعد أيام أن الرئيس مازال مصرا عليه . وهكذا قبل كينان وأعلن عن تعيينه فى ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ . وفى أبريل ١٩٥٢ وبعد أن وافق الكونجرس على تعيينه بدأ كينان زيارته الرسمية وكان أولها زيارته للرئيس ترومان ، والذى كان قد أعلن عن

عزمه عن عدم ترشيح نفسه مرة ثانية للرئاسة • ويروى كينان عن هذا اللقاء أنه وجد ترومان في حالة استرخاء ، وأشار الى أنه يشاركه وجهات نظره حول تحليل مواقف القادة السوفيت ودوافع تصرفاتهم ، وأنه لم يمتدأ أيذا أنهم يريدون حربا عالمية ، غير أنه بخلاف هذه الملاحظات فإنه لم يعطه أية تعليمات •

كذلك أعرب كينان عن رغبته في الاجتماع برجال وزارة الخارجية لكي يناقش معهم ويستمع منهم حول المواقف والاتجاهات الأمريكية • وقد عقد الاجتماع في ١٨ ابريل وحضره وزير الخارجية ، غير أنه لخيبة أمل كينان وجد انه ترك له كلية تحديد اتجاه المناقشة وكان لسان حال الحاضرين يقول انه وقد طلبت أن تجتمع بنا وما قد اجتمعنا فعادا تريد منا ؟ • وقد أشار كينان الى أنه بالنظر الى حساسية مركزه كسفير في موسكو فان كل عبارة ستصدر عنه سوف تأخذها الحكومة السوفيتية كتعبير عن السياسة الأمريكية ، وحيث انه بقى بعيدا عن وزارة الخارجية لمدة عام ونصف فإنه من المهم أن يتلقى تلقينا عن أهداف ومواقف السياسة الأمريكية والمنطق الذي يحكمها • وقد تلت هذا مناقشة حول السياسة الأمريكية تجاه ألمانيا وآسيا ، ونزع السلاح • وتتضمن يوميات كينان ملاحظات عن هذا الاجتماع واتجاه المناقشات فيه فيقول : لقد دخلت هذا الاجتماع لا لكي أقدم اقتراحات حول السياسة ولكن لكي أجد ما يجب أن أعلمه عنها ، ومع هذا فاني لا أستطيع أن أخفي قلقي من الاطار العام لما قيل لي • فكما فهمت فأننا نتوقع أن نكون قادرين على أن نكسب أهدافنا سواء في الشرق أو الغرب بدون أن نقدم تنازلات أيما كانت لوجهات نظر خصومنا • ويبدو لي موقفنا مشابها لسياسة الاستسلام بلا شرط في الحرب الأخيرة • وقد يكون هذا الموقف ممتازا اذا كنا حقا أقوياء بشكل مطلق ••• وأشك تماما في أن هذا صحيح • وكان تفكيري أن علينا أن نتأمل بعرض تام هذه الأمور وأن ننظر

فيما اذا كان من الأفضل محاولة حل على الأقل بعض هذه المشكلات بالاتفاق مع خصومنا أكثر من التعدى الكامل لهم .

الى جانب هذه الانطباعات التى خرج بها كينان من هذا الاجتماع فقد أجرى ايضا مناقشات بعد ذلك مع رجال الخارجيه حول السياسة الامريكية تجاه تطوير الاسلحة النوويه ، وقد اعتبر كينان ان هذه الاسلحه فى معانيها النهائية هى أسلحه انتعاريه ومدمره لدرجة لا تبررها اية أهداف قومية ، ولذلك عارض كينان اقامة الوضع الدعاى للولايات المتحدة على اساس من هذه الاسلحة وخاصة على تبنى مبدأ البدم باستخدامها The first use عسكريا . وكان كينان قبل ذلك بمامين قد دعا صناع القرار الأمريكى العسكريين والسياسيين بلا جدوى ان يعمدوا النظر فى قرار الاستمرار فى تطوير انقبلة الهيدروجينية ، ثم القيام بمحاولة اخرى فى مفاوضات دولية للنظر فى تحريم هذه الأسلحة وكل الأسلحة ذات التدمير الشامل . كذلك لفت كينان النظر الى المآزق الذى سوف يظهر بعد ذلك أمام واضعى السياسة الأمريكى اذا ما تولدت منافسة لا نهائية حول تطوير هذه الأسلحة .

ومع رحيله الى موسكو وجد كينان حتى أقرب أصدقائه فيما يقول : « أمرى للتفكير المسطح وغير المرن للبنتاجون ، وهو التفكير الذى أعطى للحسابات الرياضية الزائفة لقوة هذه الأسلحة نوعا من القيمة المطلقة واستبعد جميع العناصر الأخرى الممكنة من الممارك باعتبار أنها ليست لها أية أهمية يمكن اثباتها أو الرهان عليها » وقد كان هذا الخلاف الفلسفى بين نظرة كينان وهذه النظرة عميقا بشكل يحول دون قيام أى تقارب فكرى حتى مع أناس شاركوه فى الماضى وجهات نظره حول الشؤون الدولية والسياسية الأمريكية بوجه عام .

ويسجل كينان انطباعاته التي عاد بها الى برنستون بعد أن أتم زيارته الرسمية في واشنطنون فيقول انه عاد الى برنستون وهو يشعر بالوحدة بشكل كبير وبدا له أنه لم يلق أحدا في واشنطنون يستطيع أن يناقش معه الأمور بشكل كامل وصريح وفي ضوء نظرة وفهم مشترك ، وأنه اذا كان الأمر كذلك في واشنطنون فلن يكون هناك مثل هذا الشخص في موسكو ، وبدا له أنه أرسل في مهمة لكي يقوم بلعبة لا يستطيع أن يكسب فيها ، وان عليه ان يخفى ذلك عن العالم وأن يتحمل في نفس الوقت مسؤولية أى فشل . وتغيب في الوقت نفسه أنه ليس الشخص الوحيد الذي يعمل تحت هذه الظروف المعوقة في مهنة الدبلوماسية الغربية ، وأنه يبدأ مهمته بقلب تميل وخاوى اليدين بلا تعليمات وبلا معين فيما كان بالتأكيد أكثر الأهداف الدبلوماسية أهمية وحساسية وفي هذا المنعطف الخامس .

وقد سجل كينان هذه المعينات في يومياته في ٢٢ أبريل عام ١٩٥٢ دون أن يعلم بالكارثة التي ستسوف تنبئ مهمته الجديدة في موسكو بالقشلة وتأت دليلًا على قوة الهاجس الذي تملكه وعبر عنه بالمعبارات السابقة .

ينافذ انضاميا السياسية والدولية التي سجلها كينان خلال مهمته مسبقا في موسكو ، حرص أيضا على ان يستغل مغازلة مديانة المامه في موسكو من ريدته لمساعدتها ومسارحها ومشاهداته للكناسيكيات الروسية وهي تمثل على خشباتها وما يذكره وبشكل لا يقل أهمية من جودته على قدميه في حدائقها العامة على نهر موسكو حيث يحتشد على جنباته آلاف الموسكوفيين ، يسرون على أقدامهم ويتنفسون هواء الصيف ويرتادون دور السينما والمؤسسات الترفيهية .

وهو يعلق على ما أثارته فيه هذه الجولات ووجوده بين افراد الشعب الروسى بقوله : « لم اطلع ابدا باكثر من هذا الوقت لميزة أن اكون ولو لوقت قصير جزءا من هؤلاء الناس للحديث معهم ومشاركتهم حياتهم - فلأكثر من حقتين كانت روسيا فى دى ، كان ثمة صلة روحية غامضة لا أستطيع تفسيرها حتى لنفسى ، ولم يكن هناك شئ يستطيع أن يمنحنى رضا أعرق من الانغماس فيها » .

وخا جاء كينان من واشنطن الى منصب السفير مهموما تملؤه ابهونجس حول مصير مهمته فان حياته العملية قد ضاعفت من ذلك - فمند أن بدأ مهمته فى موسكو يتابع تصاعد حملات الدعاية السوفيتية ضد السياسة الامريكية وضد الناتو ، ولكنه كان يسأل نفسه ان كانت الولايات المتحدة قد ساهمت من خلال تركيزها على الطابع العسكرية لسياساتها وبياناتها فى اذكاء هذه الحملات وفى اعطاء الانطباع بأن الولايات المتحدة تريد الحرب وانها استقرت على أنه لا بديل عنها وانها فقط مسألة وقت قبل ان تطلقها . وقد وجد كينان أن هذا قد أدى بدوره الى تأكيد الانشغال الروسى التقليدى بمسائل الأمن ، ومن هنا كانت دعوة كينان لحكومته أن تعمل على أن تقيم توازنا مناسباً فى سياساتها بين الاعتبارات السياسية وأن لا تدع آمال المحافظة على السلام تتضامل وذلك من خلال موقف ان كان يرى امكانية الحرب الا أنه لا يعتقد فى حتميتها - ويقول كينان ان دفاعه عن مثل هذا الموقف ينبع من ايمانه بأن أية حرب بين روسيا والغرب ستكون كارثة نهائية ومؤكدة ولا يمكن علاجها ، وعلى هذا كان يعتقد أن الأمل الوحيد يكمن فى حصر الصراع بين الشرق والغرب فى المجال السياسى .

غير أن دعوة كينان الى سياسة تعتمد على التقليل من الاعتبارات العسكرية والحصار العسكرى للسوفيت من خلال القواعد العسكرية الملاصقة لحدوده ، لم تجد ، فقد لاحظ

كينان أنه عاما بعد عام كان يتزايد تحريك القواعد الأمريكية الى الحدود الروسية وترسل الوحدات البحرية الأمريكية في مهمات لا فائدة منها الى البحر الأسود، ويحتفظ بقواعد بحرية وعسكرية في باكستان وأوكيناوا بصورة لا يبدو معها أى مجهود لموازنة هذا مع الثمن السياسى ، كذلك استمرت أعمال المخابرات الحربية كما حدث فى حادث الطائرة 2 U التى أخرجت الشخصية السوفيتية الوحيدة بعد ستالين التى كان يمكن معها صياغة أساس صلب التعايش السلمى •

ولم يكن عجز كينان فى أن يؤثر فى سياسة حكومته يرجع الى خطئه فيما أوصى به ، أو فى الطريقة التى صاغ بها توصياته وانما ينبع أساسا من حدود القاعدة التى صدرت عنها •

وكان التيقن من هذه الحقيقة هو الذى قلل من حماسه فى الشهور التالية لأن يبقى فى مهنة تتحكم فيها السلبية وعدم التخصص فى القضايا والذكاء التكتيكى أكثر مما يتحكم التحليل الجاد •

وقد تضافر مع هذا الفشل السياسى سوء الحظ الشخصى ، فخلال مهمة قام بها كينان لحضور أحد الاجتماعات فى برلين التفت حوله المراسلون الصحفيون فى مطار برلين وسأله أحد المراسلين عن نوعية الحياة التى يحيهاها الدبلوماسيون الأجانب فى موسكو ، ويبدو أن السؤال قد استفزه حيث لم يكن يخلو من رغبة فى الاحراج ، ورد كينان بأن حياته فى موسكو تشبه نوع الحياة العامة التى كان يحيها فى برلين خلال الحرب الأخيرة • وقد اعتبرت الحكومة السوفيتية هذه الملاحظة تجريحا وعملا عدائيا للاتحاد

السوفيتي ورأت فيه تشبيه وضع الأمريكيين في موسكو بذلك الذي مر به من ١٩٤١ - ١٩٤٢ في ألمانيا النازية . وهكذا اعتبرته الحكومة السوفيتية شخصا غير مرغوب فيه وحللت استدعائه من منصبه كسفير للولايات المتحدة في الاتحاد السوفيتي .

وهكذا انتهت هذه الفترة من حياته ، وعاد الى واشنطن بعد أن اعتزل العمل الدبلوماسي والحكومي وعاد من جديد لحياته الأكاديمية في برنستون - ولا يفوت كينان أن يسجل في هذه الفترة ملاحظاته عن شخصيتها الرئيسيتين : وزير الخارجية دالاس والرئيس ايزنهاور ، ويلخص كينان وجهة نظره في دالاس فيقول ان ضعفه يكمن في المجال الشخصي أكثر منه في المجال الفكري أو المهني ، فنقاط ضعفه لا تصدر عن كرهه للآخرين أو خبث أو لؤم في روحه نحوهم وانما من الانتقال الى الاهتمام بهم أو الحرص عليهم كبشر ، فقد كان يميل الى المبالغة في الطابع الفكري والتقليل من الطابع الشخصي في ممارسته لمهام منصبه . ولا يعرف كينان ان كان دالاس مدركا للثمن الذي دفعه في تأثيره على اتجاهات الآخرين أم لا .

أما دوايت ايزنهاور فقد كان في رأي كينان ذا صفات شخصية مناقضة تماما لصفات وزير خارجيته الذي كان ايزنهاور بالنسبة له رجلا صعبا لكي تفهمه ، وكان حقا وظل في ضوء التاريخ واحدا من أكثر الشخصيات غموضا في الحياة الأمريكية العامة ، فقليل من الأمريكيين من اضفى عليهم بشكل ليبرالي مسئولية القيادة ، وقليل منهم من أبدى مثل هذا المقت لممارسة القيادة . ونظرته للرئاسة تشبه بشكل أكثر الاطار التقليدي لرئيس الدولة الأوربي ، أكثر مما تشبه رئيس دولته ، ففيما يتعلق بمفهوم الرئيس الذي

يمثل الوسط الأعلى والذي يقف وسط السياسة يوفق بين الناس ويجمعهم معا ، ويساعدهم على التوصل الى توافق في الآراء ، ويخفف من الحدة فانه في هذا كان يمكن أن يمثل رئيسا متوجا . وقد جمع في شخصيته واسلوبه ومظهره كل ما يحب الأمريكيون ان يصوروه كفضائل وطنية . وكان ثمة ميل في بعض الدوائر الى النظر الى أيزنهاور كشخص مصطنع فكريا وسياسيا قادة الحظ والحب التقليدي للناخب الأمريكي للزى المسكرى لأن يقف على قمة الحياة السياسية الأمريكية . ويعتقد كينان أن هذا الانطباع خاطيء ، فقد كان فعلا رجلا ذا ذكاء سياسى حاد خاصة فيما يتعلق بالشئون الخارجية ، أما عن أنه استخدم هذا الذكاء بشكل فعال فهذا شيء آخر ، ولكنه كان حتما يمتلكه .

بعد انتهاء عمل جورج كينان كسفير في موسكو كان ثمة حادثان بارزان في حياته العملية والأكاديمية وهما : دعوة جامعه أوكسفورد له لقضاء عام دراسى فيها كأستاذ فى عام ٥٧ - ١٩٥٨ ، ثم دعوة الاذاعة البريطانية له فى نفس الفترة ، لكي يلقى مجموعة محاضرات سنوية تنظمها وتعرف باسم محاضرات ريث Reith lectures .

وقد ألقى كينان ست محاضرات فى السلسله ، تناول فى الحديث الأول ظاهرة التقدم الاقتصادى الذى كان الاتحاد السوفيتى يحققه ، وحاول فيها أن يخفف من ردود الفعل المبالغ فيها والمحنرة التى ظهرت فى الغرب تجاه هذه الظاهرة ، وفى الحديث الثانى تحدث عن الحالة الذهنية للقادة السوفيت كعامل يقع فى قلب الخلافات بين الشرق والغرب وهاجم بمنف الميل فى الغرب الى الاعتقاد بأن هذا الوضع يمكن أن يتغير بشكل مفاجئ من خلال لقاءات أو اجتماعات قمة . أما الحديث الخامس فقد خصصه لمسألة علاقات روسيا والغرب بالعالم النامى وكان محاولة منه لكى

يضع الاهتمام الروسى ونشاطه فى العام الثالث فى الاطار الصحيح ، حذر من اعتبار أن هذا شيء غير طبيعى ومهدد . أما الحديث الأخير فكان حول شمال الأطلنطى حيث دعا فيه أن لا يجعل التحالف من أتباع موقف القوة حائلا لمفاوضات تجرى مع السوفيت .

وإذا كانت هذه الأحاديث غير ذات طبيعة استثنائية ولم تثر كثيرا من الجدل ، فإن الحديثين الثالث والرابع كانا ذوى طبيعة متفجرة ، ففى الحديث الثالث عالج كينان المشكلة الألمانية من زاوية محاولات وضع حد لتقسيم المانيا . فى هذا الحديث ناشد كينان الغرب « ... أن لا يوهم نفسه بأنه يمكن تحقيق تسوية للمسألة الألمانية غدا ، أو ان يقدم تنازلات من جانب واحد لتحقيق هذه التسوية ، ونداسى هو أن نتذكر أن أماننا مشكلة يجب ان تحل عاجلا أو آجلا ، وعاجلا أفضل من آجلا ، وأن نعمل أفضل ما لدينا كى تصبح المواقف التى نتيبناها فيما يتعلق بذلك هى فى كل الاوقات بناءة ومستبشرة بقدر ما نستطيع » .

أما الحديث الرابع فقد تناول سباق التسلح النووى ومشكلات أوروبا العسكرية ، وأكد فيه على وهم سباق التسلح النووى وأخطاره ، وهو وان كان يقبل احتفاظ الغرب بهذه الأسلحة فلكى تكون كرادع فعلة وليس لكى يقيم الغرب وضعه الدفاعى على أساسها ، وفند معظم التفكير الذى كان يستند عليه تشجيع هذه الأسلحة ، وعبر كينان عن عدم ثقته كلية فى الحسابات والتقديرات القائمة حول هذه المسألة وعن اعتقاده أن أحدا لا يعرف حقيقة آثار الاستخدام الفعلى لهذه الأسلحة وعن ارتجافه من الآثار المحتملة لاستمرار التنافس حول هذه الأسلحة وتساءل فى تصوره لهذه الآثار عن الحياة التى يحكم على البشر بها من جراء هذا السباق « هل علينا أن نلجأ كمخلوقات يملكها الخوف من وسيلة

دفاعية الى أخرى كل منها أكثر كلفة واهانة من التي سبقتها، يروعنا ويسوقنا التهديد الى المخاييم يوما محطما مدندا في اليوم التالي . محاولين أن نحيط انفسنا بدروع الكترونية متطورة في اليوم الثالث ، مهتمين فقط بأن نطيل حياتنا في الوقت الذي نضحي فيه بكل القيم التي يمكن أن تبذل للحياة قيمة لكي نحياها ، فإذا كان هذا هو افضل ما يحمله المستقبل لنا فإن ذلك سوف يغريني بأن أشارك مع هؤلاء الذين يقولون : « دعونا تجرد أنفسنا من هذا السلاح تماما . دعونا نعلق امتنا على رحمة الله وعلى ضمانات الطبيعة وعلى هذا الجانب من حسن الادراك ومن الانسانية والذي يمتلكه حتى خصومنا ، وعندئذ دعونا نسير كالرجال ورؤوسنا مرفوعة » . .

وواصل كينان في هذا الحديث تصويره لأخطار الأسلحة النووية وخطا الاعتماد عليها في توجيه السياسة الخارجية « ان الغاية الحقيقية للعمل السياسي هي قبل كل شيء التأثير على المستندات العميقة للناس . ولكن هذه الأسلحة الذرية لا تحقق هذا . ان الصفة الانتحارية لهذه الأسلحة تجعلها غير ملائمة سواء كمنصر يدعم الدبلوماسية أو كأساس للتحالف . مثل هذا السلاح هو ببساطة ليس السلاح الذي نستطيع به ان نؤيد بشكل مفيد ما نتطلع اليه سياستنا الخارجية كما أنه ليس السلاح الذي يمكن به لأحد أن يهب للدفاع عن أصدقائه . . ان وضعا دفاعيا يتنوم على سلاح انتحاري لا يفيد في المدى الطويل الا في ان يشل السياسة القومية ، وأن يقوض التحالفات وأن يدفع بشكل أعمق وأعمق الى جهود لا أمل فيها لسباق التسلح » . وقد حذر كينان في هذا الحديث بشكل خاص من تطوير الاعتماد على ما يسمى بالأسلحة التكتيكية النووية ، ووصفها بأنها « مدمرة لدرجة تمرض الخيال » وتساءل عن فائدة حرب تجرى في أوروبا بأسلحة بهذه الطبيعة مبينا أن الوقت قد حان للكف عن رؤية الحرب في ضوء الانتصار والهزيمة فقط ،

فالحرب الحديثة فى تقديره « ليست فقط أداة للسياسة ،
انها خبرة وتجربة فى حد ذاتها - انها تؤثر فىمن يمارسها
بنفس النظر عما اذا كان سيخسر أم يكسب هل يمكن حقا ان
نفترض أن أوروبا القديمة المسكونة والتي صفت بشكل غادر
وعميق بآثار الحربين الماضيتين فى هذا القرن ، تستطيع أن
تعتمد لحرب أخرى وبطبيعة أكثر رعبا - دعونا بكل الوسائل
نفكر مرة واحدة ليس فقط فى المعادلات الرهيبة للخسائر
العسكرية المحتملة ، ولكن دعونا نفكر فى الناس كما هم :
فى حدود قوتهم وآمالهم وقدرتهم على المعاناة وعلى الايمان
بالمستقبل . دعونا نسأل أنفسنا بكل جدية عما سيتعرض
للتدمير اذا ما اشتعلت الحرب للمرة الثالثة فى أوروبا فى فترة
نصف قرن » .

اما الحدث الثانى فى حياة كينان العملية بعد اعتزاله
المعمل الحذومى فقد كان استدعاؤه للعمل كسفير للولايات
المتحدة فى يوغوسلافيا - ويرى كينان انه مع يناير عام
١٩٦١ كان خارجا من احدى محاضراته فى جامعة ييل حين
لمح طالبا يتحدث فى التليفون العام للجامعة ، ورأى الدهشة
على وجه الطالب حين رآه أمامه ووجده يقول : «مستر كينان
رئيس الولايات المتحدة يريد ان يتحدث اليك » وبالفعل كان
الرئيس الأمريكى جون كنيدي الذى انتخب فقط منذ ثلاثة
أسابيع يطلبه لكى يسأله ان كان مستعدا لأن يقبل تعيينه
فى بولندا أو يوغوسلافيا . وقد عبر كينان عن امتنانه
وطلب مهلة لكى يفكر فى الأمر - ومع نهاية اليوم طلب
كينان الرئيس وأبلغه أنه يفضل يوغوسلافيا .

ويتذكر كينان أن هذه لم تكن المناسبة الوحيدة التى
اتصل فيها بكنيدي ، فخلال الحدث القديم حين استقبله فى
براج خلال الحرب كان كنيدي خلال مرحلة دعايته
الانتخابية للرئاسة قد كتب له خطابا حول رأيه فى
المحاضرات التى ألقاها فى لندن ، وبعدها بأيام كتب له حول

مقالة قراها له فى مجلة فورين افيرز ، وبعد ذلك بعام وقبل
ايام من توليه منصب الرئاسة كتب له كنيدي خطابا بخط
يده حول حديث اذاعى كان كينان قد ألقاه فى اذاعة الـ BBC
البريطانية جاء فى الخطاب : « لقد أثر فى الحديث قبل كل
شئ بترجده من العاطفة وما تميز به من حسن الادراك » .

كان كينان فى قبوله عرض الرئيس الأمريكى مدرجا
للخلافات التى بينه وبين الرسميين فى واشنطن والتى
عكستها محاضرات ريث ، وهى العلاقات التى اوضحت انه
غير مهيا لأن يكون مستشارا لهذا الرئيس او غيره حول
مشكلات الحرب الباردة . وقد كان قبوله لان يكون مستشارا
لهذا الرئيس او غيره حول مشكلات الحرب الباردة . وقد كان
قبوله لأن يمثل بلاده فى الخارج يعنى قبوله للسياسة
الرسمية لبلاده حول مشكلات اوربا الكبرى والحرب الباردة
وان يعمل أفضل ما عنده فى هذا الاطار . على أنه من
ناحية أخرى قدر كينان أن العلاقات مع يوغوسلافيا تفع شئ
منطقة تغير بشكل ساد ومباشر هذه المشكلات بالاضافة الى
هذا كان هناك العنصر الشخصى والانسانى الذى جعل
كينان يشعر بالرضا ان يطلب منه العمل مرة أخرى . فقد
كان من الطبيعى ألا تسمحده الطريقة التى أنهى بها خدمته
الحكومية عام ١٩٥٣ ، ولهذا رحب بالفرصة لأن يخدم مرة
أخرى وفى منصب متواضع ثم يعتزل مرة أخرى اذا ما شاء
بشكل مشرف . . . بالاضافة الى هذا كله كان كينان يعتبر
أن عليه أن يقدم الى كنيدي فى هذه اللحظة من حياته أى
مساعدة يستطيع تقديمها له .

وقد وصف كينان يوغوسلافيا بعد أن تعرف عليها من
خلال جولاته فى جمهورياتها واختلاطه بشعبها بقوله : « ليس
هناك بلد أكثر تنوعا بالأجواء والمشاهد المتناقضة مثل
يوغوسلافيا ، كما لا يضاهيها بلد آخر من حيث موقعها
الجغرافى ، وهى أكثر أهمية للمشكلات التاريخية الكبرى
لحوض الدانوب ولجنوب شرق أوربا بوجه عام » أما شعبها

«ان كينان يروى ذكريات مؤثرة عما لاقاه خلال جولته،
 لفتات بسيطة ومؤثرة من اثراد بسطاء كبارا وصغارا» . روى
 هذا يذكر انهم حين كانوا يزورون جمهورية مونتيجرو
 ونعطت سيارتهم ونوقفوا لاصلاحها برز ولد صغير من
 زاوية جبلية وهو يقدم حزمة من الورد لزوجته ويعود
 مسرعا الى حيث جاء . ويذكر الفتاة القروية الصغيرة التي
 حملها كينان الى الوجهة التي يقصدها خلال جولته في
 جمهورية كرواتيا . وحين وصلت بحثت في حقيبة يدها
 وأخرجت برتقالة صغيرة قدمتها له وأصرت على ان يقبلها
 لانه لا يليق ان تتبل منه ان يوصلها دون ان تقدم له نينا
 مقابل هذا . ويذكر بعض الراهبات في احدى الكنائس
 البيزنطية البعيدة اللاتي اصررن على عدم رحيلهن قبل ان
 يقدموا لكينان وزوجته وجبة من انتاج حديقتهن الصغيرة .
 أو الزوجة الشابة لأحد القسس حين كانوا في رحلة وسط
 صربيا وكانوا قرب فناء احدى الكنائس حين ظهرت لرجاء
 يطبق فيه فطائر الجبنة الساخنة وقدمته لكينان وزوجته
 بكل وقار وبررت ذلك بقولها : «لأنكم غرباء قرب منزلنا» .
 والرجل المتقدم في السن ذو الأسنان الصلبة والذي حين
 كان كينان وزوجته يزوران كنيسة قديمة في مدينة صغيرة
 في صربيا تقدم بشكل مهيب اليهم ومد يده وقدم نفسه على
 أنه عمدة المدينة منذ ١٨ عاما وقال انه لاحظ أنهم غرباء
 وأن لديه منزلا في المدينة وسأل ان كانوا يحبون أن يزوروه
 ويتناولوا معه مشروب التوت ، وهو ما فعله كينان وزوجته .
 أو الشاب الذي كان واقفا مع فريق من الفلاحين وحين التقى
 عليهم كينان التحية باللغة الصربية وسأله ان كان يعترض
 على أن يلقي نظرة على حقول العنب آجاب وبميون لا تخلو
 من الرقة : « اذا ما ألقيت عليهم التحية بالطريقة التي ألقيتها
 علينا فان أحدا لن يعترض » *

أما على المستوى الرسمي فقد وجد كينان اليوغوسلاف
 يوما يمكن التعامل معهم ، أكفاء ومرحون ومستعدين دائما

لا للاستماع فقط وانما للاستجابة أيضا • وكان من الممكن الالتئام بهم رسميا وخارج مكاتبهم دون قيود ، وقد قابل كينان كثيرا منهم على هذا المستوى مما جعلهم يمثلون رفقة طيبة بمرحهم واسترخائهم واستعدادهم للمساعدة ، كما كان معظمهم أذكيا مبهتهجين ذوي جاذبية سهلة وغير متكلفة ، وكانوا على عكس زملائهم الروس يعطون انطبعا قويا بالتصالح والانفتاح • غير أن هذا لا ينفي وجود استثناءات لهذه النماذج أو اتجاهات صارمة من شخصيات حاربت ضد الزمان تحت قيادة تيتو ورعى فيهم هذا روحا صارمة من النظام وأنواع تتابع على سلوكهم وعلاقتهم خاصة بالأجانب ، وكان من الواضح حين يعرفهم المرء بشكل أفضل أن عباراتهم وأفعالهم تحكمها رابطة غير مرئية ولكنها فعالة ، من النظام والتنسيق •

وبالنسبة لكينان لم يكن سلوكهم هذا يصدر عن عداوة وانما عن قلق يصدر في جانب منه عن تاريخهم الشيوعي ، ولكن في جزء منه أيضا عن الاعتقاد بأن احدا لم يولد ولم ينشأ في يوغوسلافيا لن يكون قادرا على فهم التعقيدات الدائمة في هذا التجمع القريب للقوميات • حقيقة أنه في الدبلوماسية - شأن كل مناحي الحياة - فإن احدا لن يرضى مصالحك ان لم تفعل أنت ذلك بنفسك ، وقد تبين لكينان أنه في يوغوسلافيا ، على عكس غيرها من الدول الشيوعية الأخرى في الكتلة الشرقية ، فإنه من السهل ان يتعرف المرء على معظم الشخصيات القيادية وأن يكون معهم علاقات ودية بل وحتى علاقات غير رسمية ، وان كان هناك دائما بعض الاستثناءات يذكر منها زعماء جمهوريات البوسنة ومقدونيا حيث لم يكونوا دائما أصدقاء ومستعدين للمساعدة ، غير أن هذه الاستثناءات كانت تميل الى اثبات القاعدة • فقد كان كينان وزوجته سيوفا شخصيين على الرئيس تيتو وزوجته في العديد من المناسبات ، كما

استضافهم رئيس الجمعية الوطنية الكرواتية في يوم بهيج على يخته الخاص في الادرياتيک ، وفي بلجراد استقبلهم رسيون كبار في منازلهم في عدد من المناسبات *

وبطبيعة الحال كانت الشخصية المسيطرة بين هذه الشخصيات الكبيرة هي شخصية تيتو الذي قابله كينان مرارا وسجل اعجابه وتقديره له ولانجازاته حتى قبل تعيينه في بلجراد ، وخلال وجوده في منصب السفير راقب كينان تطور علاقات بلجراد بموسكو ، وانتقالها من تجاهل خروشوف لتيتو ودعوة دول شرق أوروبا وحكامها لتجاهله ، الى انتصاره وتلقيه دعوة رسمية من موسكو ومخاطبته مجلس السوفيت الأعلى وما لاقاه من ترحيب وتصفيق خلال رحلته المنتصرة الى موسكو في ديسمبر عام ١٩٦٢ *

غير أنه اذا كان كينان يسجل أن مهمته كسفير في موسكو قد احيطت لاعتبارات تتعلق بالاتحاد السوفيتي وطبيعة نظام الحكم فيه عندئذ وعدم رضاه عن كينان ، فإنه يرجع احباط مهمته في يوغوسلافيا الى اعتبارات تتعلق بالسياسة الداخلية الأمريكية ونفوذها السيامي في اعاقه خطوات السياسة الخارجية وتوجيهها ليس بالشكل الذي يتفق مع المصالح القومية الأمريكية ولكن مع المصالح الضيقة لمجموعات عرقية لها تحيزات الخاصة *

ويفسر كينان ذلك بقوله انه كان من الحقائق البسيطة فيما يتعلق بيوغوسلافيا وعلاقاتها بالاتحاد السوفيتي وأقطار المعسكر الاشتراكي ، أنها قد انفصلت عنه بشكل تام عام ١٩٤٨ ، وانفصلت عن مؤسساته العسكرية والاقتصادية ، فهي ليست عضوا في حلف وارسو ولا تشترك في نشاطاته العسكرية أو السياسية كما أنها ليست عضوا في المنظمة

الاقتصادية لأقطار أوروبا الشرقية المعروفة بالخوميكون ، بن
ان يوغوسلافيا ذهبت فى اتجاهاتها الاستقلالية الى ان حرمت
الاتحاد السوفيتى من التسهيلات والقواعد التى كانت
ممنوحة له على بحر الادرياتيک . اما فى اوضاعها الداخلية
فبينما ظلت رسميا دونه اشتراكية الا انها فى تطبيقاتها
وممارستها الداخلية تختلف فى عدة وجوه هامة عن الاتحاد
السوفيتى وحلفائه . ولم تكن هذه السياسة الاستقلالية التى
اتبعتها يوغوسلافيا بدافع الحصول على مساعدات اقتصادية
او غيرها من الولايات المتحدة . فحين ذهب كينان الى بلجراد
كانت الولايات المتحدة تقدم معونات ضخمة ليوغوسلافيا ،
وقد أوقعت يوغوسلافيا نفسها المساعدات الفدائية والمواد
الأولية التى كانت تتلقاها من الولايات المتحدة فى الخمسينات
وانتهى عام ١٩٥٧ ، أى قبل اربع سنوات من مجيء كينان
الى بلجراد ومنذ هذا التاريخ واليوغوسلاف يدعون نقدا
مشترواتهم العسكرية من الولايات المتحدة ، وهذا مع وجود
كينان فى بلجراد لم يكن اليوغوسلاف يتلقون تقريرا اى
معمونة حكومية على الاطلاق فيما عدا شراء بعض القمح وضا
لبرنامج فائض الحاصلات الزراعية وبشروط مخفضة .
واعتبر كينان أن مثل هذا الوضع كان مفروضا ان يلقي
التشجيع والاستجابة من السياسة الأمريكية وان تلقى الاجهزة
التى تعمل فى العلاقات الأمريكية اليوغوسلافية التشجيع
القوى لدفع هذه العلاقات ، غير أن الكونجرس الأمريكى كان
له موقف آخر تماما ، فقد كان عدد كبير من أعضائه يعتبرون
أن يوغوسلافيا ليست الا كائى دولة أخرى من المعسكر
الاشتراكى وكانوا يرون فى هذا تناقضا مع اصرار الخارجية
الأمريكية على تقديم المعونات بما فيها المعونات العسكرية
وبكميات كبيرة الى الشيوعيين اليوغوسلاف .

وقد أرجع كينان هذا التصور الخاطىء لوضع
يوغوسلافيا من جانب أعضاء الكونجرس الى الجهل البرئ
وان كان لا يمكن عذره ، وكان من جانب آخر نتيجة عدم

الاستعداد لاعتبارات سياسية للاعتراف بحقائق الأمور ، وهو ما يمكن ارجاعه بالنسبة لهؤلاء الى ضغوط مجموعات الأمريكيين من اصل كرواتى وصربى ، المعادين للنظام فى يوغوسلافيا وضغوطهم على اعضاء الكونجرس فى ولاياتهم . وقد أدت هذه الاتجاهات من جانب الكونجرس الى خلق عقبات أمام سياسة أمريكية سنيمة تجاه يوغوسلافيا وبالتالى الى اضعاف قدرة ممثلها فى هذا البلد على أداء واجباتهم ومهماتهم أو أن يبدوا بمظهر من له تأثير صوت داخل بلادهم حول هذه العلاقات .

ويذكر كينان انه حين بدأ مهمته وقبل ان يسافر الى بلجراد تحدث مع المسئولين فى الخارجية الامريكية يل ومع الرئيس حول معنى استمرار يوغوسلافيا ضمن ما يسمى « بالامم الاسيرة » The Captive Nations والذي اتخذ به قرار الكونجرس عام ١٩٥٩ ويقام بمقتضاه أسبوع كل عام باسم هذه الدول . وقد رأى كينان أن نص هذا القانون رغم عدم انطباق ظروف يوغوسلافيا عليه يجعل من كل أجهزة الحكومة ، ووزارة الخارجية والرئيس الأمريكى ومنه كممثل للرئيس ، ملزمين أخلاقيا بالاطاحة بنظام الحكم فى يوغوسلافيا .

ورغم أنه أخذ وعدا قبل سفره بأن الرئيس الأمريكى سوف يلغى هذا القرار بالنسبة ليوغوسلافيا الا أنه بعد وصوله الى بلجراد تلقى ما يفيد بشكل خفى أن الرئيس قد غير رأيه وأن هذا الأسبوع سوف يقام هذا العام متضمنا يوغوسلافيا . وهنا يتساءل كينان عمن لوى ذراع الرئيس ؟ كان من الواضح أن السياسة الداخلية قد انتصرت بشكل مطلق على السياسة الخارجية . وقد كان من المفروض أن يتفهم كينان هذا الدرس وأن يعدل من آماله وتوقعاته حول نجاح مهمته ، غير أن هذا لم يكن الا مقدمة المشاكل ، فبعد هذا بعام وفى يونيو عام ١٩٦٢ وعندما كان برنامج

المساعدات الأجنبية وقانون توسيع التجارة يناقشان امام الكونجرس تقدم احد اعضاء الشيوخ بتعديل يتضى يمنح تقديم اى مساعدات الى يوغوسلافيا * وبعد تقديم هذا التعديل بأسبوع تقدم احد اعضاء مجلس النواب بتعديل يقضى بانغاء منح يوغوسلافيا وضع الدول الأكثر رعاية The Most Favoured Nation وهو الحق الذى كانت يوغوسلافيا تتمتع به منذ ثمانين عاما بمقتضى اتفاقية بينها وبين الولايات المتحدة وكان هذا الحق لا يتصل بالمساعدات او المعونات وإنما يتصل اساسا بتنظيم التجارة بين البلدين ، وبالنسبة ليوغوسلافيا كانت تعتمد على هذه التجارة للحصول على دولارات للوفاء بالدين الذى عليها لواشنطن ، وهكذا فان عدم حصولها على هذا الوضع كان يعنى تقييد صادراتها الى الولايات المتحدة وبالإضافة الى هذا التأثير المباشر فقد رأى كينان فى هذا تجريدا لأجهزة ادارة العلاقات مع يوغوسلافيا مثل وزارة الخارجية والسفير الأمريكى فى بلجراد من اى نفوذ يمكنه من مجرد التصرف او حتى مناقشة العلاقات مع مثل هذه الحكومة * فهذان الجهازان مفروض أن يكونا حلقة اتصال بين الحكومة اليوغوسلافية وبين أجهزة الولايات المتحدة حول مشكلات العلاقات المتبادلة ، فاذا ما ثبت أن هذه الأجهزة ليس لها أى تأثير على صياغة سياسة بلادهم حول هذه الأمور فلماذا تهتم الحكومة اليوغوسلافية بمناقشتهم ، وضاعف من هذا أن اتجاهات الكونجرس تلك جاءت صدمة للخارجية وللسفيرة حيث لم يخطرأ بها مسبقا ، ولم يبذل أى مجهود لمناقشتها معهم والتعرف على وجهات نظرهم فيها وهم الذين يفترض فيهم أنهم أكثر خبرة ووعيا والمأما بحقائق هذه العلاقات *

وادراكا لأثر هذه التعديلات على علاقات البلدين وعلى وضعه ومركزه كسفير فقد بذل كينان جهدا واسعا داخل

الولايات المتحدة لمنع اقرار هذه التعديلات ، ففى خلال زيارته لواشنطن التقى بمختلف المستويات فى وزارة الخارجية ، وكذلك بالرئيس الأمريكى ومساعديه الذى أبدى تفهما للموقف ، ووجهه لبذل جهد مع أعضاء الكونجرس وسهل له اتصالاته بهم بل وشجعه على ان ينقل قضيته الى الرأى العام ، وهو ما فعله كينان بالكتابة فى الصحف والرد على ملاحظات النواب وأعضاء الشيوخ ، كما أمضى كينان أسبوعا كاملا فى الاجتماع بأعضاء مجلس الشيوخ وكانت هذه التجربة بالنسبة له لا تدانيها تجربة أخرى فى ادراكه الفجوة الضخمة فى الفهم والنظرة التى تفصله عن من يتحدث معهم . وبعد عودته الى بنجراد واصل هذه الجهود من خلال اتصالاته الشخصية مع الأجهزة المختصة بالكونجرس والخارجية الذين أوصوه بأن يتحدث مع الرئيس الأمريكى شخصيا وهو ما فعله ، غير أن الرئيس احاله الى الأعضاء الذين قدموا هذا التعديل والذين كانت استجابتهم سلبية بل وتدعو الى اليأس . وباءت كل هذه الجهود بالفشل ، ففى ٤ أكتوبر ١٩٦٢ صدق اجتماع مشترك لمجلس النواب والشيوخ على هذه التعديلات .

بعد صدور هذا القانون راح كينان فى جولات منفردة على قدميه ولأميال طويلة فى ضواحي بلجراد يتأمل معانى ما حدث بالنسبة له ولوضعه كسفير فى يوغوسلافيا ، وقد وجد أنه بلغ الثامنة والخمسين من عمره ، وأعطى معظم حياته النشطة للخدمة الدبلوماسية ، كما كان يحاول أن يقنع أعضاء الشيوخ الذين تبينوا المشروع أن له خبرة خمسة وثلاثين عاما فى شئون شرق أوروبا ، بينما كان العضو الذى تبنى هذا التشريع لم يبرح الولايات المتحدة ، ومع هذا - وفى مسألة حيوية للسياسة الخارجية وتتعلق ليس فقط بيوغوسلافيا وانما بالأقطار التى تحيطها وتراقب تجربتها - فإن عضو الكونجرس هذا قد فرض حكمه فوق آرائه

وخبرته • وقد استخلص كينان من كل هذا أنه من المستحيل بالنسبة له ان يستمر فى منصبه فى مثل هذه الظروف ، فانسفير يمكن ان يكون مقيدا فقط حين ينظر إليه على ان له بعض التفوذ فى بلده وداخل حكومته • ومن ثم قرر كينان ان يترك منصبه على الا يذون تصرفه بشكل سريع ، فقد انتظر ثلاثة شهور قبل ان يطلع وزارة الخارجية الامريكية على رغبته فى استئناف حياته الجامعية فى برنستون مع بداية العام الاكاديمى التالى ، ولكن قراره هذا كان قد اتخذ فى ملرقات وضواحي بلجراد فى هذا الصباح غير السعيد •

على انه فى الشهور القليلة التى تلت ايداء رغبته فى الاعنزال وسبقت رحيله عن بلجراد فان علاقات كينان مع الرسميين اليوغوسلاف ظلت ودية ، فقد استمروا ينظرون اليه باحترام شخصى وتعاطف ، ويماملونه كصديق فعل ما يستطيعه — وان كان بغير نجاح — لكى يضمن لهم معاملة عادلة من جانب حكومته •

ولم يعد هو يترقع منهم أن يتصوروا أن له نفوذاً عند حكومته ، وعلى هذا لم يعد فى أحاديثه معهم يسمع منهم أى شكوى من استمرار المضايقات التى يتعرض له مواطنوهم أو رسميوهم مثلاً فى الولايات المتحدة • وقد استمر التعامل على هذا المستوى الشخصى حتى مع تيتو ، فخلال الشهور الثلاثة التى سبقت رحيله قابله كينان حوالى ثلاث مرات وخلالها كان كينان يتكلم ويتصرف بشكل شخصى وباعتبار أنه لا يمثل أحداً ، وعلى هذا الأساس راح فى إحدى المقابلات يقدم تصورات له لتيتو حول الأسس التى يمكن أن تتطور عليها علاقات جديدة بين البلدين حين تسمح الظروف ، وحول التوقعات العملية التى يجب أن يتصرف على أساسها كل جانب وينتظرها من الآخر •

وباعتبار أن الرئيس الأمريكى كنيدي هو الذى دعاه لكى يشغل منصب السفير فى بلجراد فان كينان بعد أن

احبطت تجربته فيها راح يقيم مشاعره تجاه كنيدي ودوره فيما حدث فيقول انه لا يحمل له مشاعر سيئة لإنشله في ان يسانده خلال المرحلة الصعبة في العلاقات الأمريكية اليوغوسلافية ، وهو في هذا يقدر الضغوط الداخلية التي تعرض لها ونصائح المحيطين به وخاصة مستشاريه في الشئون الداخلية ، وبخلاف هذا فقد عامله دائما بشكل ودئ ومجايل . ويتذكر كينان أنه بعد تجربته في يوغوسلافيا بثلاث سنوات سأله لويس فيشر عن تقييمه التحصلي لكنيدي.وعما اذا كان وجده باردا رغم تالفه ودعة فكره وشخصيته وهيئته الجميلة واجازاته كرئيس شخصي، وأجاب كينان على هذا بقوله : « انه ليس باردا تماما فلم أشعر بهدا وانما شعرت انه يمتلك بعض البوصاء الحفيمى ولكنه كان بمعنى ما خجولا ، كما انه وبفضل خلفيته الاسرية قد طور نوعا من الانفصال وبالشكل الذي ينفصل به أعضاء الاسرة الكبيرة ذات الأساس المتين ، وبعبارات أخرى فان الشخص الذي لديه هذا الارتباط العائلي المسيطر، يجد فيه ما يغنيه عن أن ينشئ صداقات حقيقية خارجها ، وباعتباره شخصية سياسية فقد كان لديه وبشكل متطور جدا ما يسميه فرويد *Persona Ego* أى الشخصية الخارجية المتميزة عن الذات ، ولكنه عاملنى دائما والآخرين الذين أراهم فى وجوده بطريقة ودود خالية من البرود ، كما لا يشعر المرم فى وجوده بأى شعور خاص بالاحتقار أو « القسوة » .

هذا الشعور من جانب كينان هو الذى يفسر الخطاب الذى بعث به الى كنيدي بعد اعتزاله من منصبه كسفير وقال فيه : « انى ولأنى اعتزلت تماما ولست مرشعا لأى منصب سواء بالانتخاب أو التعيين ، وجدت أن أعبر باخلاص عن تقديرى الكامل كمؤرخ وكصاحب خبرة دبلوماسية للطريقة التى عالجت بها مشكلات السياسة الخارجية ، ولا أظن أننا قد شهدنا مستوى أفضل من ذلك من رجل دولة

فى البيت الأبيض فى القرن الحالى ، وامل ان تظل متسلح
بالقلب الطيب والا تسمح لنفسك بأن تثبط من همتك
الضغوط المروعة لمنصبك او ان تعيقك بلاة فروع الحكومة
الأخرى ، وأرجو أن تعلم أنى وآخرين كثيرين نشعر بامتنان
عميق للشجاعة والصبر ونفاذ البصيرة التى تواصل بها
مسئولياتك « وقد رد عليه كنيدي بمد ذلك بأسبوع فى ٢٨
أكتوبر ١٩٦٣ : «وان خطابك فى ٢٢ أكتوبر سوف يحتفظ به
دائما الى جانبى كشيء أرجع اليه وأستمد منه القوة فى الأيام
الصعبة ، وانه لمن الأمور المشجعة جدا أن يحوز المرء على
تأييد مؤرخ دبلوماسى له صفاتك وقد كان من مراعاة الشعور
غير المألوفة أن تكتب لى بهذه الطريقة الشخصية » .

ويختتم كينان مذكراته هذه بقوله ان هذا الخطاب
الشخصى من كنيدي ومن شخص لم يكن أمامه غير أساييع
قليلة يعيشها كان مصدر عزاء كبير عن الاحباط الذى أصاب
مهمته فى يوغوسلافيا وأنهت بشكل نهائى عمله الحكومى
والدبلوماسى .

الفصل الثالث سحب الخطر

بعد انتهاء عمله كسفير فى يوغوسلافيا عام ١٩٦٣ واعتزاله العمل الحكومى والدبلوماسى نهائيا واصل كينان عمله ونشاطه الفكرى والاكاديمى وراح يسجل ويطور خبراته وتجاربه وآراءه والأحداث التى عاشها منذ أن التحق بالسلك الدبلوماسى عام ١٩٢٧ ، ورغم أن معظم هذه الخبرات والتجارب قد ضمنها كينان فى مذكراته التى غطت كما رأينا حتى عام ١٩٦٣ والتى انتهت منها عام ١٩٧٢ وكذلك فى أعماله التى سبقت هذا التاريخ وظهرت خلال الخمسينات والستينات حول قضايا التاريخ الروسى والسياسة الروسية وقضايا السياسة والدبلوماسية الأمريكية والأوربية ، الا أن ما سجله كينان وعبر عنه بعد كتابة مذكراته كان يمثل مرحلة نضجه الفكرى والفلسفى وبلورته وتطويره ومراجعته للقضايا التى انشغل بها وأخذ يقرأ ويحلل الأحداث والتطورات الأمريكية والسوفيتية والدولية فى ضوءها ، شهدت مرحلة ما بعد المذكرات عددا من الكتب ومئات المقالات والتعليقات والمقابلات والمحاضرات والشهادات أمام الكونجرس ، وكان مع أبرز هذا النشاط كتابه الخطير الذى صدر عام ١٩٧٧ تحت عنوان دال هو : The Clouds of dangers and كتابه Nuclear Delusions الذى يعالج فيه العلاقات الأمريكية السوفيتية فى ضوء حقائق وأخطار العصر الذرى . أما القضايا التى شغلته وبشكل أكثر تحديدا وتركيبا فى هذه المرحلة فيمكن تقسيمها الى ثلاثة أقسام رئيسية يتضمن الأول انشغاله بأسس السياسة الخارجية

الأمريكية ، وتقده العديد من المفاهيم والافتراضات التي تحكمها وتحدد رؤيتها للعالم ومكانتها فيه، كما زاد انشغاله في هذه المرحلة بالمؤثرات الداخلية على السياسة الخارجية الأمريكية وخاصة دور الكونغرس وجماعات الضغط الداخلية ، ويشمل القسم الثاني من هذه القضايا متابعة اهتمامه القديم بقضايا السياسة السوفيتية والاعتبارات التاريخية والحضارية والأيدولوجية التي تحكمها وتوجهات قادتها والاعتبارات التي تحكمهم ، غير أن تناوله لهذه الجوانب في الوضع السوفيتي كان أساسا من زاوية تأثيره على العلاقات السوفيتية الأمريكية وتصحيحه لعدد من المفاهيم والافتراضات الأمريكية حول الأوضاع والنوايا والقدرات السوفيتية .

ويتصل بهذا الاهتمام الأساسي بمشكلات العلاقة الأمريكية السوفيتية بل ويقع في قلبه ، تركيزه على قضايا التسليح وخاصة في أعماقه الاستراتيجية والنوعية حيث واصل خطه الرئيسي الذي تبناه منذ الخمسينات ومنذ ظهور القدرة الذرية الأمريكية من التحذير من بناء السياسة الدفاعية الأمريكية على أساس من القدرات النووية وتصعيدها ومن الوهم القائل أنه كلما زادت القدرة النووية لأمة زاد أمنها .

أما القسم الثالث من القضايا التي ستركز عليها اهتمام كينان فقد كانت تتعلق بما تصوره من مشاغل أمريكا الداخلية مثل قضايا البيئة والتعليم والطبقات الفقيرة والتي رآها تمثل تحديا للمستقبل الأمريكي بأكبر مما ستمثل التهديدات أو الأخطار الخارجية . وفي هذا الإطار أيضا شغلته قضية الشباب الأمريكي ومؤثراته وعلاقته بمجتمعه ونظرتهم إلى الأجيال السابقة .

وعلى هذا سوف يتضمن هذا الفصل عرضا للأفكار التي صدرت عن كورج كينان حول هذه القضايا بعد أن كتب مذكراته والتي تمثل أسسها لبنائه الفكري ولشخصيته كما أراد أن يمتثلها كدبلوماسي ومؤرخ .

فعلى الرغم مما تضمنته مذكرات كينان عن سرّات حياته العملية الدبلوماسية من حديث عن التداخل الضار بين اعتبارات وضغوط السياسة الداخلية وبين أهداف وممارسات السياسة الأمريكية الخارجية ، إلا أنه يبدو أن تجربة كينان فى يوغوسلافيا ، والتي كان السبب الرئيسى فى احباطها تدخل الكونجرس لاعتبارات وبدوافع راها كينان مدفوعة بموامل هى أبعد ما تكون عما تملّيه متطلبات ادارة سياسة خارجية ناجحة وفعالة مع بلد مثل يوغوسلافيا - قد جعلته يواصل تركيزه على قضية المصالحة بين السياسة الداخلية الأمريكية وبين ممارسات الدبلوماسية الأمريكية ، بل ودفعته الى أن يستخلص أن وظيفة الدبلوماسى الأمريكى المحترف تتميز بدرجة مما أسماه « التناقض المأساوى » . ويفصل كينان ذلك بأن الموظف الدبلوماسى يربى على الاعتقاد بأنه يخدم المصالح القومية للبلد ككل فى علاقاتها الخارجية ، ورغم هذا فإنه يجد نفسه يعمل /ناس ليس هذا هو اهتمامهم الاساسى ، فاهتمامهم الرئيسى هو الشئون الداخلية والمصالح التى يدافعون عنها والتي تتناقض دائما مع متطلبات دبلوماسية وطنية وعاقلة ، والنتيجة هى أن الدبلوماسية الأمريكية نادرا ما تدار فقط فى اتجاه أهدافها الواضحة ، وفى الأحوال التى تدار بها حقا فى اتجاه الأهداف الحقيقية للسياسة الخارجية فإن هذا يحدث حين لا تكون المسائل الداخلية مرتبطة بها بشكل واضح ، كذلك فإنه فى ظروف الحرب والأخطار الحقيقية فإنها تدار فى حدود معقولة . أما فيما عدا هذا فإن سياسة واشنطن الرسمية تميل الى أى شئ يحدث فى أى مكان فى العالم ، والنتيجة أن أهداف الدبلوماسية الأمريكية وبالشكل الذى يربى ويدرب الدبلوماسى المحترف على رؤيتها ، تميل لأن تكون مختلفة عن تلك التى تنعكس فى التعليمات التى يتلقاها من حكومته ، وطالما أنه عاجز عن تحقيق ما يعتبر أنه أهداف لا تحظى بتأييد حكومته ، فإن هذه الأهداف تصبح غير ممكنة التحقيق .

هذا الوضع يدفع كينان الى أن يتأمل بشكل اعمق في وظيفة الدبلوماسية المحترف وما تواجهه من عقبات تحد منها ، فيقول ان هذه الوظيفة كانت دائما تبدو له وظيفة تتسم بالنقص وكأمر من أمور الواجب التي يجب أن يكرس لها المرء كل طاقاته ، كما يجب أن يتميز من يمارسها بالتعقل والتكامل . ويستطرد كينان من هذا المفهوم الى القول انه حتى في ذروة خلافه مع عناصر السياسة الأمريكية فإنه لم يشك في ضرورة أن تكون الدبلوماسية الأمريكية قوة خير في شئون العالم وأن يكون اتجاهها ايجابيا وليس سلبيا وبحيث تخدم قضية علاقات أمريكا بالعالم . وكان هذا بالنسبة له مسئولية على أكبر درجة من درجات الأهمية والجدية . على أنه حين تبدأ المصالح الحزبية تتدخل وتعبير عن نفسها في الحياة السياسية الداخلية وحين تتسلل الى العملية الدبلوماسية وتؤثر فيها فإن هذا ما اعتبره كينان عنصر افساد ولا يمكن التسامح معه ، « وأشعر بشعور الجراح حين يطلب منه أن يعمل مبضعة في غير المكان المصاب وأن عليه أن يفعل هذا حتى يبدو بشكل يروق لأناس يجلسون في مقاعد المتخرجين » .

ولذلك يقول كينان ان اشتراك الكونجرس في عملية صنع القرار لا يقلل فقط من خصوصية القرار وانما يلحق بهذه العملية درجة عالية من عدم المرونة والجمود ، الأمر الذي يجرد صانع السياسة من امكانية المبادرة وميزة المناجاة والقدرة على الاستجابة الحساسة لما هو غير متوقع . يضاعف من هذا في رأيه أن الكونجرس وبشكل حتمي لا نقاش فيه، هو أكثر عرضة من الجهاز التنفيذي ومن وزارة الخارجية للتأثير فيه من قبل قوى الضغط والأقليات الحريصة على التأثير في السياسة الخارجية لصالح اهتماماتها المحدودة ، وحين يحدث هذا « فإنه يعنى ببساطة أن سلطة الحكومة الأمريكية على التصرف في البيئة الدولية يساء استخدامها وتشوه لأغراض سياسية داخلية ، ويصبح من نتيجتها أن أفعالنا

فى المسرح الخارجى ، وفيما يتعلق بالسياسة القومية وأهدافها تتصف بعدم التماسك أو عدم الفاعلية أو حتى التناقض مع هذه الأهداف » .

ويستطرد كينان فى بيان هذا التأثير الضار على ممارسة السياسة الخارجية فيقول أن هذا الوضع لا يضيق فقط من النطاق الممكن للممارسة السياسية الخارجية ، وإنما يقدم دافعا للزعماء الأجانب وممثليهم للحصول على تنازلات من الولايات المتحدة لا من خلال القنوات الدستورية للرئيس أو وزارة الخارجية وإنما من خلال اللجوء الى الباب الخلفى المتمثل فى قوى ضغط أمريكية خاصة وشخصيات فى الكونجرس تتفق أهدافهم معهم .

ويحرص كينان على أن يوضح أن ملاحظاته تلك على دور الكونجرس السلبى فى السياسة الخارجية الأمريكية إنما يقدمها لا بهدف ممارسة الدور المتزايد للكونجرس أو الطابع الديمقراطي للحكم ، أو لعدم ادراك أن هذا هو ثمن الديمقراطية ، وإنما يقدمها من وجهة نظر معرفة حدود السياسة الخارجية الأمريكية والقيود التى تتعرض لها .

ويربط كينان بين هذه القيود التى يفرضها الكونجرس وبين قيود أخرى بعضها دستورى وبعضها يتعلق بأنماط من التفكير التقليدى ، فبعضها ناتج عن عمل النظام السياسى والبعض الآخر عن انعكاسات لمواقف تجد أمريكا نفسها فيها . وينبه كينان الى أنه إذا هذه الحدود والقيود التى لأسباب عديدة يصعب أو من المستحيل إزالتها فإن على السياسة الأمريكية أن تأخذ فى اعتبارها عواقب هذا العجز النسبى وأن تقبل حقيقة أن هناك حدوداً صارمة على ما يمكن للسياسة الأمريكية تحقيقه فى التأثير على مجرى الأحداث الدولية . وبعبارة أخرى عليها أن تتناول مشكلات السياسة الخارجية بتواضع نسبى وبإدراك أن مواردها وإمكاناتها

على التأثير فى مجرى الأحداث الدولية ليست بلا حدود ، والمعنى المباشر لذلك هو تطبيق خفض التزاماتها الخارجية الى الحد الذى لا يقضى عنه •

ويتأمل كينان فى أبعاد ومصادر ظاهرة تأثير السياسة الداخلية والمؤسسة التشريعية على السياسة الخارجية الأمريكية ويعتبر أنها ليست جديدة ، ويذكر فى هذا يقول توكوفيل منذ ١٥٠ عاما : « ان من طبيعة الديمقراطية أن تنشأ أكثر الأفكار تشويشا وخطا حول السياسة الخارجية ، وأن تتقرر مسائل السياسة الخارجية وفقا لاعتبارات داخلية بحتة » ويضيف كينان أن هذا أمر طبيعى ، ففى كل مكان فى العالم فإن كل سياسى او رجل دولة عليه أن يعطى بعض الانتباه للرأى العام الداخلى فى ادارته للسياسة الداخلية ، الا أن هذا الاتجاه فى الولايات المتحدة يأخذ شكلا متطرفا أكثر من أى مكان فى العالم ، وهذا ما قد تفسره جزئيا طبيعة الرأى العام الذى يخاطبه رجل الدولة الأمريكى ، ومن هنا يستخلص كينان أن النظام السياسى الأمريكى فى جوانب كثيرة منه مصمم بشكل لا يسمح لادارة سياسة خارجية لقوة عظمى أن تتطلع لقيادة العالم • كل هذا يجعل كينان يجدد دعوته للسياسة الخارجية الأمريكية الى أن تتفهم الدرس من هذا وهو ما يعتبره كينان حدود قدراتها وامكانياتها تجاه مشكلات العالم الدولية ، فيقول ان ثمة مشكلات فى العالم لن تكون الولايات المتحدة قادرة على حلها اذ أن لهذه المشكلات أعماقا لن يكون من المفيد أو الفعال للسياسة الأمريكية أن تغمس نفسها فيها ، فثمة معضلات فى مناطق أخرى فى العالم يجب أن تجد حلولها بدون الاشتراك الأمريكى • ولا ينظر كينان الى هذا على أنه دعوة منه لاتباع سياسة العزلة التى سبق أن طالب بها ساسة أمريكيون فى المراحل الأولى لقيام الولايات المتحدة ، وانما يصور ما يطالب به على أنه دعوة للتواضع فى النظرة القومية والى ادراك أكثر واقعية لحدود الكيان السياسى الأمريكى ، والى

ضبط أكثر للنفس مما أظهرته الولايات المتحدة في الحقب الأخيرة بالزج بنفسها في مواقف مبعدة بعيدة عن شواغلها .

وأكثر من هذا فإن كينان يعتبر تناوله دعوة الى ان يدرك الامر يخيون أنه في التداخل بين الشوب - مثله مثل التفاعل بين الافراد - فان قوة المثل والنقدوة اقوى بكثير من الحث و النصائح الاعلامية ، ويذهب في هذا الى ان النموذج الذي تقدمه الولايات المتحدة للعالم لا يخدم هذا الهدف .

ان ما يأخذه كينان على تدخل الاعتبارات الداخلية والحزبية في عمل السياسة الخارجية الأمريكية ودبلوماسيتها قد تأكد بتجربة كينان في يوغوسلافيا ، وهي التجربة التي اختبر فيها ليس فقط تغليب الكونجرس واعضائه لاعتباراتهم الحزبية ومصالحهم الانتخابية على المصالح العامة واهداف السياسة الخارجية الأمريكية فحسب ، وانما اختبر أيضا وواجه ضعف المكونات العلمية والثقافية لهؤلاء الأعضاء ، ولعل هذه التجربة هي التي جعلته يقرر أن نقده لتدخل الكونجرس لا يعنى نقد النظام الديمقراطي أو اعتراضه على أن يصنع الشعب قراراته بنفسه ، وانما اعتراضه على من يرشحون أنفسهم للانتخاب وعلى قدرانهم المؤسفة ، وكذلك فإن تفادى مثل هذا الوضع يتوقف على ضمان اختيار الأشخاص الذين سيرشحون أنفسهم من بين افضل الرجال وليس « من السوق أو الرأكدين أو البلداء وغير المتعلمين » ، وهو لا يعنى بهذا نوعا من الأرستقراطية الموروثة وانما الأرستقراطية القائمة على الاستحقاق والمدارة Meritocracy ولكن كيف يمكن أن يتم هذا الاختيار ؟

يقول كينان انه يمكن تشكيل لجنة تضم ما بين ٥٠٠ - ١٠٠٠ شخص من خيرة الناس تعينها سلطة مستقلة منزهة مثل المحكمة الدستورية العليا وتقوم بمعايير اختيارها على التميز والامتياز في الحياة الوطنية والذي يتحقق بالجهند

الشخصى وخارج نطاق التنافس السياسى . وهؤلاء هم الذين يمكن أن يتقدموا للانتخابات لكي يختار الشعب من بينهم أعضاء مجلس الشيوخ .

ومثلما شغل كينان نفسه خلال حياته العملية والدبلوماسية وبعدها بظاهرة تأثير الاعتبارات الحزبية والمصالح الخاصة على فرص نجاح وفعالية السياسة الخارجية الأمريكية كذلك شغلته وبشكل أكثر الحاحا قضية التسلح النووى وأخطاره واتخاذ الولايات المتحدة لهذا المستوى من التسلح أساسا لسياستها الدفاعية وتمسورها لقضية الأمن الأمريكى وفعالية الأسلحة التى يعتمد عليها ومستوياتها التدميرية .

ولمن الكتاب الذى صدر لكينان عام ١٩٨٢ الذى حمل عنوانا دالا هو The Nuclear Delusions يصور رحلته وجهوده فى التنبيه الى أخطار التسلح النووى والدعوة الى سياسة عاقلة تنزع فتيل اخطار هذا التسليح . فقد ضمن كينان الكتاب المقالات التى كتبها فى الخمسينات منذ أن اتجهت الولايات المتحدة الى صنع القنبلة الهيدروجينية ، ودارت هذه المقالات حول رفضه للقول بأن الأسلحة النووية يجب أن تلعب دورا أساسيا فى الاستراتيجية الأمريكية ، وفيها نبه الاستراتيجيين الأمريكين الى أنه كلما أسرع الولايات المتحدة فى بناء أسلحة الدمار الشامل من أجل قيمتها الرادعة فقط ابتمدت عن المبدأ بضرورة البدء فى استخدام هذه الأسلحة ، وأمكن للسياسة الأمريكية أن تحرر نفسها فى مجال التسلح من الافتراض الزائف بأن الأمن يتحقق بقدر عدد البشر الذين يمكن قتلهم بسلاح واحد . كما حذر من أن بناء موقف دفاعى على أساس من سلاح انتعارى سيؤدى فى المدى الطويل الى شل السياسة القومية وتقويض تحالفاتها، ودفع كل جانب بشكل أعمق وأعمق الى سباق تسلح لا أمل فيه وفى هذا دعا

كينان حكومته الى أن يكون موقفها المعلن هو : « اننا نأسف لوجود هذه الأسلحة ونمقت استخدامها وليست لدينا النية في البدء باستخدامها ضد أحد ولن نستخدمها الا بتردد شديد والا اذا ما فرض علينا ذلك » ، وقد ظل كينان هو وعدد من المتخصصين الأمريكيين في الاستراتيجية العسكرية يدعون الى أن تتخلى السياسة الأمريكية عن هذا المبدأ ويعتبرون أنه سوف يسهل كثيرا مفاوضات الحد من التسلح . الا أن الادارات الأمريكية رفضت ذلك واعتبرت أن التخلي عن هذا المبدأ سوف يجرد الولايات المتحدة والتحالف الغربي من عنصر رادع خاصة في مواجهة التفوق العددي السوفيتي في أوروبا في القوات التقليدية .

ويقول كينان انه بعد أن تبين عدم الاستجابة لدعوته الى تصفية الأسلحة النووية كمعصر رئيسي في الوضع العسكري للقوى العظمى ونزع فتيل المواجهة العسكرية الأمريكية السوفيتية فقد انتهى الى أنه لم يبق أمامه ما يفعله الا العزلة الأكاديمية والعودة الى الدراسة ، ومن هذا الموقع واصل كينان كتاباته ومحاضراته للتنبيه الى الخطر المتزايد للسباق النووي خاصة في فترات تدهور العلاقات الأمريكية السوفيتية الى الحد الذي « حين يسمع المرء البيانات الصادرة عنهما فلا بد أن نفترض أننا في حالة حرب غير معلنة » وقد ظل السؤال الذي يوجهه كينان في تحذيره من الخطر النووي هو : « هل علينا أن نعلم على أسلحة الدمار الشامل كجزء متكامل وحيوي لقوتنا العسكرية ؟ » .

ويمبر كينان عن أسفه من أنه رغم كل التحذيرات من العقلاء عن الآثار المدمرة لأي حرب تستخدم فيها الأسلحة النووية ورغم تأييد القادة الأمريكيين وادراكهم أنه ليس هناك نصر في حرب تستخدم فيها هذه الأسلحة فان هذه الأسلحة تتكدم يوماً بعد يوم ، ولا معنى هذا في نظر كينان أنه يجب الاستسلام لهذا الواقع بل يجب العمل على كسر

هذه الحلقة المفرغة من تصعيد بناء التسليح النووي . ويتسبأمل كينان: كيف؟ ويقرر أنه بداءة يعتقد أن مفاوضات الحد من التسليح التي تجرى فى نطاق ما يعرف بمفاوضات سولت لم تمتد لتمثل مخرجاً من سباق التسليح ، بل انه يعتبرها جزءاً من المشكلة . أما المخرج فى رأيه فهو خطوة جريئة وقرار جريء من جانب القوتين يعالج جوهر المشكلة ، وأن ما يقترحه لا يصدر عن فراغ وإنما على أساس ما أعلنه رئيس أمريكا هو ريجان من أنه « سيتفاوض بعد ما تدعو الضرورة لخفض أعداد الأسلحة النووية لدرجة لا تمكن أيأ من الجانبين من تهديد بقاء الآخر » . وعلى هذا اقترح كينان أن يدعو الرئيس الأمريكى الحكومة السوفيتية لاجراء خفض عاجل على كل المستويات وبنسبة ٥٠٪ من الترسانة النووية التي تحوزها القوتان ، وأن يمس هذا الخفض كل أشكال الأسلحة سواء أكانت استراتيجية أم متوسطة المدى أو تقليدية وكذا وسائل إيصالها ، ودعا كينان بالتوازي مع هذا الى انشاء لجنة علمية أمريكية سوفيتية مشتركة تحت رئاسة شخصية علمية بارزة محايدة لكي تدرس لا مجرد التخلص من هذه الأسلحة بشكل آمن بل كيفية استخدامها بشكل يساهم ايجابيا فى حياة البشر سواء فى القوتين أو بين شعوب العالم .

ولا شك فى أن مما يمثل عزاء جزئيا لجورج كينان واحباطاته المستمرة أن اقتراحه هذا يأن تتخلص القوتان من ٥٠٪ من ترسانتهما النووية قد تحقق بعد هذا فى البيان الذى صدر عن قمة جنيف بين الرئيسين ريجان وجورباتشوف فى نوفمبر ١٩٨٥ حيث دعا الزعيمان بناء على المقترحات التى تقدم بها كل جانب « الى تقدم سريع خاصة فى المجالات التى تبدو فيها أرضا مشتركة بما فى ذلك مبدأ خفض ٥٠٪ من الأسلحة النووية لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وتطبيق ذلك بشكل متلائم » .

وكان تحذير كينان من الآثار المدمرة للأسلحة النووية وخطا الاعتماد عليها في بناء القوة العسكرية ومساهمة ذلك في دفع سياق التسلح العالمي - قد اقترن بالتحذير لما لهذا أيضا من تأثير على صبح التفكير الأمريكي بالصيغة العسكرية، وهو ما وجد أنه ميز عصر ما بعد الحرب الثانية، ولم تقتصر آثاره العميقة على السياسة الخارجية الأمريكية بل أيضا على المجتمع الأمريكي^{٥٠}. ويفصل كينان ذلك بقوله ان هذا قد أدى الى ما يعتبره آخرون معه تشويها خطيرا للاقتصاد القومي الأمريكي، فقد أجبر الأمريكيون على ان يمسودوا أنفسهم على اتفاق جزء كبير من دخلهم القومي في انتاج وتصدير الأسلحة والاحتفاظ بمؤسسة عسكرية واسعة، وهي أهداف لا تضيف شيئا للطاقة الانتاجية الحقيقية والاقتصاد الأمريكي وانما تجنرده كل عام من عشرات البلايين من الدولارات التي يمكن أن توجه الى الاستثمار الانتاجي^{٥١}.

ويذهب كينان الى أن هذه المادة قد ارتفعت الى مستوى ما يسميه (الادمان القومي)، فالمجتمع الأمريكي لا يستطيع أن يخلص نفسه من هذه العادات بدون أن يكون لهذا من أعراض خطيرة، فملايين الناس في الحياة المذبذبة بالاضافة الى ملايين آخرين في الزئ العسكرية قد تعودوا على أن يحصلوا على معاشهم من المؤسسة العسكرية الاقتصادية كما أن آلاف المشروعات أصبحت تعتمد عليها وهو ما أصبح المصدر الرئيسي للمعز في الميزانية وما يسببه من عدم استقرار^{٥٢}. ويوضح كينان الأمر قائلا بأنه قد نشأت رابطة غير صحيحة بين هؤلاء الذين ينتجون ويبيعون الأسلحة وبين هؤلاء الذين يشترونها في واشنطن، وبعبارة أخرى أننا خلقنا بمصالح راسخة ضخمة بالاحتفاظ بمؤسسة عسكرية ضخمة في وقت السلم وفي تصدير كيبيات ضخمة من الأسلحة لشعوب أخرى وبالتالي خلقت مصالح ثابتة لاستمرار الحرب الباردة^{٥٣}. ويصل كينان في هذا الى حد القول « بأننا

قد جعلنا أنفسنا معتمدين على هذا السلوك القومي الضار الى الحد الذى يمكن القول معه وبلا تحيز انه ان لم يكن هناك الروس كمداة لاستخدام وتبرير هذه السياسة فاننا كنا سنخترع خصما آخر ليحل محلهم » .

ويناقش كينان تأثير سيطرة التفكير العسكرية على توجيه ادارة العلاقات الأمريكية السوفيتية بشكل قد يدفعها الى المواجهة ، ولذلك فقد دعا الى التجرد من الفكرة السائدة بأن الخلافات الأمريكية السوفيتية يجب أن تنتهى يوما ما بالحرب أو أن القوة العسكرية ستكون هى الحسم الرئيسى بينهما . وقد رأى كينان ابتداء أن الحرب بين القوتين ليست حتمية ، والقادة السوفييت أنفسهم لا يريدونها ، وليس هناك فى المصالح السياسية المتباينة بين البلدين ما يجعلها ضرورة أو يبررها . غير أن ما ركز عليه كينان هو أن وضع الاعتبارات العسكرية فى مركز مناقشات العلاقات الأمريكية السوفيتية ، يعنى أننا نخاطر بأن نحقق الحرب التى لا نريدها ويجب أن نفعل كل شيء لتفاديها . ويستدل كينان على هذا بغيره التاريخ التى تقول ان الاعتقاد بحتمية الحرب مع قوة ما يؤثر على السلوك بطريقة تشل كل السياسات البناءة تجاه القوة الخصم وتترك المجال مفتوحا للضغط والدوافع الفكرية ، فاذا ما نظر الى الحرب كشيء حتمى أو حتى محتمل فانه لا بد أن يستمد لها بشكل كبير ، وبالتالي يجعل احتمالات نشوبها أكبر . وينتهى كينان الى أن أكبر خطر كامن فى المنافسة العسكرية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ليس هو خطر هجوم عسكري سوفيتى على الولايات المتحدة أو على الناتو وانما هو فى امكانية عدم السيطرة على الاندفاع الخطير لسباق التسلح الذى قد ينتهى سواء بشكل ارادى انتغارى أو عن طريق الخطأ الى الدمار .

كان من الاهتمامات الرئيسية لجورج كينان منذ أن كرس نفسه لدراسة الشؤون الروسية والسوفيتية -

ولادراكه منذ البداية ان الوضع السوفيتى سيكون هو مركز الاهتمام للسياسة الخارجية لبلاده - هو ان يشرح ويحلل هذا الوضع لبنى وطنه ويقدمه فى ايماده التاريخية والحضارية وان يتابع تطور التجربة الثورية التى انبثقت فيه عام ١٩١٧ والمؤثرات والدوافع التى توجه قادتها ، والتجارب التى تعرضوا لها ، والحدود التى يمكن ان يذهبوا اليها فى التعامل مع العالم الخارجى ، وامكاناتهم الحقيقية والفعلية ، والدور الحقيقى الذى تلعبه ايدىولوجيتهم فى توجيه سياساتهم الخارجية ، وحجم مشكلاتهم الداخلية واعتباراتهم الأمنية المستمدة من خبراتهم وخبرات أسلافهم من الحكام الروس من قبلهم .

كان هذا الاهتمام هو الذى دفع كينان الى أن يكتب وهو مستشار السفارة الأمريكية وقائم بأعمالها عام ١٩٤٤ « التلغراف الطويل لحل فيه الواقع السوفيتى خلال الحكم الستالينى » ، وكان هو دافعه حين كتب عام ١٩٤٧ مقالته الشهيرة عن « مصادر السلوك السوفيتى » والتى حلل فيها طبيعة الحكم السوفيتى ودوافع قاداته فى هذا الوقت والعوامل التى تتحكم فيهم ونواياهم المستقبلية .

وقد واصل كينان منذ هذا التاريخ اهتمامه بترشيد تفكير بلاده حول الوضع السوفيتى وخاصة فى تطوراتها وتطور قواه الاقتصادية والعسكرية والتغير فى قيادته وخاصة بعد رحيل ستالين - وقد ازداد اهتمام كينان بذلك خاصة بعد التطورات الداخلية فى الاتحاد السوفيتى بعد وفاة ستالين من ناحية ، ومن ناحية أخرى لما لاحظته من تزايد طابع التسيط الذى يسيطر على تفكير كثير من الدوائر والمؤسسات الأمريكية فى فهم وتناول الوضع السوفيتى والمفاهيم التى رآها كينان غير موضوعية والتى تعدد التصور الأمريكى للواقع والأهداف السوفيتية . لذلك نجد كينان بالاضافة الى العديد من المقالات التى كتبها حول المشرق

الداخلي في الاتحاد السوفيتي وحقائقه يخصص جانباً من كتابه الهام الذي أصدره عام ١٩٧٧ « سحب الخطر » لمناقشة وتحليل عدد من الافتراضات السائدة حول طبيعة النظام السوفيتي ونوايا قياداته آنذاك والتي كانت تتمثل في قيادة برجنيف - كوسيجين - بودجورنى - وقد حدد كينان هذه الافتراضات في :

(أ) ان طبيعة القيادة السوفيتية لم تتغير بشكل عام منذ بدايات الحرب الباردة ومازالت تلمها الرغبة والعزم على تحقيق السيطرة العالمية .

(ب) ان هذه القيادة السوفيتية تنظر الى المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة كشيء حتمى .

(ج) وانه لهذه الأسباب فان القوة المسلحة السوفيتية هي قوة هجومية وليست دفاعية .

وقد حرص كينان على مناقشة هذه الافتراضات لانه شعر أنها اذا تركت بلا مناقشة فان الاعتقاد سوف يترسخ بان الخلافات في النظرة والأهداف بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة هي ذات طبيعة تجعل حل هذه الخلافات سلمياً امراً غير متصور ، أو أن حلها لا يتحقق الا بالحرب او بتحقيق جانب التفوق العسكري الحاسم .

ففيما يتعلق بافتراض عدم جدوى تغير طبيعة القيادة السوفيتية فقد اعتبر كينان أن هذا يعنى أن أصحاب هذا التصور لم يحلوا بشكل عميق تطور القيادة السوفيتية ، ورغم أن كينان يوافق أن ستالين في نهاية أيامه كان قد قبل افتراض مواجهة بين النظامين لأنه كان يريد مواجهة أو يراها ضرورية وإنما لمعموره أن القوى الغربية مصممة على دفع الأمور الى هذا الحد ، ولكنه أيا كانت رؤية ستالين فقد اعتبر كينان أنه لا يوجد سبباً يستدعي افتراض أن

القيادة السوفيتية التي خلفته حتى عصر برجنيف ترى الأمور بالشكل الذى رآه ستالين . وذهب كينان الى اعتبار أنه مما يجب ألا يؤخذ مأخذ الجد القول بأن القادة السوفيت مستعدون لفقد ملايين من مواطنيهم السوفييت ، فذكريات الحرب الثانية حية فى الاتحاد السوفيتى بأكثر مما هى فى الغرب .

وعبر كينان عن يقينه بأنه ليس هناك بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ما يريد أى من الجانبين تحقيقه يساوى المخاطر والتضحية بمواجهة عسكرية . وباعتبار التقدير الواقعى لحدود القوة العظمى وخاصة فى حالة الاتحاد السوفيتى فسوف يكون من الأرخص والاسهل والاكثر أمنا واقل خطورة على المدى الطويل لكلا الجانبين أن يتنازلا فى أى من النقاط موضع الخلاف بينهما على ان يقبل أحدهما كارثة تسببها حرب عالمية . ويضيف كينان ، وكان يشير فى هذا بوجه خاص الى ما تمارسه بعض القوى السياسية الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتى ، الى ان العمل على تجريد الخصم من الاعتبارات الانسانية Dehumanization والاصرار على النظر اليه كتجسيد للشر ، وان ما يوجهه ويوجه أفعاله فقط هو الرغبة فى إلحاق الضرر بالآخرين هو من أخطر العوامل فى التأثير على المواقف وتحديد السياسات فى أمور خطيرة وحاسمة ، وعلى هذا كان كينان دائم الدعوى الى التخلي عن هذه النظرة فى تقييم قوة عظمى لأخرى وخاصة فى زمن أصبحت فيه الحرب بين قوتين مسلحتين تسليحا نوويا يمثل خطرا مميتا لمن يشترك ولن لا يشترك فيها .

أما الافتراض الثانى الذى حرص كينان على تناوله بالتحليل فهو الافتراض الذى شاع عن الاتحاد السوفيتى بأنه قوة توسعية وأنه يسمى للسيطرة العالمية . وفى تقييمه لهذا رأى تتبع كينان اتجاه الحكم السوفيتى منذ مبعثه للسلطة عام ١٩١٧ ، حيث كانت لديه بالفعل أحلام بالثورة

العالمية . إلا أن قاداته في هذا كانوا يفرقون بين الثورة والغزو ، فالثورة كما كانوا يرونها كانت شيئا يجب أن يأتى فى الدرجة الاولى من عمل البروليتاريا الومنية فى كل بلد ، وحتى لو قدموا مساعدات لهذه الحركات فإنه لم يكن متصورا ان هذه المساعدة سوف تحل محل العمل التورى من جانب البروليتاريا الوطنية . فعندهم كان دور الشيوعية الروسية هو أن تساعد الثورة العالمية لا أن تخلقها . والواقع فى رأى كينان أنه كان يجب أن تمر ثلاث أو أربع سنوات على قادة النظام الشيوعى فى روسيا لكى يدركوا أن الثورة العالمية كما تصورها لم تكن وشيكة الوقوع ، كما لم يكونوا مستعدين لأن يضحوا بالسلطة التى كسبوها بصعوبة فى روسيا لمجرد الاسراع بالثورة العالمية . ويشير كينان الى حقيقة أن لينين قال انه اذا كانت هناك فرصة حقيقية لثورة شيوعية فى ألمانيا فإن روسيا يجب ان تضحي لتحقيق ذلك ، ويمقب على ذلك بأنه كان مشروطا بقيام فرصة حقيقية لثورة شيوعية فى ألمانيا . ومع عام ١٩٢١ فإن الحفاظ على السلطة الشيوعية فى روسيا وتعلويرها كان قد أصبح الهدف الأعلى للنظام ، وان كانت المبارات الطنانه عن الثورة العالمية قد بقيت حيث كانت أساسية لاعتبارات ايدولوجية . فالتفكير فى انتصار عالمى للنظرية الماركسية وان ظل يمثل أملا بعيدا الا أنه لم يعد يتجسد فى سياسة جادة ملحة وعاجلة ، وهكذا أصبحت اعتبارات حماية النظام ومراعاة نقاط الضعف الداخلية تسود وتسيطر على الدوافع الثورية فى عقول هؤلاء الذين يسيطرون على مصائر روسيا السوفيتية . ويواصل كينان تتبعه لمكان الثورة العالمية فى التفكير العملى السياسى للقادة السوفيت ، فيقول ان الحرب العالمية الثانية قد انتهت بتغيرات هامة ، فمن ناحية فإن مشهد قوة شيوعية ضخمة كان عليها أن تحارب جنبا الى جنب مع قوى رأسمالية ضد قوة رأسمالية أخرى قد قوض فرضية الصراع الحتمى بين الشيوعية

والرأسمالية • ومن ناحية أخرى فإن الكسب الذى حققه الاتحاد السوفيتى بعد الحرب فى أوروبا الشرقية رغم أنه قد اكتسب رداء الشيوعية ، إلا أنه كان أحياء للنموذج الروسى التقليدى فى هذه المنطقة ، فقد كان كسبا قوميا أكثر منه كسبا أيديولوجيا • فى نفس الوقت تدعمت الحكومات غير الشيوعية فى باقى أوروبا وظهرت تطبيقات سياسة الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية فى شمال الغارة ، كما ظهرت الاتجاهات الانشغافية فى دول مثل يوغوسلافيا والصين • كل هذه التطورات كانت جديدة بأن تقوض حلم أن الثورة الشيوعية قادمة تحت القيادة السوفيتية • ومنذ هذا التاريخ سوف يصرف الاتحاد السوفيتى كقوة كبرى طبيعية ، حيث أخذت الاهتمامات التقليدية والطموحات الروسية مكان الصدارة دون الاهتمامات الأيديولوجية للقيادة السوفيتية وان كان هذا لا معنى مرة أخرى أن المفاهيم الأيديولوجية لا تلعب دورا على الإطلاق فى سلوك هؤلاء الرجال وفيما يصدر عنهم من كلمات ، بل أن بروز الصراع السوفيتى الصينى وخاصة فى المجال الأيديولوجى دفع القادة السوفيت إلى تأكيد المبادئ الأيديولوجية ولكن خلف ستار الكلمات ، فإن رجال الكرملين كانوا فعلا يتصرفون بشكل غالب فيما يتعلق بالشئون الدولية وفقا لتقاليد الحكام الروس للعهود الأولى • فالاهتمامات الحاسمة والمسيطرة كانت هى حماية حكمهم داخل روسيا وكذا أمن الوطن الأم الذى هو الأساس الذى لا غنى عنه لسلطتهم •

كذلك كان من العناصر التى حرص كينان على تنبيه السياسة الأمريكية إليها فى رؤيتها الوضع الروسى فى تطوره هو طبيعة الموقف الداخلى للقيادة السوفيتية خاصة فى التطور الذى أخذته بعد وفاة ستالين ، لذلك نجد أنه فى تحليله لهذا الموقف فى السبعينيات — خلال قيادة بريجنيف وزملائه — يعبر عن دهشته من أن المناقشات التى تدور حول العلاقات الأمريكية السوفيتية ، وخاصة من جانب من

لا يريدون لهذه العلاقة أن تتطور بشكل مستقر ، تقوم على أساس لا يختلف عن ذلك الذى كان قائما خلال قيادة ستالين والحرب الباردة ، وأن قراءة هذه المناقشات تجعل المرم يفترض عدم حدوث أى تغيرات هامة منذ وفاة ستالين ، وأن الرجال الذين فى السلطة الآن يمثلون نفس المشكلة من وجهة النظر الأمريكية التى كان يمثلها سلفهم منذ ربع قرن مضى ، وهو أمر اعتبره كينان بعيدا عن الواقع - وقد حرص كينان على أن يذكر بخصائص القيادة السوفيتية ومعانيها بالنسبة لسلوكها ، فهى تتميز - وحديثه كان فى حقبة السبعينات - بالعمر المتقدم بشكل غير عادى ، إذ أن متوسط العمر للشخصيات الخمس والست الكبيرة كانت فوق السبعين ، وحوالى نصف أعضاء المكتب السياسى كانوا فوق ٦٦ عاما ، ولم يكن هذا يعنى ان هؤلاء الرجال غير فعالين او يفترقون الى القدرة على العمل الشاق وانما يعنى انهم رجال ذوو خبرة من السهل عليهم اللجوء الى سياسات مفاخرة او أن يقدموا على تصرفات من شأنها أن تفرض قيودا اضافية ضخمة على أنفسهم وعلى النظام .

بالاضافة الى عامل السن والتجربة هذا كان كينان يرب الى عامل كان يراه يشغل القادة السوفيت ويسيطر عليهم وهو اعتبار الواقع والمشاكل السياسية الداخلية ، وفى هذا رأى كينان أن دلائل كثيرة كانت تشير الى أنه منذ نهاية الحرب الأخيرة لم تكن الاهتمامات الأساسية للقادة السوفيت الا تلك المتعلقة بالمشكلات الداخلية التى تواجههم ولا فى المحافظة على أمن النظام وثانيا لتطويع القوة الاقتصادية لبلادهم والتى كانوا يعلمون أنها رغم كونها أكبر بكثير من الولايات المتحدة فى المساحة والسكان الا أنها فى الناتج القومى نصف الولايات المتحدة - ويستمرض كينان رؤيته للمشكلات الأساسية التى تواجه القيادة السوفيتية فى هذا الوقت - وحديثه ما يزال فى نطاق السبعينات - فیراما فى مشكلات

الجمهوريات غير الروسية التي طورت احساسا وطنيا وقوميا خاصا بها يفوق ما كان يتوقع أن يكون عليه فى ظل الرابطة الأيديولوجية والحكم السوفيتى ، ثم مشكلة المنشقين ، ومشكلات النمو الاقتصادى والتي رغم ضخامة ما تحقق الا أن ثمة مجالات هامة تثير قلقهم مثل التكنولوجيا وتطوراتها فى مجالات الكمبيوتر والالكترونيات ومشكلات نظام التوزيع للسلع والاسكان وكفاءة العمل ومشكلات الزراعة •

ومن الاعتبارات التي كان كينان يركز عليها ويراهما تتحكم فى تفكير وسلوك القيادة السوفيتية اعتبار الامن ، وفى هذا الشأن فان من الاعتقادات التي تسيطر عليها تصور أن هناك قوى تعمل فى السياسة والمجتمع الأمريكى وكذلك فى مجتمعات أوروبا الغربية تعادى الاتحاد السوفيتى بشكل مرير ونشط ولن تشعر بأى غضاضة فى استعمال القوة العسكرية ضده إذا ماكانت هناك أية فرصة فى النجاح • ومن ناحية جبهتهم الشرقية فان هاجس الأمن الذى يستولى على القادة السوفيت لا يتعلق بالصين فحسب وانما باليابان أيضا التي يدركون أهميتها البالغة ويعملون على منع أى رابطة بينهما وخاصة فى المجال العسكرى ، الأمر الذى يجملهم يعتبرون أنه حتى الوجود العسكرى الأمريكى فى المنطقة أفضل من قيام مثل هذه الرابطة بين الصين واليابان، وفى نفس الوقت فهم يتطلعون للحصول على المساعدة اليابانية فى تنمية موارد الشرق الأقصى السوفيتى •

أما فيما يتعلق بالشرق الأوسط ومكانه فى الاهتمامات الأمنية للقادة السوفيت فان كينان يذكر بأن هذه المنطقة هى أكثر قربا الى الحدود السوفيتية مما هى بالنسبة للولايات المتحدة ، ومن ثم فانه من الطبيعى توقع أن يشعر القادة السوفيت أن مصالحهم وأمن بلادهم تتأثر بشكل خطير بما يحدث فى هذه المنطقة • ومن ناحية أخرى ، فانه بخلاف ما يتصل بأدق الاعتبارات المتعلقة بأمنهم القومى فان القادة

السوفيت ليست لهم مصالح نشطة في المنطقة تساوى كارثة وقوع حرب مع الولايات المتحدة ، وعلى هذا فانهم يحرسون - شأنهم شأن الولايات المتحدة - على ألا تأخذ الصراعات في هذه المنطقة أشكالا تقود الى مواجهة بين القوتين .

ومثلما كانت (نظريه) الاحتواء من اهم ما تضمنته مقالة كينان عن « مصادر السلوك السوفيني » التي نشرها عام ١٩٤٧ كما كانت وراء أهمية التي اكتسبها هذه المقالة ، ومثلما كان الغموض وعدم التحديد الذي أحاط بتناول كينان وحديثه عن احتواء القوة السوفيتية والذي تسبب في سوء تفسيرها واعطائها أبعادا وتطبيقات لم يكن كينان يعمدها وصرف بعد ذلك وقتا وجهدا كثيرا في توضيح ما كان يعنيه بالتحديد وينتقد التطبيقات التي استندت زورا الى « نظريته » ، كذلك كان الحال في حديث كينان عن الاسلوب الذي تصوره في التعامل مع القوة السوفيتية المساعدة بعد الحرب الثانية مباشرة ، وكذلك كان الوضع مع قضية أخرى أثارها كينان في مقالة له وهي قضية شرجه وتحليله لطبيعة النظام والسلطة السوفيتية الداخلية ومظاهرها في النظام السياسي والاقتصادى - ففي مقالته قال كينان : « ان الشخصية السياسية للسلطة السوفيتية كما نعرفها اليوم هي نتاج الظروف والأيدولوجية التي ورثها القادة السوفيت الحاليون من الحركة التي تمثل أصولهم السياسية ثم ظروف السلطة التي مارسوها الآن لعدة حقب . وهذه الظروف السياسية مثل المسلمة الأيدولوجية التي نبعت عنها ، هي شيء أساسى للطبيعة الداخلية للسلطة السوفيتية وسوف تبقى معنا سواء فى المقدمة أو المؤخرة حتى تتغير الطبيعة الداخلية للسلطة السوفيتية » .

فما الذى كان يعنيه كينان بحديثه عن « تغير الطبيعة الداخلية للسلطة السوفيتية » هل كان يعنى ويتوقع تغييرا جذريا فى النظام وفى أساسه الأيدولوجى وفى هيكله السيامية والاقتصادية وبشكل تتغير معه بشكل جذرى أيضا

ممارساته وتطبيقاته في شئون المجتمع السياسية والاقتصادية ؟ الواقع أنه مثلما اهتم كينان باعادة شرح وتوضيح مقاصده الحقيقية من سياسة الاحتواء واعترافه بنموض صياغته لها واحتوائها على عدد من أوجه القصور Deficiency التي أدت الى اساءة تفسيرها ، كذلك فعل كينان نفس الشيء عند حديثه عن السلطة السوفيتية وعن التغير الذي يجب أن يحدث في طبيعتها حتى يمكن ان يستقر التعامل معها . ففي مقالته في مجلة Foreign Affairs أبريل عام ١٩٥١ ، والتي نشرها تحت عنوان « America and the Russian Future » قدم كينان بشكل أكثر تحديدا ما يجب على الولايات المتحدة أن تتوقعه ، وما يجب ألا تتوقعه من المصور والصيغ وتوجهات الحكم في روسيا في المستقبل ، فقال ان عليها أن تستبعد أن تصبح روسيا دولة رأسمالية وأن يقوم فيها حكم ديمقراطي ليبرالي على النمط الغربي الأمريكي . ويفسر كينان ذلك من واقع التجربة الروسية التاريخية والمعاصرة ، فعلى مستوى النموذج الاقتصادي فان روسيا عبر تاريخها لم يكن المشروع الفردي الاقتصادي كما يعرفه الغرب مألوما بها ، فحتى قبل الثورة كانت الحكومة تسيطر على عدد من المشروعات الأساسية مثل النقل وصناعة السلاح ، وحتى في النطاق الفردي الذي كان قائما فقد كان في مجال تبادل السلع وليس في مجال الانتاج . وحيث بدأت روسيا عملية التصنيع مع نهاية القرن كان نمط الانتاج وعلاقات الملاك مع العمال على نسق العلاقات التي قامت عند المراحل الأولى للثورة الصناعية الرأسمالية كما وصفها ماركس وليس على نمط الدول الغربية المتقدمة ، وربما كان هذا ما جعل الثورة الماركسية أسهل في روسيا .

أما الجانب السياسي فقد نبه كينان الى أنه لا يمكن توقع نظام سياسي على النمط الديمقراطي الليبرالي ، ذلك أن الجيل العالي لا يعرف شيئا الا السلطة السوفيتية ، وقد ربي وتعلم أن يفكر في ضوء هذه السلطة وأحكامها ، وعلى

هذا استخلص كينان أن النظام السوفيتي سوف يستمر في كثير من جوانبه لأن الطرف البديلة قد دمرت ، وفي جوانب أخرى لأن أى نظام يستمر لحقب من الزمان لا يمكن أن يكون بلا مزايا •

أما شكل الحكومة التى يمكن للسياسة الأمريكية ان تتوقعها فى روسيا فى اطار الممذن وما يتفق مع السخسية القومية الروسية ، فقد رآها كينان فى حكومة تكون أكثر تسامحا واكثر اعتمادا للاتصال ومحاطيه الاخرين واكثر مباشرة وصراحة فى علاقاتها مع الدول الاخرى ، وان تتخلى عن روح الشك وعدم الثقة التى تتعامل بها مع المصالح الخارجى وأن تتعامل على أساس الواقع فعلا وأن تنظر الى الدول الاخرى على أنها ليست شرا محضا أو خيرا مطلقا ، على أن كينان ينبه الى أنه حتى مع مثل هذه الحكومة فان المصالح الروسية سوف تستمر وتتأكد بل وسوف تراعى بشكل أكثر قوة وأكثر ثقة •

ويستخدم كينان هذا السياق ، والحديث عن تنفير طبيعة السلطة السوفيتية بالشكل الذى تتوقعه السياسة الأمريكية لكى يتناول ما يسميه (بالميل الفطرس) لدى الأمريكيين الى الحكم على الآخرين باعتبار أنهم يتطلعون الى أن يصبحوا مثل الأمريكيين ويتبنوا نظامهم ومؤسساتهم ونموذج حياتهم ، فيدعو بنى قومه فى هذا الى أن يدركوا أن المؤسسات الأمريكية قد لا تكون صالحة لشعوب تعيش فى مناخ آخر وظروف أخرى ، وأنه قد تكون هناك نظم اجتماعية وأشكال من الحكومات لا تشبه بحال النظام الأمريكى ومع هذا فهى لا تستحق اللوم •

وبرجه عام فانه أيا ما كان نظام الحكم الذى يقوم فى روسيا فان سلوك هذا النظام تجاه الولايات المتحدة سيكون فى جزء كبير منه رد فعل للتصرفات الأمريكية • وفى رأى.

كينان أن السلوك العملي الأمريكي المطلوب والذي يمكن أن يولد تطوراً إيجابياً في السلوك السوفيتي إنما يعتمد لا على العسكرية والتسلح أو الإصرار على إقامة التحالفات مع الدول الحليفة رغم أهمية كثير من هذه العناصر ، وإنما يجب أن يعتمد على تأثير النموذج ، وهو النموذج الذي يجب أن يتضمن شيئاً يعطيه معنى ومضمونا ولا يجمله عقيماً ، وهذا الشيء في رأي كينان ليس هو نصيح الآخرين وحثهم أو الدعاية الخارجية وإنما هو أساساً ما يجب أن ينصح الأمريكيون أنفسهم به وهو يتعلق بروح وهدف الحياة القومية الأمريكية نفسها ، فأى رسالة يحاول الأمريكيون أن يقدموها للآخرين سوف تكون فعالة فقط إذا ما اتفقت مع ما ينظرون به إلى أنفسهم وإذا ما كان فيها شيء مؤثر بما فيه الكفاية .

ومن القضايا التي تعرض لها كينان قضيتا أوضاع العالم الثالث لارتباطات الولايات المتحدة والتزاماتها الخارجية وعلاقة الولايات المتحدة بإسرائيل ، وهما قضيتان متصلتان بمناقشة كينان .

ويتصور كينان أن الأمريكيين ليسوا محبوبين إلى حد كبير في العالم الثالث ، ويعتبر أنهم ليسوا في حاجة إلى أن يكونوا محبوبين ، وأنه كلما أثارت الولايات المتحدة ضجة حول هذه البلدان قلت شعبيتها لديهم ، وعلى العكس كلما قل الاهتمام الأمريكي بشئون هذا العالم نظرت شعوبه بشكل أفضل إلى الولايات المتحدة وتحسنت علاقاتها بها وأصبحت أقل توتراً .

ويبدو أن معايير كينان العقلية الصارمة جعلته يغفل عن واقع ظروف بلدان العالم الثالث وعن تجربتها التاريخية ، وما تعرضت له وما زالت تتعرض بفعل الجوانب

غير العادلة فى النظام الاقتصادى العالمى القائم - وهو ما سيكون مأخذاً لنقاده عليه ، ولهذا نراه ينكر مسئولية الغرب عموماً عن المشكلات التى يعانىها العالم الثالث ، ويلقى بالمسئولية كلها على شعوبه فى عملية نهوضها وتقدمها ، ويقول ان الولايات المتحدة قد تقدمت فى نفس الظروف الصعبة وربما أصعب مما تمر به الدول النامية الآن وقد حققت تقدمها بفعل سواعد أبنائها •

أما عن علاقة الولايات المتحدة ومسئولياتها تجاه إسرائيل فهو يناقشها من زاوية ما يقال عن أن إسرائيل تمثل أهمية حيوية Vital Interest بالنسبة لأمريكا ، وهو يتشكك فى ذلك ويعتبر أن إسرائيل قد تكون مهمة بالنسبة للولايات المتحدة إلا أنه لا يعتبرها حيوية بالمعنى الدقيق للكلمة بالنسبة للمصالح الأمريكية ، ويقول انه اذا تعرضت إسرائيل مثلاً لأسوأ احتمال فإن هذا سوف يصدّم الرأى العام الأمريكى إلا أن هذا لن يمثل ضرراً قاتلاً للوجود القومى الأمريكى •

كذلك يناقش كينان مدى التزام أمريكا تجاه إسرائيل ، فيقرر أنه حين أيدت أمريكا انشاء إسرائيل فقد قبلت بهذا جزءاً من المسئولية تجاه نجاح هذا المشروع على الأقل فى مراحله الأولى ، إلا أن كينان يعتبر أن هذا الالتزام ليس التزاماً دائماً ومستمرًا •

ويذهب الى أن أى ادارة أمريكية ليس لديها الحق فى أن تلزم السياسة الأمريكية بشكل دائم بمسئولية أمن أرض ليست جزءاً من الولايات المتحدة وتقع على بعد آلاف الأميال من شواطئها ، ويذهب الى أنه حتى هذا لا تقبله دولة ذات سيادة من دولة أخرى •

كان لايد أن يكون للدبلوماسية كمهنة شغلت الجزء الأكبر من حياة جورج كينان العملية وأعطاهما معظم وقته

وجهدہ کان لابد أن تكون لدروسها وخبراتها ولجوانبها
الضيئة وجوانبها المحبطة مكان في كتابات كينان وما سجله
عن حياته العملية والفكرية .

ومن الخبرات والدروس المباشرة التي سجلها وخرج بها
كينان من ممارسة الدبلوماسية هي تلك المتصلة بموقف
الدبلوماسي إذا ما وجد نفسه في موقف صعب بين عدم
اقتناعه بسياسة معينة لحكومته وبين واجبه في الدفاع عن
هذه السياسة أمام الحكومة المعتمدة لديها ، ويقرر كينان
بوضوح أن الدبلوماسي مادام قد قرر الاستمرار في وظيفته
فيجب أن يكون في صف السياسة والموقف الذي تتبناه
حكومته ، وأن عليه أن يقدمه ويشرحه ويدافع عنه لدى
الحكومة والبلد المعتمد فيه بكل مؤسساته ، وأن يفضل أفضل
ما يستطيع لكي يتحدث باسم حكومته ، على أنه من ناحية
أخرى ومع اختيار الممثل الدبلوماسي لهذا الموقف إلا أنه في
نفس الوقت يعتقد بشدة وحزم أنه من الجوهرى للممثل
الدبلوماسي، في اتصالاته المباشرة مع حكومته ، أن تكون لديه
القدرة والاستعداد لأن يقول لحكومته رأيه إذا ما شمر أن
بعض وجوه سياستها فيما يختص بالبلد الذي يعمل فيه
خاطئة ، وأن يقدم لحكومته النصيحة وأن يساعدها على أن
تبنى سياسة أكثر فعالية . على أن خبرة كينان تجعله يقول
أن الصعوبة الكبيرة التي تواجه النصيحة التي يقدمها
الدبلوماسي - والتي يمكن أن تكون فعالة فيما يخص العلاقة
مع حكومة أجنبية - هو تعارضها مع الواقع الداخلي في
بلاده ، وهي المضلة التي لا يحلها إلا وزير الخارجية أو
الرئيس نفسه . وفيما يتعلق بما يعبر عنه الدبلوماسي
ويقوله الحكومة أجنبية فإن كينان يعتقد أن مثل هذه الحكومة
لا يساعدها ولا يهمها أن تعلم ماذا يفكر فيه الممثل الدبلوماسي
شخصيا ، وإنما يعنيها أن تعلم ما الذي تفكر فيه حكومته
وما تنوى أن تفعله . وقد تعلم كينان من مواقف عملية مرت
به أن الممثل الدبلوماسي إذا ما اختلف بشكل كبير مع حكومته

فانه لا يجب أن يترك منصبه فى تسرع كبير ، لأنه بذلك يحبط الخير الذى يمدن ان يفعله اذا ما بقى مع المشحلة فى المنصب الذى يشغله لمدة أطول - وقد جعل هذا كينان يحكم على نفسه بالسرع والتهور لترحه الخدمة لاختلافه مع حجومه وكان يجب ان يكون لديه الصبر ، وهو يتذكر فى هذا عددا من زملائه كانوا رجالا ممتازين ، فقد امتطوا بتجاح عددا من العواصف مع حكوماتهم ، وهى عواصف كانت أسوأ مما واجهه كينان ، ويضرب كينان مثلا على هذا صديقه تومبسون الذى كان سفيرا فى موسكو خلال ازمة طائفة التجسس الامريكية U2 والتي سببت له يأسا كامل ربما أحدثه هذا العمل الأخرق من ضرر بالملاقات الأمريكية السوفيتية ، فقد استوعب تومبسون وصمد لهذه الازمة واستمر يصحح أخطاءها وتداعياتها .

وبعد قراءة ثلاثين عاما قضاها كينان فى العمل الدبلوماسى ، ما هى الصفات التى وجد كينان من خلال خبرته أنها يجب ان تتوفر فى الدبلوماسى بوجه عام والمبتدئ فى المهنة بوجه خاص ؟ يقول كينان فى مقال جميل تحت عنوان Training for Stateman : « ان الصفات المفيدة والفعالة التى عرفتھا فى الخدمة الدبلوماسية هى تلك التى تتميز بالمرح والولاء والكرم ومراعاة مشاعر الآخرين » .

أما عما كان يود أن يراه فى معاونيه فى العمل الدبلوماسى فيقول : « انى أستطيع أن أقرر بدون تردد انى أود أن يكون معاونى على قدر جيد من احترام النظام Discipline » سواء فى التفكير أو الشخصية ، ولكن اذا كان على أن أختار فسوف أختار الرجل الذى أستطيع أن أعتمد على شخصيته حتى لو كان على أن أنمى عقله وتفكيره ، فهو أفضل من شخص درب جيدا فى تفكيره ولكن شخصيته لم تتكون أو لا يمكن الاعتماد عليها » .

ويمد كينان بصره ليس فقط الى من سيمارسون مهنة
الدبلوماسية بل ايضا الى اولئك الذين سيعملون بوجه عام
فى العمل الدولى والشئون الدولية فيقول ان ندائه لهؤلاء
الذين يعدون أنفسهم للعمل فى هذا الحقل هو ان يقرروا
شمسبير ويلوتارح وجيبون وربما اللغة الدتينسية
واليونانية ، وان يجعلوا من الشرف أكثر الخصائص السيسية
التي يمتلكونها سواء فى تعاملهم مع أنفسهم او مع الآخرين ،
وان يتعاملوا بصدق وولاء ، وان يضعوا الثقة يمين وحيث
تستحق ، وان ينمو فى أنفسهم هذه الصفات من احرام
النظام وضبط وتهذيب النفس *

وتختلط فى خبرة كينان الدبلوماسية الخبرات الشخصية
بالخصائص الذاتية للدبلوماسية وحياتها العملية ، وسى
تميز واضح وموضوعى بين الجانبين يقول كينان انه اذا
بدت جهوده الدبلوماسية وقد انتهت يشغل عام بالفشل فان
هذا الفشل يجب ان يحكم عليه فى ضوء خصائصه المزاجية
والنفسية ، فهذه الاحباطات التي مرت به فى عمله
الدبلوماسى هى احباطات شخصية يجب الا يبالغ فيها والا
تؤخذ كحكم على العمل الدبلوماسى ، فالدبلوماسية حياة
عملية للانسان يمكن ان تكون تراجيدية فقط فى نتائجها
وليس فى خبراتها ، وهو يتذكر آلافا من الأيام على مدى
الأعوام الثلاثين لحياته الدبلوماسية حين تميزت الرحلة الى
مكتبه بهجة المشاهد الخارجية وبالإحساس بالانصرار المستمد
من الارتفاع من خلال الذكاء على ما قد يراجعه من عدم فهم
وتجاوب من الدوائر الرسمية فى بلاده ، وبما يتكون للمرء
من صداقات ورفقة ، فضلا عن التعاطف والولاء الذى يلقاه
فى منزله وفى مهنة يشترك فيها الرجل والزوجة فى المشكلات
والانصرارات والاحباطات بأكثر مما يشتركان فى أى مهنة
أخرى ، وأكثر من هذا فقد رأى كينان حياة الدبلوماسى
كمهنة تعليمية بأكثر من أى مهنة أخرى، وذات قيمة مضاعفة
وثرية لحياة قدر لها أن تكون حياة مؤرخ *

من الأمور اللافتة في الاهتمامات الفكرية لجورج كينان أنه رغم انغماسه في شئون السياسة الخارجية وسريسه لبلاده والعالم إلا أنه لم يتفصل عن القضايا الداخلية للمجتمع ، وانشغل بما يواجهه من جوانب قصور في عدد من المجالات ، وقد بلغ اهتمام كينان بالقضايا الداخلية الأمريكية ورؤيته لتأثيرها وتداخلها مع الوضع الدولي للولايات المتحدة إلى المدى الذي كان يقول فيه لمن يشيرون خطر التهديد السوفيتي أن المواجهة الحقيقية لهذه التهديدات - أن كان ثمة تهديد حقيقى - « هو فى التصدى لمظاهر القصور فى الحياة الأمريكية ولما يشمر به الأمريكيون من خجل امام امسهم بسبب التفرة العنصرية ومشاكل المدن الكبرى ومشكلات التعليم والبيئة » - بل ذهب كينان أبعد من هذا ، إلى اعتبار أنه فى المفاضلة بين هذه المشكلات الداخلية وبين « اطلاق مركبات الفضاء » فإنه سوف يفضل الأولى مئات المرات ، ذلك لانه فى اعتقاده أنه ما لم يتحقق التقدم بالنسبة لمشكلات الأرض فان أيا من الأتمار الصناعية لن يفيدنا ، فلكى ينتصر انسان ما فعليه أولا أن ينتصر على نفسه .

فى إطار هذا الفهم والاهتمام لقضايا المجتمع الأمريكى الداخلية لم يكن غريبا أن يعطى كينان جانباً من اهتمامه لأزمة خارجية حادة واجهت الأمة الأمريكية وبمى الأزمة الفيتنامية ، ونعنى بهذه الظاهرة أزمة الشباب الأمريكى وما أحاط بها من غضب واحتجاج وعنف ، واغتراب الشباب فى الجامعات والمعاهد الأمريكية ، وأصبحت بهذا الشكل واقعا ملموسا فى الحياة اليومية الأمريكية .

فمن خلال موقع كينان الأكاديمى وصلته بتيار الشباب ، والاحترام الذى يحمله له الشباب ، وان كانوا ظلوا يرونه جزءا من المؤسسات والجيل الذين يوجهون له ثورتهم ، وجه له أعداد منهم رسائل بثوا فيها عناصر احتجاجهم ودوافع غضبهم وثورتهم ، وقد جمع كينان نماذج من هذه الرسائل

اعتبرها تمثل تيار اليسار بين الطلاب وحركتهم وتمبر عن فلسفتهم وجمعها فى كتابه : Democracy and the Student Left الذى أصدره عام ١٩٦٨ ، وقدم لها ثم عقب عليها بمقدمات وتحليلات طويلة ناقش فيها فكرهم واتجاهاتهم .

بدأ كينان مناقشته تلك بموقف فكرى واضح وهو أنه يقر بأن الطلاب يجب أن تشغلهم وتقلقهم أمور مجتمعتهم وأن تكون لهم وجهات نظر، وأن يتساءلوا عما يجرى فى مجال الشؤون القومية ، وأن يعيروا عن وجهات نظرهم حولها . بل ذهب الى أن بعضا من الجيل القديم يشارك الطلاب مخاوفهم وعددا من دوافعهم ، بل أن احساس بعضهم العى بأخطار هذا الزمن لا يقل عن احساس الطلاب . غير أن وجهات نظر كينان بعد هذا تنطلق من اعتقاده أن واجب الجميع أن يدركوا ليس فقط إمكانية أن تكون مخطئين بل التأكد من أنه فى بعض المناسبات لا مفر أمامنا من الاعتراف بذلك ، وهو ما يجعل من الحكمة ادراك عنصر الشك الذى يحيط بما نعتقد من صحة أحكامنا ووجهات نظرنا ، ويتبه كينان الى أنه يعرف ان هذه التحفظات سوف يرجعها شباب الطلاب الى فساد فى التكامل الأخلاقى للجيل القديم الذى أجبرته الحياة على أن يقدم تنازلات دمرت هائلة ما يمكن أن يساهم به ، وأن هذا الجيل القديم قد أقدمهم جبنهم وأصبحوا سجناء التوائمات التى يصنعونها لكى يكونوا جزءا من المؤسسة الأمريكية ، وعلى هذا أصبح هذا الجيل فى نظر الطلاب غير قادر على أن ينتظر بثبات الى ضوء الحقيقة القوى الواضح . ويرى كينان فى هذا المنطلق عنصرا له ما يبرره ، فثمة نقطة فى حياة الكبار يفتقر فيها حماسهم وتبرد مثالياتهم حين تجبرهم مسؤوليتهم تجاه الآخرين على أن يمتطوا اهتماما أكبر للحياة الخاصة الدنيوية ، كما أن ثمة نقطة فى الحياة يضطرون فيها الى وضع مطالب الأبناء قبل ما تمليه عليهم مثالياتهم ، ورغم موافقة كينان على ذلك إلا أنه يعتقد أن

ضررا اكبر يحدنه هؤلاء الذين يحاولون أن يهاجموا قواعد المجتمع باسم عقائد طوباوية تهدف الى تصفيه الشر وتحقيق الخير الامثل خلال حياتهم ، على العكس من الالجابية التى تعدنها جهود متواضعة لهؤلاء الذين يحاولون ان يقيموا نظاما وعلاقات تتسم بالتهذيب فى نطاقهم الضيق ، ويضيف كينان الى هذا حقيقته حيوية لا يدركها الكثيرون وهى ان مركز الشر الرئيسى فى هذا العالم لا يكمن فقط فى المؤسسات الاجتماعية والسياسية وانما أيضا فى ضعف ونقصان الروح الانسانية ذاتها ، ولذلك يستخلص كينان أنه اذا كان يشعر بالأسف للطلاب فلأنهم يقومون ضحايا أخطاء فلسفية مدمرة •

ويناقش كينان بعض الظواهر السلبية فى حياة الطلاب وسلوكهم مثل تناول المخدرات أو الخضوع السلبي لأحاسيس حسية من نوع أو آخر • ويرى كينان أن الشباب يملكون مصادر رائعه فى داخلهم ، ولكن هذه المصادر لا يمكن اطلاقها بأساليب الهيبيز ، فبالجهد وحده وبالمعمل وتميز الانسان بشكل خلاق ، وبالارادة يصبح الانسان على وعى كامل بما يملكه من قوة خلاقة ، ويصبح قادرا على تجسيدها وان يجعلها جزءا من نفسه ويوصلها للآخرين •

اما الخطأ الثانى الذى يعبه كينان على الطلاب فهو اعتقادهم بإمكانية وصلاحيه الاباحيه الكامله Permissivness فهم فى هذا يسيئون الحكم على الطبيعة الداخليه للانسان ، فليس هناك ولا يمكن ان يكون شيء اسمه الحرية المطلقة ، فالحرية تتحدد فقط فى ضوم الالتزامات والقيود والتضحيات التى تقبلها ، وهى تتحدد فقط كمفهوم فى علاقاتها بشيء آخر والذى هو بالتحديد تقييدها ، وهذا يعنى الالتزام والواجب وضبط النفس • وينتهى كينان الى القول : قل لى أى اطار من النظام أنت قادر على أن تقبله ، وسأقول لك ماذا تعنى الحرية بالنسبة لك ، ولكن اذا كنت غير قادر على ألا تقبل أى اطار

من النظام على الإطلاق فساؤول لك كما قال دوستويفسكى لقرائه انك جدير بأن تصبح أكثر الناس عبودية ، لان الحرية تبدأ فقط بالقبول المتواضع بأن يصبح الانسان عضواً وخاضعاً للنظام الطبيعي للأشياء ، والحرية تنمو فقط بالتضال وأخذ النفس بالنظام والايمان والعقيدة .

وينقل كينان تصويره للحياة الدراسية لهؤلاء الذين يرتبطون بها فيصورها على أنها سعى نحو الحقيقة التي لا تاتي بسهولة أو بدون توضيحات أو نظام ، وعلى الذين يرتبطون بها ان يقبلوا التزاماً بأن ييثوا النظام لا الفوضى ، والنظام لا القذارة ، ونكران الذات والتجرد لا الانغماس فى اللذات ، والصحة لا التدهور الأخلاقى واضاف المعنويات .

ويتعرض كينان لبعض مظاهر الضعف فى سلوك الشباب وهو موقفهم غير البار بالآباء ، فيقول انه ليس هناك وهم أكبر من الاعتقاد بأن الانسان يستطيع أن يعامل أبويه بشكل خال من المشاعر وباحتقار ثم يتوقع أن أبنائه سوف يعاملونه يوماً بشكل مختلف ، انهم لا يدركون أن ما يفعلونه هو كسر للسلسلة الذهبية من العاطفة التي تربط الأجيال وتمعلى الاستمرار والمعنى للحياة .

وقد نعى كينان على حركة الطلاب افتقادها لأى برنامج سياسى أو اقتراحات بنامة لموامة النظام السياسى لحاجات العصر ، ويقول انه اذا كان لديهم مثل هذا البرنامج فانه وكثيرين غيره سوف يحترمونهم ، أما اذا كان ما يقدمه هؤلاء الطلاب هو العنف من أجل العنف ومحاولات لارهاب الادارة فان هذا يجعل كينان وجيله يلتفتون حول السلطة العامة للدفاع عنها حتى وان لم يكونوا على اتفاق كامل معها ، ويرون فى هذا مكانهم الصحيح وليس فى جانب الصخب والعنف وعدم التعاون .

على أن كينان مع كل تحفظاته وانتقاداته لاتجاهات حركة الطلاب لا ينتقص من قدر وحدة المشاعر التي تملكهم ، ولا يعطى لنفسه الحق في أن ينظر اليهم والى ما يملكهم من مشاعر الغضب وعدم الرضا بشكل مترفع ، ولا يتجاهل مسؤوليته ومسئولية جيله عن هذه المشاكل وكأنها « لم تكن جزءا من وجههم الكئيب المتحلل الذى يطالعا من هذه المرأة المشوهة » ، ويعتبر أن لا أحد من جيله يستطيع أن يدعى الحق في أن يدخل فى نقاش مع هؤلاء الطلاب قبل أن يعترف بمسئوليته عن شعورهم بمدى السعادة ، وقبل أن يقرن نداهم لهم باستعداده لأن يشترك معهم فى محاولة إيجاد اجابات افضل لعدد من هذه المشكلات *

ويعترف كينان بأنه يدرك تماما أنه فى الاقتراب منهم بهذا الأسلوب وبالاختلاف معهم حول عناصر من نظرتهم وسلوكهم فإن الالتزام يقع عليه فى الدرجة الاولى وليس عليهم ، ويقول ان مظاهر التطرف والاختطام الفلسفية وحب الذات والتركيز عليها وكل الفسادية فى الملبس والتصرف انما تعنى أننا نتعامل مع قوم سرفهين وربما مرضى ينصرفون سواء بشغل عاقل أو غير عاقل بدافع من الاخلاص والمثالية ومن قبيل عدم الاستعداد لقبول حياة لا معنى لها ومجتمع بلا هدف ، وهو المجتمع الذى يقر كينان أنه ليس نوع اليقظة ولا المجتمع الذى يود الكثيرون من الجيل القديم ان يخلطوه وراهم حين يتمون رسالتهم *

ولعل موقف كينان من حركة الطلاب ومن مشاعرهم وفكرهم وموقف الطلاب وتقديرهم لكينان وفكره يتمكس فى خطاب وجهه له أحد تلاميذه من الطلبة يقول فيه : « انك بالنسبة لى تجسيد للتوازن بين المثالية الواقعية الذى أود أن أحققه لنفسى فى حياتى المقبلة » *

فى عام ١٩٨٩ وبمسد قرابة عشرين عاما من نشره مذكراته السياسية أخرج جورج كينان من أوراقه - وبتصريح

وتشجيع أصدقائه - يومياته الأدبية التي سجلها على مدى أكثر من ستين عاما - وإذا كان كينان قد كتب مذكراته السياسية بهدف نشرها على نطاق واسع فإن هدفه الأساسي من تسجيله ليومياته هو أن يحفظ ذكرياته من الضياع وأن يسجل ويراقب نموه الثقافي والعاطفي ، ولقد اختار لها أن تصدر تحت عنوان «سور من حياة» Sketches from a life .

وإذا كانت مذكراته السياسية قد تضمنت حياته الدبلوماسية والأكاديمية ، فإن هذه اليوميات قد احتوت على نظراته وانطباعاته وتاملاته في المدن والاماكن والطبيعه والبشر المجتمعات التي عاش فيها لفترات طويلة بحكم عمله أو زارها لفترات قصيرة ، ويشغل يمكن معه القول أنها شملت العالم أجمع بمدنه وحضاراته الاساسية - وإذا كان هذا هو نطاق المعاني لهذه النظرات ، فإن نطاقها الزمني إنما يمتد الى قرابة ستين عاما : فالورقة الاولى التي سجل فيها انطباعاته كانت في ٢٠ اكتوبر عام ١٩٢٧ عن هامبورج ، هذا الميناء الألماني الذي شغل فيه أول منصب تولاه كسائب قنصل ، أما آخر ورقة سجلها فقد تصادف ان تكون عن زيارته لاحدى المدن الألمانية كذلك في ١٠ يونيو عام ١٩٨٨ ، وسبققتها مباشرة في يونيو عام ١٩٨٧ زيارة لما كان مسرح حياته الدبلوماسية والفكرية وهى منطقة البلطيق التي درس وتعلم فيها اللغة الروسية وتابع الشؤون الروسية في أوائل الثلاثينات ، ثم موسكو في فترات عمله فيها منذ بداية الثلاثينات حتى أوائل الخمسينات - ويسجل كينان أن قوى التغيير في هذا المدى الزمني كانت أقوى وأعمق مما شهدته أى فترة زمنية مماثلة - ويلاحظ أنه حين بدأ يسجل انطباعاته ويومياته كانت الحرب العالمية الأولى مازالت في الذاكرة الحية ، وكان ليندبرج يبهز العالم بطيرانه فوق المحيط ، وكان كتاب هذا العصر هم فيتزجيرالد وهيمينجواي وتوماس مان - أما العالم الذي سجل عنه كينان انطباعاته الأخيرة فقد تميز بأحداث ضخمة : الركود الاقتصادي في

الثلاثينيات وديكتاتوريات هتلر وستالين والحرب العالمية الثانية وتجمع سحب الحرب النووية والكارثة البيئية ، وباختصار لم يخن عالم عام ١٩٨٨ الذى انتهى فيه من كتابة انطباعاته هو عالم عام ١٩٢٧ الذى بدأ فيه تسجيل هذه الانطباعات .

غير ان الذى تغير عبر هذه الفترة الزمنية لم يكن فقط المسرح الخارجى وانما كذلك عيون من يسجل هذه الملاحظات، فنائب القنصل الصغير ذو الثلاثة والعشرين عاما الذى سجل ملاحظاته عن هامبورج عام ١٩٢٧ والذى كانت تسيطر عليه مشاعر عدم التأكد حول ذاته وتملكه الدهشة حول كل شيء لم يكن هو الأستاذ المحال الى المعاش عام ١٩٨٨ والذى وان كان يدرك أن مساهمته فى الحياة من حوله سواء بالخير أو الشر قد اكتملت الا أنه مازال يملكه بشكل عميق القلق حول مستقبل بلاده ومستقبل المدنية الغربية التى ينتمى اليها ويعتبر نفسه جزءا منها . لذلك لم يكن غريبا أن يكون آخر ما سجله كينان من انطباعات انما تدور حول هذه الشجون المتعلقة بالمستقبل لبلاده والمدنية الغربية بوجه عام . فى آخر زيارة له لألمانيا فى يونيو ١٩٨٨ - نجده يقول عن أوروبا انها « . . لم تقطع نفسها فقط من تاريخها ولكنها فقدت السيطرة على مصيرها وهى ترتجف الآن تحت هدير سياراتها وطلائراتها غير مبالية بحكمة الماضى وغير راغبة فى أن تبنى فوق القيم التى تبنتها يوما ما ، وهى فى ايمانها لمبادئها فى الانغماس فى اللذات وانسغالها بتدمير بيئتها وبناء الأسلحة التى يمكن أن تدمر يوما ما ليس فقط هذه البيئة وانما البشرية التى تعيش عليها » .

أما قلقه حول مستقبل بلاده فهو الذى جملة يخط هذه السطور الأخيرة فى يومياته - نهاية سبتمبر ١٩٨٨ - « اننى أنظر الى الولايات المتحدة فى هذه السنوات الأخيرة للقرن

المعربين على أنها أساسا بلد مأساوى وهبه الله مصادر طبيعية رائعة ولكنها تستنفدها وتفقدتها بشكل سريع ، كما وهبها نخبة من أهل الفكر والثقافة ذوى موهبة عظيمة وأصيلة ، غير أن القوى السياسية المسيطرة لا تحمل الا فهمها وتقديرها ضئيلا لهذه النخبة المثقفة التى سيكتب على صوتها الصمت أو تملو عليه أدوات الاعلام التجارية ، وربما كان محكوما عليها أن تظل بشكل نهائى - شأنها شأن النخبة الروسية المثقفة فى القرن التاسع عشر - فى موقف المتفرج العاجز أمام الاتجاه المعوق لحياة أمتها * * *

ولا يملك الدارس لحياة كينان أمام هذه السطور التى يخطها فى هذا الوقت المتأخر من عمره الا أن يتساءل عما اذا كانت هذه النظرة لشئون بلاده والحضارة الغربية تمحس واقعا حقيقيا ام انها استمرار لمزاج التشاؤم الذى سيطر على حياة كينان المكزية وكان فيما ننصوّر نتاجا لمثاليته وتوقمه للكمال وهو ما يقصر عنه الوضع البشرى أيا كانت درجات تقدمه ١٩ *

وفى عام ١٩٩٣ وقد بلغ الثامنة والثمانين من عمره اصدر كينان كتابا ضمنه خلاصة خبراته الدبلوماسية والتاريخية والفلسفية وجاء تحت عنوان دال هو « حول هضبة صخرية ، فلسفة شخصية وسياسية » « Around the Crayed Hill : A personal and Political Philosophy »

وكتبه بنفس الأسلوب الحاد اللاذع والأنيق الذى تميزت به كتاباته ، وأكد به مكانته كحكيم أمريكى لا بد أن يستمع اليه الناس وخاصة المثقفين منهم حتى ولو لم يبالوا بمد ذلك بما قاله * فى هذا الكتاب أعاد كينان النظر فى عدد قليل من أفكاره وطور بعضها ولكنه ظل متمسكا ومدافعا عن كل ما عبر عنه وبشر به حول قضايا أمريكية وعالمية

وفلسفية ، كما أكد به الصورة التي انطبعت عنه كمفكر يستسيغ الاحساس بالغربة خاصة مع الحضارة الحديثة ، وأنه رجل تعلّيدى يتشوق للأيام القديمة ويأسف للحاضر الذى يعيشه . وفى هذا الكتاب أكد رؤيته للطبيعة البشرية « كساحة لنضال لا ينتهى بين الطبيعة الدائبة لدوافع الانسان المتأصلة وبين المطالب الأكثر رقىاً وتهذيباً وصقلاً ، ورؤيته لهذه المتناقضات باعتبار أنها تدمر وحدة الانسان وتكامله وتشوش جهوده وتضع حدوداً على إمكاناته ، تضع جانباً من شخصيته فى عدام مع جانب آخر ، ونتيجة لفقدان الانسان لتوازنه تحت هذه الضغوط غالباً ما يتمايل وما يتردد عبر حياته حيث يصل أحياناً الى مرتفعات استثنائية من الانجاز الضرورى ، ولكنه لا يستطيع أن يتغلب بشكل كامل على الاختلافات فى طبيعته بين الجانبين الجسدى والروحي » .

ومن الأفكار التى راجعها كينان فى كتابه الأخير موقفه من قضية حقوق الانسان التى غالباً ما أقلقته وظل غير متأكد منها باعتبارها هدفاً من أهداف السياسة الأمريكية ، وكان دائماً غير متأكد ولا يستسيغ تظاهر الولايات المتحدة بالورع وتقديم نفسها كحكم أخلاقى فى سلوك دول ومجتمعات أخرى ، وتسمح لنفسها بذلك بأن تتدخل فى شئونها الداخلية ، حيث كان ذلك يزعج حاسته كمؤرخ ويتمارض مع نظيرته حول الادارة السليمة للسياسة الخارجية . غير أنه فى كتابه الأخير لم يعد ينكر قيمة قضية حقوق الانسان ، ووافق على أنه نتيجة الاهتمام بها أصبحت محصورة فى عدد من الحالات ، « وهذا يعنى أنه فى بعض الظروف فإن هناك قيمة أعظم فى مطالب حقوق الانسان أكثر مما كنت ميالاً لارجاعها اليها ، وفى العصر الحديث أصبحت المشكلات الداخلية للدول ذات السيادة وبشكل

منزايد مشكلات عالمية ، الأمر الذي أصبح يدعو الى أشكال
ومؤسسات جديدة للتعاون الدولي » •

هذيك كان كينان من قبل تملكه الشكوك تجاه الأمم
المتحدة مما جعله يامل عند التفكير في انتابها عام ١٩٤٥
ان يتعلى الرئيس روزفلت عن المصرة باحملها مهاجما
« التناول القانوني والاخلاقي للعلاقات الدولي » اما الان
هان الأمم المتحدة اصبحت تبدو في نظره « الرمز الوحيد
لوحدة المصير التي تربط فروع العائلة البشرية ، وسوف
تدون خسارة ضخمة وخسارة للبشرية بوجه عام اذا ما اهلنا
أو تخلينا عن هذا الرمز » كما اصبح يرى في الأمم المتحدة
وسيلة للتحكم في الدور الأمريكي بعد أن زادت نهاية الحرب
الباردة من بروز الأمم المتحدة في التعامل مع مشكلات
العالم ، غير أن كينان لم ير في تطور دور الأمم المتحدة هذا
سببا في ان تتخلى الولايات المتحدة عن مسئولياتها في
التعامل مع المشكلات المطروحة ، وانما جعل التعامل مع هذه
المشكلات من خلال الأمم المتحدة والأجهزة المتعددة الأطراف
بدلا من علاجها بشكل منفرد ، غير أنه رأى أن ذلك يتطلب
نوعا معينا من القادة المستمدين للعمل مع الآخرين في
بناء التعاون الدولي ، واعتبر أن هذا هو نوع القيادة التي
يجب أن تقدمها الولايات المتحدة للآخرين ولنفسها في
المقام الأول خاصة مع مقدم القرن الواحد والعشرين الذي
يبدو متغما بالأخطار وعدم اليقين •

وحينما كان كينان شابا فترة ما بين الحربين وما لازمها
من فقدان الوهم حول الديمقراطية فقد تبني ميلا نحو
الحكم القائم على السلطة المطلقة الرشيدة ، الا أنه طور فكره
بعد ذلك وأصبح يشك في أن الحكم السلطوى سيقط دائما
يتصرف برشد ، وأصبح يدرك مزايا للحكم القائم على توازن
القوى والمؤسسات ، الا أن هذا لم يجعله يتخلى عن اعتقاده
القديم بأن الديمقراطية وفقا للخطوط الأمريكية أو الغربية

ليست هي بالضرورة المصير النهائي للبشرية ، بل ذهب الى القول أنه ان لم تكن النظم غير الديمقراطية مهددة للمصالح الحيوية الأمريكية فانها يجب ألا تقلقنا « فلسنا قيمين عليهم ولن تكون » . فى هذا السياق يجدد كينان دعوته القديمة للسياسة الخارجية الأمريكية بأن تكون أقل طموحا وبعدا عن الاضواء ، وأن تمتنع عن التدخل فى الشئون الداخلية للأمم الأخرى ، وأن تدرك أن واجبها الأول هو المصلحة الوطنية ، الا أنها لا يجب أن تنسى أبدا أن أعظم مصلحة يمكن أن تقدمها أمريكا لنفسها وللعالم هي أن تقيم وتنظم بيتها ، وأن تجعل من الحضارة الأمريكية نموذجا للدماثة والانسانية والصحة الاجتماعية وكل ما يمكن أن يستمد منه الآخرون ما يكون مفيدا لهم .

فى الجزء الثانى من كتابه يوجه كينان انتباهه الى حالة المجتمع الأمريكى ، وهنا يواصل الموضوعات التى سبق وعبر عنها ، حيث - يرصد ما يتصور أنه جريمة من الاتجاهات الحديثة ومن التكنولوجيا غير المكبوحة ومن المؤسسات التى لا قيود عليها ومن عبادة الاستهلاك وانتشار التوسع فى المدن البروقراطية والاعجاب الزائد بكل ما هو فخم - وهو ينظر حوله ليرى « تدهورا فى البيئة وتدهورا فى المستويات التعليمية وازديادا فى الجريمة والمخدرات والظروف المرعبة لاحياء الأقليات واليأس والشك والسخرية والارتباك وخاصة بين الشباب ، الأمر الذى أدى بعدد من المراقبين الى أن يصفوا هذا المجتمع (وليس بدون حق فيما اعتقد) كمجتمع مريض » .

وفى وصف هذه الظروف الاجتماعية يخصص كينان فصلا خاصا لما يسميه « الادمان » ويعنى به الافتتان بالسيارة والتليفون والاعلانات وكل ما أدانه من قبل ، ولكنه يتحدث عنه الآن بقدر من البلاغة الموجهة ، ويتحدث عن السيارة وعن طلابها غير الاجتماعى وفاقدها وتلويثها للبيئة

وباعتبارها هدية للجريمة ودعوة لانحراف الأحداث ، ومثل السيارة فان التليفزيون عنده « يخفى سيطرته تحت وعد التحرير » بينما هو في الواقع يدعم السلبية ويمارس سلطة شبيهة بسلطة المخدرات وتأثيرا ونفوذا غريبا أشبه بتأثير المنوم على كبار السن ويقسد الشباب . هذا الوضع يؤكد حنيننا الى الماضي حيث يعمش الناس في الريف ويتجولون في الغابات ويقومون الكتب ويسافرون بالقطارات .

ويقود هذا كينان وهو يتأمل مشكلات الواقع الاجتماعية الى الاعتقاد بأن فشل الحكومة في التعامل مع مجموعة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والصحية والمالية والتكنولوجية والثقافية أصبحت خارج نطاق السيطرة وبشكل خطير . ان كينان يلاحظ أن المتاعب لها سمة واحدة مشتركة انها متاعب ذات أمد طويل أكثر منها ذات أجل قصير ، والديمقراطية الحديثة ليست مهياة بشكل كفء للتعامل مع هذه المشكلات الطويلة الأجل لأن الناخبين يطالبون بمزايا قصيرة الأجل بل وعاجلة .

هذه المعضلة تقود كينان الى التأكيد على دور الصفوة في المجتمع والاعتقاد بأن لا شيء يمكن ان يتحقق بطريقة فعالة بدون قيادة مستمدة ومهياة للهجوم على المشكلات الطويلة الأجل ، وهنا يبدو كينان غير نادم على تأكيده دائما على دور الصفوة ، مؤكدا أنه اذا ما كان لنا أى أمل في ان ننزع أنفسنا من الارتباك والحرية الاجتماعية الكبيرة لهذا العصر فاننا يجب أن نمطى أهمية للصياغة الروحية والأخلاقية والثقافية للفرد بهدف تحسين صفاته في القيادة ، فاذا كان للبشرية أن يكون لها مستقبل يحمله أى أمل فليس هناك مهرب من تأكيد مسئولية الروح البشرية . . . »

غير أن كينان في تأكيده على دور الصفوة يحرص على التمييز بين الصفوة القائمة على الضمير وتلك القائمة

والمستمدة من امتيازات خاصة ، وهو الفارق الذى نبه اليه
توماس جيفرسون بين « الارستوقراطية الطبيعية Natural
Aristocracy القائمة على الفضيلة والمواهب ، وبين
الارستوقراطية المصطنعة Artificial Aristocracy القائمة على
الثروة والمواد » مضيفا أن الارستوقراطية الطبيعية هى اثنى
هدية تقدمها الطبيعة لحكومة أو لمجتمع .

واتساقا مع هذا الفكر ومع ما نادى به كينان منذ زمن
طويل من النظر فى الطرق التى يمكن للصفوة أن يكون لها
دور مؤسس فى القرارات الوطنية كان اقتراحه منذ عشرين
عاما لتكوين مجمع من الشخصيات الوطنية البارزة يمكن ان
يختار من بينهم أعضاء مجلس الشيوخ ، الا أنه فى كتابه
الأخير يطور هذا التفكير فيقتراح انشاء مجلس دولة
Council of State كجهاز استشارى من تسعة أشخاص ليس
لأى منهم ارتباط بحزب سياسى ، ويختار هذا الجهاز من
مجمع من ١٠٠ فرد ترشح نصفهم لجان حكومية والنصف
الأخر لجان قومية متميزة ، ويكلف المجلس ببحث المشكلات
القومية الطويلة الأجل . ويرى كينان فى هذا المجلس
« صوت حكيم غير متحيز ناقد ولكنه بناء لا ينتقص من
سلطان المؤسسة الحاكمة ولكنه يمثل عاليا بما فيه الكفاية
لكى يسمع ويملو فوق تناقضات الطموحات السياسية » ويرى
كينان أن مثل هذا المجلس « لئ يكون فقط قيادا على رئيس
سيىء ولكنه عون وراحة لرئيس جيد » ويوجه اهتمامه
للمشكلات الطويلة الأجل ويزوده ببعض الوسائل للتخطيط
الطويل الأجل من خلال مستشارين منزهين .

ويعاود كينان فى كلماته الأخيرة التأكيد على موضوعين
عالمهم باستمرار وهو يتناول المقدرات الاجتماعية
والاقتصادية للمجتمع الأمريكى الموضوع الأول هو مكان
المشروع الحر فى الحياة الاقتصادية والثانى هو التكنولوجيا
ودورها فى حياة المجتمع .

ويكتسب حديث كينان الأخير عن المشروع الحر أهمية في ضوء ما يقوله بأن التجربة السوفيتية القائمة على الحكم والسيطرة الحكومية قد انتهت بكارثة كاملة ، وأنه في ضوء هذا ثمة اتجاه وخاصة في الولايات المتحدة لنبذ فكرة أى نوع من الاشراف الحكومي على العملية الاقتصادية بروح من : « دع المشروع الحر يحملنا الى حيث يريد فسوف يعفق الخير لنا جميعا » ، وينبه كينان حول هذا المفهوم الى اعتبارين الأول هو أن هناك حدودا واضحة جانب منها ذو طبيعة حكومية ، وجانب ذو طبيعة مالية واجتماعية والتي يجب على المشروع الحر أن يذهب أبعد منها وقد أصبح هذا واضحا في عدد من الظواهر المعاصرة مثل الكوارث التي علت بالمدخرات والآثار البيئية الضارة للمشروع الحر غير المقيد . . ولهذا ثمة حاجة دائما الى احداث التوازن بين متطلبات المشروع الحر وبين متطلبات المجتمع ، وهنا يصبح من مسؤولية السلطة العامة أن تضع الحدود وتنبه المشروع الحر الى ما هو مسموح وما هو غير مسموح ، وهو أمر لا يتعلق فقط بهذا الجيل وانما أيضا بالأجيال القادمة . ويعقب كينان في النهاية أنه « في نطق هذه الحدود بارك الله في المشروع الحر وكتب له الازدهار » .

أما كلمات كينان الأخيرة في موضوع العلم والتكنولوجيا فهو يبدوها بتصور ما سيقوله منتقدوه حيث يقولون: « هذا حسن جدا وقد يكون هذا مفيدا جدا لبداية هذا القرن ولكن ليس لنهايته » . وأين كنت خلال هذه الأعوام الثمانية والثمانين من حياتك ؟ وهل لم تدرك أنك تعيش في عصر من التقدم المتفجر للعلم والتكنولوجيا وهو التقدم الذي يفير فهمنا للطبيعة ولأنفسنا وللظروف البيئية لحياتنا ؟ وهل لا ترى أن معظم هذه التغيرات تجعل معظم ما نتحدث عنه غير ذي موضوع بالنسبة للمشكلات التي تبدأ الآن في مواجهتها ، وأن ما هو مطلوب منك ليس مجموعة وجهات نظر والتي ربما تناسب بشكل جيد ظروف القرن الثامن

وأن المطلوب هو تلك التي تأخذ في الاعتبار التقدم العلمي الضخم لهذا العصر والتجديدات التكنولوجية التي آتاحتها ، وآين في وجهة نظرك الضيقة مكان التغيرات التورية التي أدخلها الحاسب الآلي ؟ وألم تلغ هذه التغيرات صلاحية قدر كبير مما نقوله ؟ ولا تجعل منه أكثر من أهمية تاريخية لأعمال المفكرين الأوائل الذين تمجّب بهم ؟ » -

ويمعّب كينان بأن كل هذه الأسئلة مشروعة ، ويسجل اجابته عليها بتقديم اعجابه الشديد بتقدم العلم الحديث ، وأنه قد شاهد باحترام كبير - وان كان من بعد تمافى - عمل العلماء الذين كانوا يحيطون به خلال عمله في معهد الدراسات المتقدمة ، وأنه قادر على أن يدرك عظمة ما كانوا يقومون به ، وان اكتشفاهم للأسرار التي تحيط بهم لم يكن مشروعا فحسب وانما كان اهتماما بديلا وانشفالا بفضايا الفكر البشرى - ويواصل كينان تمقيبه على ملاحظات متقديه بأنه مع هذا يود أن يوضح « أن احترامه للجهود العلمية العظيمة وحماسه لاستمرارها لا يستند الى اعتقاد أنها حققت أو أنها تمد بأن تحقق في المستقبل أى تغيرات فى الحياة البشرية يمكن أن تؤثر فى طرق النظر الى الاشياء والقضايا والاهتمامات - والقلق الذى عكسته كتاباتى كان بالنسبة لى كما هو الشأن مع مفكر مثل : الكسندر يوب وكثيرين أن الدراسة الصحيحة والسليمة للبشرية كانت دائما هى دراسة الانسان ، وحتى يظهر لى أن التقدم العلمى لهذا العصر قد خفف عن الانسان وخلصه من بعض التحديات الأخلاقية والمعضلات التى تضغط عليه فانه يجب أن أستمّر فى اتباع ما يعتبره البعض ولما بالتأمل ، وردود أفعال رجعية » - ويواصل كينان توضيح موقفه بالقول : « انه فيما يتعلق بالتغير التكنولوجى فهذا شئ آخر ، فهو حقا تغير ثورى فى سرعة انجازاته فى عدة مجالات، حيث أتاح وأنتج عددا من التغيرات ذات الأهمية فى بيئتنا الاجتماعية والشخصية ، وهى التغيرات التى ليس لدينا خيار من أخذها

فى الاعتبار • أما كون هذه التفرقات مفيدة أو أنها أغنت أو أنها قد أحدثت أى تحسن حقيقى فى الوضع الإنسانى كل هذا مازال بالنسبة لى أمثلة تنتظر الاجابة ، واجابنى عنها فى معظمها مازال يحيطها الشك • فعين تكون تاثيرات التجديدات التكنولوجية فقط للاسراع بالعملية المتعددة الوجوه للحياة والتي من الواضح أنها بالفعل تتقدم وبسرعة أكبر بالنسبة لحياة وراحة هؤلاء الذين يعيشونها ، وحيث يكون هدف التكنولوجيا الجديدة يبدو فقط فى استبدال العمل البشرى وبشكل كثيف وبسرعة بممل الآلة أو الجهاز الالكترونى ، وفى مجتمع محمل بالفعل بمبدء البطالة هنا يقول كينان : « فان اهتمامى بهذه التجديدات التكنولوجية لن يكون أكثر من اهتمام عارض ، وحيث تكون هذه هى الحدود فأنى لا ارى أى تحسن هام لظروف الحياة البشرية أو نوعية الخائنات البشرية » •

واتساقا مع طبيعته المتأملة والفلسفية التى لازمتها طوال حياته لا يشاء جورج كينان أن ينهى كلماته الاخيرة دون أن ينامل فى عدد من صواهر الوجود البشرى فى عصر الماسة الخامن فى هذا الوجود ، وفيما يواجه الانسان من محن تفسرها المصدفة أكثر مما تفسرها العسالة والتي لا نعرف معها من سيتمرض لها ومن سيهرب منها • ومى ظاهرة العمر المتقدم وما يصاحبها من اضمحلال لقوى الانسان وقدراته ، ومهانة أن يبدو مجرد كاريكاتير لعمره المبكر ، وظاهرة فقدان الانسان لمن يحب وبقائه وحده فى حرمان وفقر وضعف فى القدرة على الاستجابة لتعدييات الحياة • هذه الظواهر البشرية والوجودية يراها كينان جديرة بالاعتبار وضرورية اذا ما أردنا أن نتأمل المازق البشرى ، ويراها فى جوهرها شاهدا على الحدود التراجيدية على توقعات الانسان فى السعادة فى حياته ، كما يراها شاهدا على شئ يبدو أن ماركس وغيره من المادييين لم يدركوه ، وهو أن قدرا من الماسة كامن فى صميم وجود

الفرد البشرى ، وأنه لا يمكن التغلب عليها بأى تدخل جذرى
فى العلاقات الاقتصادية والاجتماعية للأفراد * *

ولكن كيف يتوافق الانسان مع هذا الوضع البشرى
المؤلم ؟ يقول كينان انه اذا كان عليه أن يقدم اجابة شخصية
مختصرة على هذا السؤال فان ذلك انما يتحقق فقط عن
طريق الايمان *

الفصل الرابع

جورج كينان ونشأته

كان من الطبيعي والمتوقع أن تتعرض حياة جورج كينان وأدواره الدبلوماسية وفكره سواء خلال حياته الأكاديمية أو الدبلوماسية للنقد والتقييم والآراء المتعارضة ، فقد كتب وعالج كل مشكلة في السياسة الخارجية واجهت الولايات المتحدة منذ فرانكلين روزفلت حتى رونالد ريغان ، ولم تكن أفكاره وما اقترحه يتصل فحسب بتنظيم علاقة بلاده مع القوة الكبرى المنافسة وهي الاتحاد السوفيتي ، بل امتد الى علاقاتها مع أوروبا الغربية والشرق الأقصى ، والعالم الثالث ، فضلا عن نظراته في المجتمع الأمريكي ومؤسساته ، ونظراته الفلسفية في الشؤون البشرية .

ففي الوقت الذي اعتبره اليسار - خاصة خلال الخمسينيات - « مهندس الحرب الباردة ، والخادم الأيمن للامبريالية الأمريكية » ، انتقده اليمين الأمريكي من أمثال فوستر دالاس ووليم باكلي ، واعتبره « مهندس انوهم » . كما ازداد هذا النقد حين حاول أن ييث الاستقرار في العلاقة الأمريكية السوفيتية وينتقد سياسات التسلح الأمريكية ، حيث اعتبروا هذا مهادنة منه للشيوعية والنظام السوفيتي .

كذلك أطلقت عليه أحكام تراوحت ما بين وصفه « بالأسطورة الدبلوماسية » وبأنه « رجل انطباعي وشاعر منقطع الصلة بالشؤون الأرضية » ، في نفس الوقت الذي

يتلقى فيه تقدير المؤسسات الفكرية والأدبية والصحفية ، فقد منحته جامعات أكسفورد وهارفارد وبرنستون وبيبل درجة الدكتوراه الفخرية ، ونالت معظم كتبه جوائز محترمة مثل جائزة بوليتزر وجائزة الكتاب القومى ، وأنشأ مركز ويدرو ويلسون معها باسمه للدراسات الروسية العليا ، تحية لمجهوده فى هذا المجال • وفى النطاق الأوروبى تلقت جائزة ألبرت أينشتاين للسلام ، وجائزة رابطة ناشرى الكتب الألمانية باعتباره معارضا قويا لسباق التسلح النووى •

وقد كان من المفارقات أن ينال جورج كينان التقدير والثناء من المؤسسة التى طالما انتقد دورها فى السياسة الخارجية الأمريكية وهى الكونجرس الأمريكى ، وفى إحدى جلسات الاستماع التى عقدها المجلس فى أبريل عام ١٩٨٩ قدمه أحد الشيوخ البارزين بقوله : « أود أن أعرب لك عن التقدير والاعجاب بالمجهودات التى بذلتها طوال حياتك لبث العقل والقوة - التى تأتى من الفعل فى السياسة الخارجية الأمريكية •• ان آراءك ووجهات نظرك لم يستمع إليها دائما خلال الستين عاما الماضية ، ولكنك عبرت عنها بوضوح وبلاغة وبمنظرة شاملة للتاريخ وبالوضوح الذى كان القليلون قادرين على التعبير به ، وقد نقلت هذا بغض النظر عما هو شائع وما كان يسود من أفكار سياسية • واعتقد أنك بذلك قدمت مساهمة ضخمة لأمتك ، وإنى أحييك على هذا وعلى أنك كرست نفسك للخدمة العامة ومازلت تواصلها » •

كذلك كان من المفارقات أن يتلقى كينان فى آخر أيامه التقدير من الدولة التى اعتبرته يوما شخصا غير مرغوب فيه ، وفى زيارة للزعيم السوفيتى جورباتشوف لواشنطن عام ١٩٨٧ خاطبه جورباتشوف بقوله : « •• اننا فى بلادنا نعتقد أن الانسان يمكن أن يكون صديقا لبلد آخر ولكنه يظل فى نفس الوقت مواطنا مخلصا وعلى ولاء لبلده ، وهذه هى النظرة التى ننظر بها اليك » •

غير أنه رغم هذه المكانة الفكرية التي يلفها كينان ،
الا أن عددا من نقاده ظلوا يسجلون عليه عددا من المتناقضات
التي رأوها في فكره ومواقفه بالإضافة الى وجهات نظره
وتقييمه للاتحاد السوفيتي ، وهو ما سوف نمود اليه فيما
بعد ، فقد لاحظوا أنه في الوقت الذي كان فيه من أكبر
خصوم النظم الشمولية ، كان ينتقد النظام الديمقراطي
الأمريكي ومؤسساته ، بل ويدعو الى أسلوب للحكم أقرب الى
النظام الشمولي والى حكومة من المثقفين ومن أقلية حاكمة
تمثل الشعب بدلا من تمثيلها لمجموعات السياسيين وجماعات
الضغط .

كما وجد نقاد كينان - من حق في رأينا - تناقضا غير
مفهوم بين عمق كينان وفكره وجوهره الانساني وبين
مواقفه من العالم الثالث وقضاياه التي خلت من أي حساسية
أو قلق تجاه المظلومين أو تقدير موضوعي للتاريخ الفعلي
لبلدان العالم الثالث وما تعرضوا له من استنزاف خلال
المهدد الاستعماري أو من ناحية آثار وقوانين الاقتصاد
السياسي الدولي المعاصر ، ومقارنته بين الظروف التي
واجهها أجداده والتي تمثل اطارا مختلفا من المقبات
والدوافع للتغلب على الفقر السائد . كما يأخذ هؤلاء
النقاد عليه أنه أغفل أن هيكل الاقتصاد الدولي بالشكل الذي
تطور اليه له علاقة كبيرة بفقر بلدان العالم الثالث ، وأنه
ما لم يتغير هذا الهيكل فإن التنمية الشاملة في هذه البلدان
ستظل أكثر صعوبة ، ويذهب نقاد كينان الى أنه لا يريد أن
يعترف بذلك لأن هدفه الرئيسي هو اعفاء الضمير الأمريكي
والغربي من ذنب ما وصلت اليه ظروف العالم الثالث . أما
ما يتفق معه نقاده في تناوله لقضايا العالم الثالث - ونحن
معهم - فهو « أن التنمية والتقدم تتحقق بدرجة كبيرة جدا
من الداخل وليس من الخارج » .

تبقى بعض الملاحظات التي وجهها النقاد على الاطار
الفكري والفلسفي لفكر كينان وتطوره حيث يرون أن

تطور فكره انما ترجع جذوره الى ثنائية من الواضح أنها تتحكم فيه ولا يستطيع أن يتحرر منها ، وهى ثنائية تبدو فى جمعه بين المبشر والمكياقيلى ، والدبلوماسى والمثقف ، والرجل الرسمى الذى لا يستطيع أن يتوافق مع حكومته والمخافى الذى يتشوق الى زمن مضى ، والليبرالى التقدمى ، والرجل العاطفى البالغ التعقيد ، والانعزالي ، كل هذا فى رأى نقاده يصف ويفسر هذه الثنائية وما بدا من عدم التوازن فى احكامه السياسية .

ويقدم النقاد مزيدا من التفسير لما يرونه من تناقضات فى فكر كينان خاصة فى كتابه « سحابات الخطر » بأنها تتصل بما وصفه كينان نفسه فى مذكراته لمعاناته فى كل حياته من صراعات لم يتمكن من حلها ، صراعات حول نفسه وعمله وأهدافه وعلاقته بالامة الأمريكية وثقافتها ، ويعتبرون أنه حاول أن يخفى هذه الصراعات ، والتناقضات باحساسه الشديد بخطورة معتقداته ، وبالجذبة البالغة وأقواله الباهوية وأحكامه التى يصدرها على الغير وتصرفاته وكأنه يظن نفسه قاضيا أكثر منه طرفا فى نزاع .

وباعتبار أن جورج كينان قد كرس معظم حياته الأكاديمية والدبلوماسية لدراسة الشئون الروسية والسوفيتية ، وإن اسمه قد ارتبط بسياسة الاحتواء واعتبر أنه منظرها ، وأنه من ثم قد قدم الاطار الفكرى والنظري لسياسة الحرب الباردة ، كما قد ظل لقراءة نصف قرن ينصح بلاده بكيفية التعامل مع الاتحاد السوفيتى ونظامه ، ويحلل وينتقد سياسات الادارات الأمريكية المتعاقبة فى ادارتها للعلاقات الأمريكية السوفيتية خاصة فى تركيزها على البعد المسكرى فى سباق التسليح خاصة فى العصر النووى ، كان من الطبعى ازام كل ذلك ، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتى كدولة وكنظام وكقوة كبرى منافسة ومن ثم انتهاء سياسات الحرب الباردة ومنافساتها ، أن تستعاد

وتقييم أفكار كينان ومدى اتساقها مع ما انتهت اليه التجربة
السوفيتية *

في هذا الشأن لابد من الرجوع الى نقطة البداية ،
ونعني بها مقالته التي كتبها عام ١٩٤٧ عن « مصادر السلوك
السوفييتي » والتي اودعها نظراته في النظام السوفيتي
وديميه التعامل معه ورويته لمستقبله * في هذا المقال - كما
سبق ان اشرنا - دعا كينان الى « الاحتواء الطويل الاجل »
الصبور ولكن الحازم والنشيط للاتجاهات التوسعية السوفيتية ،
والى « دعم الاتجاهات التي يجب بعد ذلك ان تجد مخرجها
سواء في انهيار او التطويع التدريجي و Gradual Mellowing
للسلطة السوفيتية » * وقد اعترف كينان بالصعاب
الضامضة لهذه المقالة والتي تدفع الى اساءة التفسير ،
الا انه ظل يؤكد انه لم يكن يقصد اللجوء او التركيز على
الصيغ العسكرية التي لجأت اليها ادارة ترومان وصبغت
بها اتجاه الحرب الباردة ، ولكنه كان يبني تصوره على
اساس اعتقاده بالضعف الكامن في النظام الشمولي وانه غير
مستقر في جوهره وانه اذا ما دب الضعف في الطبقة العليا
التي تتحكم فيه فسرعان ما تدب الفوضى في كيانه كله ،
ومن ثم كرر كينان في تفسيره لمقالته انه اذا اتبع الغرب
سياسة ناجعة صبوراً من الاحتواء الذي يعتمد على العناصر
الاقتصادية والسياسية والثقافية ويقدم به الغرب نموذجاً
ناجحاً فان شيئاً من اثنين سوف يحدث : اما أن يجبر الاتحاد
السوفيتي على التفاوض من مركز الضعف حول المشكلات
الرئيسية ، أو أن يتحقق الهدف النهائي وهو انهيار النظام
من الداخل من خلال ضعفه الداخلي *

فاذا ما أخذنا بتفسير كينان هذا لما قصده بالفعل
وهو ما يتسق في الواقع مع كل شروحه وتفسيراته ومواقفه
منذ صدور مقالته - فان نبوءته بهذا الشكل تكون قد تحققت
وتشخيصه وفهمه للنظام السوفيتي كان سليماً ودقيقاً *

غير أن نقاد كينان يواجهونه بما كان يدعو له من مهادنة الاتحاد السوفيتي ونقده انشديد لسياسات النسلح الامريكية وخاصة في صورها المتطرفة مثل برنامج الدفاع الاستراتيجي SDI وهي السياسات التي يعتبرون أنها كانت العامل الحاسم في افناع القيادة السوفيتية بالعدول عن المتطهات التقليديه في السياسة الخارجية السوفيتية بل واعادة النظر في أركان النظرية السوفيتية وهي عمليا التي انتهت الحرب الباردة وبدون نمن تقريبا . غير أن كينان يدافع عن مواقفه ويرد على منتقديه بقوله : « بل قد دفعنا الكثير، دفعنا انفاقا عسكريا غير ضروري لمدة ٤٠ عاما ، ودفعنا من خلال رعاية الأسلحة النووية الى الحد الذي أصبحت فيه الترسانات النووية غير مجدية ، ومازالت حتى اليوم خطرا على بيئة العالم . كما قد دفعنا ثمنا في صورة تحكم الشيوعية في شرق أوربا والأضرار التي لحقتها بالبنية الحضارية لبلدانها . لقد دفعنا كل هذا لأننا كنا خجولين جدا من أن نتفاوض » .

كذلك دفعت التحولات السياسية والاجتماعية التي أتت بها جورباتشوف الى الاتحاد السوفيتي واتجاه النظام الى الديمقراطية واقتصاديات السوق ، تلك التطورات التي تدعمت أكثر بمد انهيار النظام السوفيتي ، دفعت هذه التطورات بنقاد كينان الى تذكره بما كان يردده دائما ويذكر به من يتوقعون ويعملون على أحداث تغييرات في النظام السوفيتي من تقديره بمد احتمال أن يتبنى أى نظام يقوم في الاتحاد السوفيتي النموذج الليبرالي الغربي سواء في نظامه الاقتصادي أو السياسي ، واستناده في هذا الى أن الروس لا يعرفون هذا النموذج وليست لهم تقاليد أو أصول له في تربيتهم أو خبرتهم التاريخية .

وقد رد كينان على هذه الملاحظات وبشكل يتسق مع مواقفه السابقة وتوقعاته . ففي شهادة له أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي في أبريل عام ١٩٨٩

تحدث كينان حول العملية الديمقراطية التي بدأها جورباتشوف ، وكذلك عن الصيغة المقبلة للاقتصاد السوفيتي وفقا لخطوط تفكيره السابقة . فعول مستقبل الديمقراطية في الاتحاد السوفيتي قال كينان انه لا يعتقد في امكان فهم الجماهير الروسية في الوقت الحاضر لمبادئ الديمقراطية ، فقد تكره الجماهير المعاملة السيئة للحكومات وتتطلع الى مبادئ حقوق الانسان ، الا أنه حين يصل الأمر الى ممارسة النظام الديمقراطي بما يتميز به من قيود وتوازنات Checks and balances ، وكذلك من حلول وسط compromises التي يجب أن تتوصل لها القوى السياسية المتنافسة ديمقراطيا ، فان وقتا طويلا سوف يمر قبل أن يصل الشعب الروسى الى مثل هذه الصيغة .

أما عن طبيعة النظام الاقتصادى الذى يمكن ان يستقر فى روسيا فقد أعاد كينان ما كان يردده عن عدم اتفاقه مع توقع أن يتبنى الاتحاد السوفيتي الاقتصاد القائم على المشروع الفردى كما هو معروف فى الولايات المتحدة . أما النموذج الذى يتوقع كينان أن يتطور فى روسيا فهو النموذج الشبيه بما حد فى الدول الاسكندنافية التى حكمتها فى البداية الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية وهى أساس أحزاب اشتراكية ثم تطورت الى الشكل والمستوى الذى استطاعت فيه اقتصادياتها أن تواجه متطلبات المنافسة الدولية .

بعد هذا التقييم والنظر النقدي فى أفكار جورج كينان وتطوره الفكرى ، يحق أن نشارك من يتساملون ان كان يمكن القول ان جورج كينان كانت له نظرية Theory متماسكة تحكم وتوجه فكره . الواقع أن الأهم من هذا السؤال هو البحث عن جوهر ما دافع عنه كينان ، وسوف نستخلص من هذا البحث أنه اذا كان لكينان نظرية أو مذهب فهو باختصار المذهب الذى كان مزيجا من الواقعية التى تمتزج من الأخرى بمبادئ سياسة القوة Power Politics

وعناصر السلطة المحافظة التي تفتزج أحيانا بالرومانسية والاحساس بالواجب القائم على المفاهيم الدينية والأخلاقية .
وإذا ما حاولنا أن نتتبع أصول الواقعية فى فلسفة كينان فسنجد انها تستمد جذورها من نظرة للحياة الانسانية تؤكد على عنصر المأساة والسقوط ، فقد كان كينان على وعى دائم بعدم استمرارية التجربة الانسانية وتفرضها للانقطاع بل والزوال ، وبظاهرة الظلم المرتبطة بالمصادفة ، وتأثر بما أخذه عن فرويد من الصراع الذى لا ينتهى والذى شهدته المجتمعات للنظام وضبط النفس ، كما لم يشك كينان فى تحيز المعرفة والفهم الانسانى وفى الفساد الكامن فى الشخصية الانسانية . وباعتبار أنه شاهد عن كثب الآثار السيئة التى يحدثها فى الفرد الفقر والحروب وعمليات التطهير ، فقد وصل الى نتائج كئيبة حول قدرة الناس على العنف والقسوة ، وكان يقول : « ان أسلوب المذمور ، والعنف المتسم بالفوضى لصيق دائما بطبيعة الانسان بأكثر مما يفترض بمضنا » .

بهذه النظرة واعتقاده فى عدم كمال الحياة البشرية ، فقد كثر كينان أن الحكومات والمواطنين سوف يخدمها أكثر أن تكون متحفظة بشكل واسع ومدركة بل ومتواضعة فى توقعاتها ومشروعاتها وطموحاتها . لهذا كان كينان على شك عميق فى البرامج والمشروعات الكبرى مثل برنامج الدفاع الاستراتيجى والصيغ الفلسفية والاجتماعية الكبرى التى ترى انها قادرة على تحقيق وضمان السعادة والأمن للإنسان أو عنصر المأساة فى الحياة ، أو التغلب على التيارات غير العقلانية التى تتدفق عبر الأمم والأجناس . ازاء هذا الواقع البشرى ليس هناك أمام الأمم والمجتمعات والأفراد إلا أن تواجهه بالاعتدال والتسامح والتواضع .

وشأن معظم المحافظين التقليديين ، كان كينان يدرك رهافة وهشاشة الحضارات والمدنيات وعدم تحملها للصدمات

العنيفة التى تسببها الحروب الحديثة أو التفجرات السريعة والمفاجئة ، ولهذا فقد دعا دائما الى دبلوماسية وجهد دولى قوى لاجهاض العنف على نطاق العالم ، والى أن تجيء التفجرات الاجتماعية والتكنولوجية بشكل تدريجى حذر ، ولذلك - شأنه شأن برك - حذر كينان باستمرار من أن التفجر المفاجئ يمكنه أن يفتت النسيج الحى للمجتمع ويسبب أضرارا أوسع مما يتخيله أحد . ولعل التفجرات المذرية التى حاولها جورباتشوف فى النظام السوفيتى ، وما انتهت اليه من تفكك البناء السوفيتى كله ، دليل على هذا التصور ،

قائمة بمؤلفات جورج كينان ،

ومراجع الدراسة

اولا : مؤلفات جورج كينان

١ - الكتب

American Diplomacy : 1900-1950. New York, New American Library, 1951. (Includes reprints of both the X-Article and « America and the Russian Future » from Foreign Affairs.)

Realities of American Foreign Policy. (The Stafford Little Lecture Series). Princeton University Press, 1954, the Norton edition (New York, 1966) has a new foreword by the author.

Soviet — American Relations, 1917-1920 (Volume One) : Russia Leaves the War. Princeton, Princeton University Press, 1956.

Russia, the Atom and the West. (The BBC Reith Lectures). New York, Harper & Brothers Publishers, 1957.

Soviet — American Relations, 1917-1920 (Volume Two) : The Decision Intervene. Princeton, Princeton University Press, 1958.

Russia and the West under Lenin and Stalin. (The Chichele Lectures Oxford). Boston, Little, Brown and Co ; 1960.

Soviet Foreign Policy, 1917-1941. Princeton, D. Van Nostrand Company, Inc ; 1960.

On Dealing With the Communist World. (The Ellhu Root Lectures). New York, Harper & Row, 1964.

Memoirs, 1925, — 1950 (Volume One). Boston, Little, Brown and Co ; 1967.

Democracy and the Student Left. Boston, Little, Brown and Co. 1968.

From Prague after Munich : Diplomatic Papers 1938-1940.
Princeton, Princeton University Press, 1968.

The Marquis de Custine and his RUSSIA IN 1839. Princeton,
Princeton University Press, 1971.

Memoirs, 1950-1963 (Volume Two). Boston, Little, Brown and
Co ; 1972.

The Cloud of Danger : Current realities of American Foreign
Policy. Boston, Little, Brown and Co ; 1977.

The Decline of Bismarck's European Order (Volume One of
Franco-Russian Relations, 1875-1890). Princeton, Princeton
University Press, 1979.

The Nuclear Delusion : Soviet-American Relations in the
Atomic Age. New York, Pantheon, 1982.

« Sketches From A Life » Pantheon New York, 1989.

« Around the Craged Hill : A Personal and Political Philosophy » W. W. Norton. 1993.

ОТКАЗ - 7

(AS « X ») « The Sources of Soviet Conduct. » Foreign Affairs.
July 1947, Pages 556-82.

« Current Problems in the Conduct of Foreign Policy. » the
Department of State Bulletin, May 15, 1950. Pages 741-
SI.

Lectures on Foreign Policy. « Illinois Law Review, January-
February 1951. Beginning Page 730.

« America and the Russian Future. » Foreign Affairs, April
1951. Pages 351-70.

« Where Do you Stand on Communism ? » The New York
Times Magazine May 27, 1951.

« American Troops in Russia : The True Record. » Atlantic
Monthly, January 1953. Pages 38-42.

« Training for Statemanship. » Atlantic Monthly, May 1953.
Pages 40-43.

- « The Nature of the Challenge. » the New Republic, August 1953. Pages 9-12.
- « Credo of a Civil Servant » Princeton Alumni Weekly, February 12, 1954 Pages 10-13.
- « The Sisson Documents. » Journal of Modern History, June 1956. Pages 130-54.
- « When the Russians Rose Against the Czar. » The New York Times Magazine, March 10, 1957. Beginning Page 9.
- « Disengagement Revisited. » Foreign Affairs, January 1959. Pages 183-210.
- « Our Aid to Russia : A Forgotten Chapter. » The New York Times Magazine, July 19, 1959. Beginning Page 8.
- « History and Diplomacy as Viewed by a Diplomatist », in Stephen Kertesz and M. A. Fitzsimons, eds ; Diplomacy in a Changing World. Notre Dame, University of Notre Dame Press, 1959.
- « The Ethics of Anti-Communism ». University ; A Princeton Quarterly, Number 24, Spring 1965, Pages 3-5.
- « Why Do I Hope ? » University : A Princeton Quarterly ; Number 29, Summer 1966 Pages 3-5.
- « Peaceful Coexistence : A Western View. » Foreign Affairs, October 1967, Pages 1-21.
- « To Prevent a World Wasteland : A Proposal. » Foreign Affairs, April 1970. Pages 401-13.
- « What We've Lost in Vietnam ». Outlook Section, The Washington Post, January 14, 1973.
- « Reflections .Two Views of the Soviet Union. » The New York, November 2, 1981. Pages 54-62.
- « On Nuclear War » New York Review of Books, January 21, 1982. Pages 8-12.
- « The Gorbachev Prospect » The new York Review of Books, January 21, 1984.

مقابلات منشورة فيه

- Berger, Marilyn « An Appeal of Thought. » « The New York Time Magazine, May 7, 1978 Beginning Page 43.
- Lasky, Melvin J. « A Conversation » (C. 1959) Reprinted in George F. Kennan, et a ; « Encounters With Kennan » : The Great Debate. London, Frank Cass and Co.; Ltd., 1979.
- Kennan, George F. Appearance on Meet the Press. Washington, Kelley Press. January 8, 1982.
- Severeid, Eric. « A Conversation With George Kennan » Vital History Cassettes. Encyclopedia Americana/ CBS News Audio Resource Library. March 1975.
- Urban George With George F. Kennan. « A Conversation » Encounter, September 1976. Reprinted in Encounters With Kennan and excepted in Martin F. Herz ; ed ; Decline of the West ? George Kennan and His Critics. Washington, Ethics and Public Policy Center, 1978.
- « X » Plus 25 : Interview With George F. Kennan. « Foreign Policy, Number 7, Summer 1972. Pages 5-21.

أوراق غير منشورة له

- « Measures Short of War (Diplomatic). » National War College, Washington. September 16, 1946.
- Stenographic transcript. Lecture to Foreign Service and Department Personnel. Washington. September 17, 1946.
- « Trust as a Factor in International Relations. » Yale University. October 1, 1946.
- « Background of Current Russian Diplomatic Moves » National War College. December 10, 1946.
- « Requirements of National Security. » National Defense Committee, Chamber of Commerce, Washington. January 23 1947.
- « Russian-American Relations. » University of Virginia, Charlottesville. February 20, 1947.

- « Orientation and Comments on National Security Problems. »
National War College March 14-28, 1947.
- « Current Problems of Soviet-American Relations. » Naval
Academy, Annapolis. May 9, 1947.
- « Planning of Foreign Policy ». National War College. June
18, 1947.
- « What Is Policy ? » National War College, December 18, 1947.
- « Foreign Policy Aims and Military Requirements. » Council
on Foreign Relations. June 4, 1948.
- « Where Are We Today ? » National War College. December
21, 1948.
- « Where Do We Stand ? National War College. December
21, 1949.

مقالات واحاديث اخرى

Foreign Relations of the United States. Washington, Go-
vernment Printing Office Volume Cited are : 1946, VI ;
1947, V ; 1948, I, III 6049, IX.

Kennan, George F. « Russia and the United States. » (Pam-
phlet.) Stamford, Overbrook Press, 1950. (Reprints Speech
Delivered May 27, 1950, in New York).

————— Miscellaneous Pamphlets, 1951-1953. Princeton,
Princeton University Library.

————— Address before the Pennsylvania Bar Association.
Manuscript. January 16, 1953. Princeton, Princeton, Uni-
— versity Library.

————— « America After Vietnam. » (Pamphlet). Williams-
burg Colonial Williamsburg Press, 1968.

————— Remarks delivered on the occasion of receiving
the Albert Einstein Peace Award. July-August 1981.

The New York Times. Various articles, 1947 to 1982.

The Washington Post. Various articles 1947 to 1982.

Hearings Before the Committee on Foreign Relations, U-S Senate, April 4, 1960.

ثانيا : مراجع من جورج كينان

- Acheson, Dean. Present at the Creation : My Years in the State Department. New York, W. W. Norton & Co., 1969.
- Barber, Joseph, ed. The Containment of Soviet Expansion : A Report on the Views of Leading Citizens in Twenty-Four Cities. New York Council on Foreign Relations, 1951.
- Gellman, Barton, « Contending With Kennan, Toward A Philosophy of American Power » Prager, 1965.
- Beitz, Charles. Political Theory and International Relations. Princeton, Princeton University Press, 1979.
- Bohlen Charles E. Witness to History, 1929-1969. New York ; W. W Norton & Co ; 1973.
- Brodie, Bernard. War & Politics. New York, Macmillan Publishing Co ; Inc ; 1973.
- Burnham, James. Containment or Liberation ? An Inquiry into the Aims of United States Foreign Policy. New York, The John Day Company, 1952.
- Carr, Edward Hallett. What is History ? New York, Vintage Books, 1961.
- Earle, E. M. Makers of Modern Strategy : Military Thought From Machiavelli to Hitler. Princeton University Press, 1944.
- Gaddis, John Lewis. Strategies of Containment : A Critical Appraisal of Postwar American National Security Policy. New York, Oxford University Press, 1982).
- Herz, Martin F ; ed. Decline of the West ? George Kennan and His Critics. Washington, Ethics and Public Center, 1978.
- Kennan, George F. et al. Encounters With Kennan : The great Debate. London, Frank Cass and Co. ; Ltd; 1979.

Kissinger, Henry. *White House Years*. Boston, Little, Brown and Co ; 1979.

Lippmann, Walter. *The Cold War : A Study in U.S. Foreign Policy*. New York, Harper and Brothers Publishers, 1947.

Steel, Ronald, *Walter Lippmann and the American Century*. Boston, Little, Brown and Co ; 1980.

Yergin, Daniel. *Shattered Peace*. Boston, Houghton Mifflin Co., 1977.

Acheson, Dean. « *The Illusion of Disengagement.* » *Foreign Affairs*, April, 1958. Pages 371-82.

Lord Chalfont « *Why America Must Ignore This Man.* » *The Times*, May 2, 1978.

Gaddis, John Lewis. « *Containment : A Reassessment.* » *Foreign Affairs*, July 1977. Pages 873-87.

Cati, Charles. 3 « *What Containment Meant.* » *Foreign Policy*, Summer 1972, Pages 22-40.

Halle, Louis. « *George F. Kennan and the Common Mind* » *Virginia Quarterly Review*, Winter 1969 Pages 46-57.

Kateb, George F. Kennan : *The Heart of a Diplomat Commentary*, January 1968. Pages 21-26.

Knight Jonathan. « *George Frost Kennan and the Study of American Foreign Policy : Some Critical Comments.* » *Western Political Quarterly*, March 1967. Pages 149-60.

Lehedz, Leopold. « *The Two Minds of George Kennan : How to Un — Learn From Experience.* » *Encounter*, April 1978.

———— « *A Last Critique.* » *Encounter*, July 1978.

Luttwak, Edward N. « *The Strange Case of George F. Kennan. From Containment to Isolationism.* » *Commentary*, November 1977.

Mark, Edward. « *What Kind of Containment ?* » in thomas G. Paterson, ed ; *Containment and the Cold War*. Reading, Massachusetts, Addison Wesley Publishing Company, 1973.

- The Question of Containment :A Reply to John Lewis Gaddis.
« Foreign Affairs, January 1978. Pages 428-41.
- Novak, Michael. « George X. Kennan Versus George Y. Kennan. » The Washington Star, December 29, 1977.
- Rostow, Eugene V. ? « Searching for Kennan's Grand Design »
The Yale Law Journal, June 1978 Pages 1527-48.
- Seabury, Paul. « George Kennan vs. Mr. X. The Great Contain-
er Springs a Leak. » The New Republic, December 16,
1981 Pages 17-20.
- Sigal, Leon V. « Kennan's Cuts » Foreign Policy, Number 44,
Fall 1981. Pages 70-81.
- Steel, Ronald. « Russia, the West, and the Rest », New York,
review Books, July 14, 1977, Pages 19-22.
- Taft John. « Grey Eminences, X : A Diplomat For the Eight-
ties. » The New Republic, March 17, 1979. Pages 19-21.
- Ullman, Richard H. « The Realities of George F. Kennan. »
Foreign Policy, Number 28, Fall 1977. Pages 139-55.
- Wright C. Ben. « Mr. X and Containment. » Slavic Review.
March 1976. Pages 1-31.
- « A Reply to George F. Kennan. » Slavic Review,
Pages 318-20.
- Mayers, David. « George Kennan and the dilemus of U.S.
Foreign Policy » Oxford University Press, 1988.
- « From Architect of Containment to Critic : George F. Kennan
and the Soviet threat ».

ورد فی کتاب

- Paterson, Thomas, « Meeting the Communist threat ». Oxford
University Press, 1988.
- Hixon, Walter, « George Kennan, Cold War Columbia Uni-
versity Press, 1918.
- Stephanson, Anddero, « Kennan and the art of Foreign
Policy », Howard University Press, Cambridge, 1984.
- Wilson D. Miscamble, « George Kennan and the making of
American Foreign Policy, 1947-1950 », Princeton Univer-
sity Press, 1992.

المؤلف

د • السيد أمين شلبي

- من موليد ١٩٣٦ •
- حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة القاهرة عام ١٩٨٠ •
- التحق بانسلك الدبلوماسية عام ١٩٦١ •
- ساهم في تأسيس معهد الدراسات الدبلوماسية عند انشائه عام ١٩٦٦ • وعمل في ادارته حتى عام ١٩٦٩ ، ثم نائباً لمدير (١٩٨٦ - ١٩٨٨) •
- وعمل في سفارات مصر في : براج - موسكو - لاجوس - ووزيرا مفوضا في سفارة مصر في واشنطن (١٩٨٢ - ١٩٨٦) ، ثم سفيراً لمصر في النرويج (١٩٩٠ - ١٩٩٤) • حاصل على وسام الاستحقاق النرويجي •
- عمل مديراً لإدارة التخطيط السياسي بوزارة الخارجية (١٩٩٤ - ١٩٩٦) •

حصل له :

- ١ - التنظيم الدولي في مفترق الطرق •
- ٢ - هنري كيسنجر • حياته وفكره •
- ٣ - الوفات الأمريكية السوفيتي ١٩٦٣ - ١٩٧٦ (الهيئة العامة للكتاب) •
- ٤ - قراءة جديدة للحرب الباردة • داز المعارف •
- ٥ - الدبلوماسية المعاصرة • عالم الكتب •
- ٦ - من الحرب الباردة الى البحث عن نظام دولي جديد (الهيئة العامة للكتاب) •
- ٧ - العلاقات الأمريكية / المصرية ١٩٤٦ - ١٩٥٦ (مترجم) •

نشر العديد من الدراسات والمقالات في المجلات والدوريات المتخصصة في مصر والخارج ، كما شارك في ندوات ومؤتمرات مصرية وأجنبية ، وناشر في : معهد الدراسات الدبلوماسية ، وأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ، وكلية الاقتصاد والعلوم السياسية •

اقرأ في هذه السلسلة

جوزيف داموس
سبع معارك فاصلة في التصعيد
لغوستي

د. لينداي كلايمونز
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية إزاء مصر

د. جون شستكر
كيف تميل ٣٦٥ يوما في
السنة

ابن البير
الصداقة

د. غريغال ورجية
أثر التكنولوجيا الإيجابية لطفلي
في الفن التشكيلي

د. رحيم حوش
الطب الروسي قبل الثورة
الاشتراكية وبعدها

د. محمد نعمان جليل
حركة عدم التمييز في عالم
التنوير

فرانكلين ل. باربر
لغتي الأوروس المحدث ١ ج

شوكيت لاريس
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د. محي الدين أحمد حسين
للطفلة الآتية والبيئة المصنفة

ج. دانيال اندرو
القرارات الخفية الكبرى

جوزيف كيرك
مفاتيح من الأدب القصص

د. جومان مورانت
للحيات في الكون كيف نشأت
وأي نوع

طلقة من العلماء الأمريكيين
مبادرة النطاق الاقتصادي
حرب الفضاء

د. السيد مينة
إدارة الصراعات الدولية

د. مصطفى عثمان
البيروكينيون

مجموعة من الكتاب اليابانيين للعلماء
والعلمين
مفاتيح من الإنعاش الياباني
د. الفصح - لكسما - الحكاية -
للطفلة للتصوير

ديل جويل وأنييت
الفرقة للذكية للعلوم

د. حطه طرس
أثر اللغة
والثقافة

د. ماثيو
أوليمسكي

فكتور برومير
م. مال

ديكتر مود
ووسائل وجاهات من الخلق
الجزء ١ والكل ٢ صاوات في مضمون
الفيديو الثانية

مخفي مرك
التراث للماضي ١ ديكس
والعالميون

د. ج. أديكر
فن الأدب النرويجي عند المستوي

مادي نعمان النوبي
أدب الفلاس - فلسفته - ثقافته -
وصداقه

د. نعمة رحيم الحزاري
أحمد حسن الزيات كاتباً وفاعلاً

د. فاضل أحمد الطائي
أعلام العرب في الكيمياء

حلل الحضري
فكرة المسرح

عمري باريس
الجسم

د. السيد حلو
صنع للآثار السيليني في
مكتبات القاهرة للعلماء

جيكوب بيورنسكي
للظهور المضاري للعلماء

د. روجر ستورجان
هل تستطيع تعلم المثلث
للطفل ؟

كاثي جير
تربية للرجال

١ ميسر
أفوتى والدعم في مصر
للطفلة
د. داعم بيترينيل
للعمل والمطب

برتراند ريل
أعلام الإعلام وأحد آخرى

د. رامي كتابوم جابوتسكي
التكنولوجيا والبيئة المعيشة

المس مكسلي
نقطة مقابل نقطة

ث. د. فريمان
الجغرافيا في مائة عام
وايرون والماء

النقطة والمصنوع
ن. ج. فريوس و١ ج. نيكستور
لأربع العلم والتكنولوجيا

٢ ج
ليستين راي
الفرق الشافية

والثقافة
الرواية الإنجليزية

لوريس مارجاس
المركبة التي في المسرح

مرانسو ديماس
أدب مصر

قدري جسي وحمود
الإنسان المصري على الشافية

أريج فولك
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة

ماحم النحاس
الهوية الترميزية في السينما

ديفيد وليم ماكوراك
مجموعات النصوص - ميكتيا
كصفيها - مرصها

خزير الجوان
لوميكي للغير ثقافي وحفظ

د. محمد جاسم الرومي
مصر الرواية

ديلان توماس
مجموعة مقالات ثقافية

جون أوبس
القصص تلك الكائنات الفرد

جول ديست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د. حيد لطفي شراوى
المصرح المصري المعاصر
أصله وديالته

أثر المصادر
على محمود طه الشافعي والإنسان

<p>ب. كويلان الإسلام في إفريقيا والرومانسية</p> <p>د. توماس أ. هاريس التوثيق النفسي - تحليل للمعتقدات الإسلامية</p> <p>لجنة الترجمة ، الجلسة الأولى للثقافة للدين الإسلامي روائع الأدب العالي في ١</p> <p>دوى لرنج لغة الصورة في السينما المصرية</p> <p>تاجاى حيدر الثورة الإسلامية في اليابان</p> <p>بول هاريسون العلم الثالث هذا</p> <p>ميكائيل المي وجيس لفران التاريخ الكبير</p> <p>آدمز فيليب فيل للقيام المتألف</p> <p>فيكتور مورجان تاريخ الفقه</p> <p>محمد كمال اسماعيل التصنيف والتوزيع التوثيقي</p> <p>أبو التاسم الفرنسي للمعاملة ٢ في</p> <p>بيتر دوت الحياة الكريمة ٢ في</p> <p>جاءه كرايس جوتفريد تذكرة التاريخ في مصر القرون للتوسع في</p> <p>محمد فؤاد كوردي قيام الدولة العثمانية</p> <p>فرى بار التدخل للسينما والتاريخيين</p> <p>تاجور ، هين ينج ونج وآخرون مفكرات من الأدب الصيني</p> <p>تاسر خسرى عاوى سفر إلى مكة</p> <p>نانين جورجيجس نوجيس اوجرت واخرون</p> <p>سقوط الحق وتضمن اخرى أحمد محمد الشارواى</p> <p>كتب شيرت الفكر العلماني ٢ في</p> <p>جان لويس بودى وآخرون في اللغة السينمائي الفرنسي</p> <p>للمعلمين في أوروبا بول كوكز</p>	<p>دوى وويرتسرسن للهويين والايين وانما في للمجتمع</p> <p>لور كاس ماكليوتوك صور لفرقية - نظرة على حركات إفريقيا</p> <p>مشمع للمناس لجيب محفوظ على الشارة د. محمود مرسى طه</p> <p>الكوميديون في مجالات الحياة بيتر لوى</p> <p>المفكرات حقائق فلسفية برويس ايدورويكش سترجيف وتألف الاضواء في الكتب اليساء</p> <p>ديليام بينز الفهم للورالية للجمع</p> <p>ديلود البرون قريباً اسماء للزوجة</p> <p>أحمد محمد الشارواى كتب شيرت للفكر العلماني</p> <p>جون د. بودر ديكسون جوتفريد للفلسفة وفنانيا مصر ٢ في</p> <p>أرنولد توبين للفكر التاريخي هذه التاريخ</p> <p>د. صالح رنسا مكتوب وقضايا في الدين للفكرات العلماني</p> <p>م. د. كتش وكورين للفلسفة في الأديان الفلسفية</p> <p>جورج جامرب بداية ولا اوانية</p> <p>د. كسيد طه كسيد أبو بحيرة المرب والمعتقدات في مصر التيستية منذ الفتح للفريق حتى نهاية العصر للفرسي</p> <p>جاليانو ج. جالييه حوار حول للفكرين الرئيسيين للكون ٢ في</p> <p>أريك مريس واكن مو الانهايت</p> <p>سيرك العرب اقتاتون</p> <p>أرثر كينستر الهيئة الثلاثة عشرة ويهود الديم</p>	<p>جابريل بايز للتاريخ ملكة الأراضي في مصر للحديثة</p> <p>أستروى دى كرسين وكينيث هيلوج اعلم الفلسفة السياسية للماصرة</p> <p>لوايت سوين كتابة السيناريو للسينما</p> <p>رفايلاسى ف. س الدين والياسه (من جزء من للباين جزء من الثانية وحوى ملامرات الملين)</p> <p>مهندس ايراميد للفرشوى اجوزة كينيث الهوام</p> <p>بيتر رداى للخمس الاجتماعية والاضطراب الاجتماعي</p> <p>جوزيف دامورس سبعة مؤرخين في التصور للمستحق</p> <p>من م. بودا للقهوة اليونانية</p> <p>د. ماسم ميمه رنك مراكز المصنعة في مصر الإسلامية</p> <p>ريثالد د. ميسيسون وورمان د. الدين</p> <p>العلم والطالب والمدرس د. أود عبد الله للفكر المصري والفكر</p> <p>وات وكيمان ديسكو حوار حول الفلسفة الاقتصادية</p> <p>فرد م. ميس تيسيف الكينيام</p> <p>جون لويس بوركهارت العادات والتقاليد المصرية من الحلال الشخصية في عهد محمد علي</p> <p>الان كاسبيار التحقيق السينمائي</p> <p>سامى عبد النملى للتخطيط السياسي في مصر بين الفكرية والفكر</p> <p>مريه هويل وشاندرا ويكراما سيجو للتاريخ الكونية</p> <p>حسين ملهى المهندس مواما القضاة (بين ١٩٩٠ و ٢٠٠٠) والعقيد (للسينما والتاريخيون ٢ في</p>
--	--	---

موريس بيدر موراير
مختار الخلود

زيجمونت هير
جماليات فن الاخراج

جيمثالز ريلي سميت
المعملة الصليبية الاباي وكثرة
الحروب الماربية

الفردي ج - بلثر
الكنايس القليلة القديمة في
مصر ٢

ريتشارد شاخت
رواد لادانة الصمينة

ترانيم زراشت
من كتب الاتصال المقدس

الحاج يونس السمرى
رحلات فارتما

هيربرت ثيل
الاتصال والبيئة الثقافية

برتراند راسل
السلطة والفره

بيتر نيكرلزل
السياسة الثقافية

لناردت ميرى
عن القلاد للسياساتى الامريكى

مفاتيح اوريس
مصر الرومانية

متيلان ارمشت
للتاريخ من شفي جوانيه ٣

مولى براح واخرون
السياسة العربية من الخليج الى
المحيط

فانس بكاره
انهم يصنعون البشر ٣

جابر محمد الجزار
ماستريخت

د. ابرار كريم ادة
من هم الناس

ع - س - فريزد
الكاتب الحديث وعالمه
٢

سوزيلا عبد الله
حيث الناس
من روائع الاداب الهنسية

لوريتو تود
مقال الى علم اللغة

اسحق عليموف
للموسيقى المللجيرة

اسرار السورور فوكا
مارجريت روز
ما بعد الصداقة

د - بيدار تودج
الارض في الف عام

ستيفن رانسيمان
المحادثات الصليبية

ص - ع - وار
معالم تاريخ اكلتانية
٤

مستاف جرونييلر
حداثة الاسلام

د - عبد الرحمن عبد الله الشيخ
رحلة بيرانون الى مصر والمجائر
٢

جكلر - به الفتاح
التكون ذلك الجسهرل

ارنولد جزل واخرون
المطل من القضاة الى العائفة
٢

باندو اوليموند
افريقيا - الطريق الاخرى

د - محمد زينهم
فن الزجاج

برنسلو مالبينوفسكى
للمصر والكلم والدين

اسم جزل
للمصاهرة الاسكانية

فانس بكاره
انهم يصنعون البشر

د - عبد الرحمن عبد الله الشيخ
يوميات رحلة لاسكو داوجاما

ايارى شاترمان
كوكبا المصده

سوتلورى
للقصة الجوهرية

مارتن فان كريك
حرب المستقل

فرانكيس ج - برون
الاعلام الصحلي

جند مياشر
البحرية المصرية من محمد على
للمساعات

ج - كارميل
ميسيط للتعليم الهنسية

ترماس لييبهارت
فن التايم والياتتريم

لناردت دوبرار
التقنين المتجه

وييلام د - مالبيز
ما هي الجيوبولجيا

كريستيان مالبه
السيلاويو في السيشا الفرنسية

بول وارن
خلفيا نظام الحكم الامريكى

جورج ستانير
بين فوستوى ودوسريستوى
٢

يانكي لادوين
الروماتيكية والوالجبة

مصمود سامس عطا الله
الفيلم القديم يلى

جوزيف بنس
رحلة جوزيف بنس

ستافى جيه سوليمون
اقواع التسلح الامريكى

مارى ب - دالى
للمصر والبيش والسوهد

جوزيف م - بوجز
فن الترجمة على الاقدام

كريستيان ديروش نوليكور
الزاة للفرجولة

جوزيف يندغام
موجز تاريخ العلم والحضارة
الى الصين

ايوناردو دالغشى
لقرية التصوير

ت - ج - ه - جيمز
كلوز للفرامة

رونولف فون مايسيرج
رحلة الجير ونولك الى الشرق
٢

ماتكم ورنلدرى
لرواية اليوم

رايم مارسدن
رحلة ماركي بولو ٢

مارى بيدرين
تاريخ اوربا في المصور للوسفى

نيليد شندير
نظرية الادب الفادى وقراءة الشعر

اسحق عليموف
العلم والتاريخ المستقل

رونالد دايد لانج
الصكمة واليهون والمناطة

كارل ديون
يملا عن عالم الطفل

فودمان كلارك
الاقتصاد السياسى للعلم

والكتنولوجيا

الميد نصر الدين الميد اطلالات على الزمن الاتي	وتفرد هوار كانت ملكة على مصر	روبرت سكراي وكروث الحاق امي الخيال العلمي
مدوح عطية البرلماع القومي المصري والامن القومي العربي	حميس هنري مرست تاريخ مصر	ب. م. ديفلين المفهوم الحديث للمكان والزمان
د. ليونيسكاليا الحب	بول دافين الطائفت الثلاث الاثيرة	م. هوارن شهر الرحلات الى غرب افريقيا
ابور ايفانس مجلد تاريخ الادب الانجليزي	جوزيف وماري نيلسان عظامية الفيلم	و. بارترلد تاريخ الترك في اسيا الوسطى
هوربرت ريد التربية عن طريق الفن	ج. كونتو الحضارة للثقافة	فلاديمير تيمانينكو تاريخ اوربا الشرقية
وليام بين معجم التكنواوجيا الحيوية	ارنست كاسيري في المعرفة التاريخية	جابريل جاجارسيا ماركيز الجنرال في المقامة
الفين توفلر تحويل السلطة ٢	كتس ا. كفس ومعنى الثاني	هنري برجمون الضمحك
يوسف شارة مشكلات القرن المادي والعشرين	جان بول مارتش ونهرون مفكرات من المسرح الدائلي	مصطفى محمود سليمان الزلازل
والعلاقات الدولية	روزالند وجيهه يانس الظلال المعصر القديم	م. و. فريج شمس المكنس
رولاند جاكسون الكيمياء في خدمة الانسان	نيكولاس مايد شراوك هوار	١. و. جري الحيثيون
ت. ج. جيم الحياة ايام المراهقة	ميجيل دي ليس الفران	ستيفن موسكاتي الحضارات المماية
جرج كاشمان لماذا تكتب الحروب ٢	جوسيف دي لونا موسوكتي	د. اليرت حوراني تاريخ الشعوب العربية
حسام الدين زكريا الطون برونكر	الوير جريادر موتسارت	محمود قاسم الادب العربي المكتوب بالفرنسية
ازرا ف. فوجل المعزة اليابانية	على عبد الوهف البيني مفكرات من الانس الحديث	

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/٥٣٦٣

7 — 5194 — 01 — 977 — ISBN

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني أن توصل مسيرة المشروع الأول لتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف فضلا عن إعادة طبع أهم الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث والتي بات الإطلاع عليها اليوم متعذراً للشباب هذا الجيل لقدم طبعاتها وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضوء على أهم القضايا الاستراتيجية والمعاصرة (أنظر قائمة الإصدارات في آخر الكتاب).

والكتاب الذي نقدمه اليوم يعرض لسيرة أحد أقطاب الدبلوماسية الأمريكية وصاحب ومنظر سياسة الاحتواء التي قدمت الأساس النظري والفلسفي لسياسات الحرب الباردة والتي ظلت تحكم وتوجه السياسة الأمريكية والدولية على مدى نصف قرن. وهو هذا كتاب هام نتعرف من خلاله على كيفية صنع السياسة الأمريكية والعوامل المؤثرة عليها في القرن العشرين.

وقد اهتم المؤلف، وهو دبلوماسي مصري وكاتب ومحلل سياسي مرموق، بدراسة الأبعاد المتعددة لهذه الشخصية وما تتضمنه من تزاوج بين حياته وأدواره الدبلوماسية، وبين خلفياته ومساهماته الأكاديمية والفكرية والأساس العريض من الثقافة السياسية والتاريخية والأدبية.

كما أنه اهتم بإبراز جانب هام يغيب عن الكثيرين في حياته، وهو الجانب المتعلق به كمؤرخ ومفكر ونظرائه في شئون مجتمعه الأمريكي ومؤسساته، وآرائه في الحضارة الغربية وإدمايتها للراحة وقيم الاستهلاك، ومواقفه الناقدة من قضايا العصر وتياراته العريضة مثل الثورة الصناعية والتقدم التكنولوجي، ومظاهر فساد البيئة، وعدم احترام التقاليد واتحاد الذوق والقيم الجمالية.

